

بُهِتَ الْأَبْأَابُ فِيمَا أُوحِيَ فِي كِتَابِي

شَهَابُ الدِّينِ أَحْمَدُ الشِّيفَايُشِيُّ

تَحْقِيقُ جَمَالِ جُمُعَةٍ



RIAD EL-RAYES
BOOKS

مركز التراث والكتب والنشر

LONDON - CYPRUS

لندن - قبرص

NOZHAT AL-ALBAB FIMA LA YOUJAD FI KITAB

by

SHEHAB EDDINE AHMAD AL-TIFASHI

Compiled and edited by:
JAMAL JUMA'A

First Published in the United Kingdom in 1992

Copyright © Riad El-Rayyes Books Ltd
56 Knightbridge London SW1X 7NJ

U.K.

CYPRUS: P.O. Box: 7038 - Limassol

British Library Cataloguing in Publication Data

Al-Tifashi, Shehab Eddine Ahmad

Nozhat Al-Albab fima la youjad fi kitab

I - Title

II. Juma'a, Jamal

953.8

ISBN 1855131706

All rights reserved, No part of this publication may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form or by any means, electronic, mechanical, photocopying, recording or otherwise, without prior permission in writing of the publishers

الطبعة الاولى: حزيران / يونيو ١٩٩٢

محتويات الكتاب

١١	مقدمة التحقيق
١٥	الايروتيكية العربية السطح والقاع
٤٥	مقدمة الكتاب
٥١	الباب الاول: في الصّفْع وما فيه من الفوائد والنّفْع
	الباب الثاني: في اصناف القَوّادين والقَوّادات
٦٣	وما جاء فيهم من نواذر واشعار
٧٩	- مما جاء فيهم من الاخبار والنواذر
٩٣	الباب الثالث: في شروط الزّناة وعلامات القحّاب
	الباب الرابع: في القحّاب المتبدّلات
٩٩	ونواذر اخبارهن وملح اشعارهن
١٠٨	- النواذر والاخبار في هذا الباب
١٢٤	- ملح الاشعار في هذا الباب
	الباب الخامس: في نواذر اخبار الزّناة
١٢٧	وملح اشعارهم وحكاياتهم
١٣٩	الباب السادس في شروط الملاطة وعلامات المؤجراين
	الباب السابع: في نواذر اخبار المرد المؤجراين
١٤٧	وملح اشعارهم
	الباب الثامن: في نواذر اخبار الملاطة
١٦٣	وملح اشعارهم
١٨٨	- ملح الاشعار في هذا الباب

الباب التاسع: في ادب الدبّ ونوادر أخباره

- ٢٠٧ وملح أشعاره
 ٢١٣ - النوادر في هذا الباب
 ٢١٨ - ملح الأشعار في هذا الباب

الباب العاشر: في إتيان الإنث كما في الذكور

- ٢٢١ وما قيل فيه من نوادر وأخبار وملح الأشعار
 ٢٢٦ - نوادر هذا الباب
 ٢٣١ - ملح الأشعار في هذا الباب

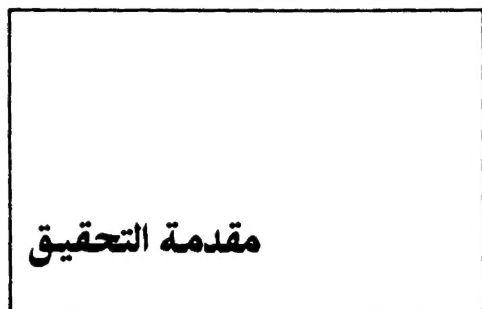
الباب الحادي عشر: في ادب السّحق والمساحقات

- ٢٣٣ ونوادر أخبارهن وملح الأشعار فيهن
 ٢٤٢ - في مدح السّحق والاحتجاج له
 ٢٤٥ - في ذمّ السّحق

الباب الثاني عشر: في الخنث والمختن وما جاء فيهم من نوادر

- ٢٤٩ وأخبار وملح وأشعار

- ٣٠٩ فهرس الأعلام
 ٣١٥ فهرس الأماكن
 ٣١٧ فهرس القوافي



(رُفِّقَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ)

قرآن کریم



الأنكحة الملهومة

تقول عائشة: إن النكاح في الجاهلية كان على أربعة انحاء (انواع)، فنكاح منها: نكاح الناس اليوم، يخطب الرجل الى الرجل وليّته او ابنته فيصدقها ثم ينكحها.

ونكاح آخر: كان الرجل يقول لامراته إذا طهرت من طمثها: «ارسلي إلى فلان فاستبضعي منه»، ويعتزلها زوجها ولا يمسه أبداً حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذي تستبضع منه، فإذا تبين حملها أصابها زوجها إذا أحب، وانما يفعل ذلك رغبة في نجابة الولد، فكان هذا النكاح نكاح الاستبضاع.

ونكاح آخر: يجتمع الرهط، ما دون العشرة، فيدخلون على المرأة كلّهم يصيبها، فإذا حملت ووضعت، ومر عليها ليل بعد أن تضع حملها، أرسلت اليهم فلم يستطع رجل منهم أن يمتنع حتى يجتمعوا، عندها تقول لهم: «قد عرفتم الذي كان من امركم، وقد ولدت، فهو ابنك يا فلان، تسمي من أحببت باسمه، فيلحق به ولدها لا يستطيع أن يمتنع منه الرجل».

ونكاح رابع: يجتمع الناس الكثير، فيدخلون على المرأة لا تمنع من جاءها، وهن البغايا، كن ينصبن على ابوابهن رايات، تكون علماً لمن ارادهن دخل عليهن. فإذا حملت احداهن ووضعت حملها جمعوا لها ودعوا لهم القافة (الشبيهة) ثم الحقوا ولدها بالذي يرون، فالتاط (التحق) به ودُعي ابنه، لا يمتنع من ذلك، فلما بُعث محمد بالحق هدم نكاح الجاهلية كلّهُ إلا نكاح الناس اليوم^(١).

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج ٩، ص ١٥٠.

وفي الواقع فإن الرسول لم يهدم هذه الأنكحة فقط، بل أنكحة أخرى فات عائشة أن تذكرها، عائداً، وكما في مجمل تشريعاته الدنيوية لتنظيم الحياة الجنسية، الى تلك القوانين اليهودية التي سنّها موسى في التوراة قبل آلاف السنين، لحصر النشاط الجنسي الاسلامي بأنظمة رسمية صارمة قد تؤدي، وقد أدت، بمن يتجاوزها الى قصاص مريع، توراتي ايضاً: الموت رجماً.

ويمكن، عموماً، إجمال الأنشطة الجنسية التي كانت سائدة في العصر الجاهلي وحرمها الإسلام، فيما بعد، بما يلي:

نكاح الاستبضاع

نكاح انتقائي مؤقت كان الرجل يدفع زوجته اليه، بعد أن يكون قد حسم اختياره للرجل - العينة الذي ستتصل زوجته به جنسياً، بعد انقطاع دورتها الشهرية مباشرة. وغالباً ما يكون هذا النموذج شاعراً أو فارساً رغبة منه في تحسين النسل أو «نجابة الولد»، على حد تعبير عائشة. ومعنى البُضع في اللغة: النكاح أو فرج المرأة، والمباضعة: المجامعة. ومنه قولها: «وله حصنني ربي من كل بضع، تعني النبي»^(١).

وفي حديث خديجة، حين تزوجها النبي، أن عمرو بن أسيد، لما رآه قال: «هذا البُضع لا يُقرع انفه، يريد: هذا الكفء الذي لا يُردّ نكاحه. وأصل ذلك في الابل أن الفحل الهجين إذا أراد أن يضرب كرائم الابل قرعوا انفه بعضاً أو غيرها ليرتد عنها ويتركها»^(٢).

ويروي ابن منظور نقلاً عن ابن الأثير، أن الاستبضاع نوع من نكاح الجاهلية، وهو استفعال من البضع (الجماع)، وذلك أن تطلب المرأة جماع الرجل لتتال منه الولد فقط، كان الرجل منهم يقول لامته أو امراته: «ارسلي الى فلان فاستبضعي منه»، ويعتزلها فلا يمسه حتى يتبين حملها، وإنما يفعل ذلك رغبة في نجابة الولد^(٣). وتورد بعض كتب التاريخ أن عبدالله بن عبدالمطلب، والد الرسول، قد تعرض لمثل هذه التجربة قبل أن يتزوج أمته، إذ أن امرأة من بني أسد، وهي رقية أخت ورقة بن نوفل، قد مرت به، وهي عند الكعبة، فقالت له حين نظرت الى وجهه: «أين تذهب يا عبدالله؟»، قال: «مع أبي»، قالت: «لك

(٢) لسان العرب، ابن منظور، ج ٨، ص ١٤.

(٣) المصدر نفسه، ج ٨، ص ١٤ - ١٥.

(٤) المصدر نفسه، ج ٨، ص ١٤.

مثل الابل التي نُحرت عنك وقَع عليّ الآن!!»، قال: «أنا مع أبي، ولا استطيع خلافه ولا فراقه»^(٥). ثم تركها ومضى مع أبيه ليزوجه أمنة بنت وهب، ويروى أيضاً أنه حين التقاها ثانية، بعد زواجه، قال لها: «مالك لا تعرضين عليّ اليوم ما كنت عرضت عليّ بالأمس؟»، فقالت له: «فارقك النور الذي كان معك بالأمس، فليس لي بك اليوم حاجة»^(٦).

ويقال ان عادة الاستبضاع، والتي تُسمى أيضاً بالاستفحال، قد انتقلت من العرب الى اهل افغانستان الذين كانوا إذا راوا فارساً من العرب دخلوا بينه وبين نسائهم رجاء ان يولد لهم مثله^(٧)، والأرجح ان هذه العادة قد انتقلت اليهم بعد استيلاء المسلمين على افغانستان.

ومن المؤكد ان هذا النكاح ذو اصول بدائية - نسلية وليست إشباعية، شهبانية، تضرب بعيداً في التاريخ الماقبل الاسلامي، الاسطوري. فمن الماثور الاسطوري العربي ان اخت لقمان بن عاد، وكانت امرأة ضعيفة النسل، قد قالت لاحدى نساء لقمان: «هذه ليلة طهري وهي ليلتك، فدعيني اتم في مضجعك، فإن لقمان رجل منجب، فعسى ان يقع عليّ فانجب». فوقع على اخته فحملت بُلقيم، وفي ذلك يقول النمر بن تولب^(٨):

لَقِيْمُ بْنُ لُقْمَانَ مِنْ أَخْتِهِ فَكَانَ ابْنُ أَخْتٍ لَهُ وَابْنُهَا
لَيْلِيَّ حَقَّقَ فَاسْتَحْصَنَتْ عَلَيْهِ فَغَزَّ بِهَا مَظْلَمًا
فَاحْبَلَهَا رَجُلٌ مُحْكِمٌ فَجَاءَتْ بِهِ رَجُلًا مُحْكَمًا

ويمكنني، بما يشبه الجزم، التاكيد على أن هذا النمط من النكاح يوغل في التاريخ الماقبل إسلامي بألاف السنين. فمن جملة التحريمات الجنسية في التوراة ورد في الأصحاح الثامن عشر من سفر اللاويين ما نصه: «لا تجعل مع امرأة صاحبك مضجعك لزرع فتتنجس بها. ولا تعط من زرعك للإجازة لمولاك لئلا تدنس اسم الهك»، والزرع هنا بمعنى النطفة للنسل، والنص كما يبدو يشير بشكل واضح الى نكاح الاستبضاع وإن لم يسمه.

نكاح المخادنة

المخادنة: الصداقة، والخدين: الصاحب أو الصديق، وفي القرآن: (محسنات

(٥) سيرة النبي، ابن هشام، ج ١، ص ١٦٨ - ١٦٩.

(٦) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٦٩.

(٧) لسان العرب، ابن منظور، ج ١١، ص ٥١٦.

(٨) الحيوان، الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، ج ١، ص ٢١ - ٢٢.

غير مسافحت ولا متخذات اخدان^(٩)، فقد كانت المرأة، قبل الإسلام، تمتلك حق الصداقة مع رجل آخر، غير زوجها، يكون لها بمثابة العشيق أو الصديق بالمفهوم الاجتماعي المعاصر، لا يمتلك الزوج حق الاعتراض عليه أو منعها عنه. واغلب الظن أن هذا العرف استمر حتى بعد الإسلام، وإن بشكل سرّي، رغم النهي القرآني الصريح عنه، فقد سأل الأصمعي، ذات مرة، امرأة من بني عذرة قائلاً: «ما هو العشيق؟»، فقالت: «الغمزة والقبلة والضمة، فما هو عندكم يا حضري؟»، فقال: «أن يرفع رجلها ويدفع بجهد بين شفريها»^(١٠). لكن ذلك لا يمنع وجود حالات من المخادنة الخالية من الاتصالات الجنسية المباشرة إذ كان من المتفق عليه بين العشيقين المتحابين «أن يكون له نصفها الأعلى، من سرتها إلى قمة رأسها، يصنع فيه ما يشاء. ولبعلمها من سرتها إلى أخصصها»^(١١). إلا أن ذلك باعتقادي لا ينسحب على أهل المدن والحواضر بل ربما اقتصص به أهل البادية الذين يتصفون بصفات روحية أشد من أهل المدن، فقد قيل لأعرابي: «اتعرف الزنا؟»، قال: «وكيف لا؟»، قيل: «وما هو؟»، قال: «مَصَّ الريقة ولثم العشيقة والاختذ من الحديث بنصيب»، قيل: «ما هكذا نعدده فينا»، قال: «فما تعدونه؟»، قيل: «النَّقَّ الشديد وأن تجمع بين الركبة والوريد، وصوت يوقظ النّوَام، وفعل يوجب كثيراً من الآثام»^(١٢).

ومن معاني المخادنة: الرفقة في كل أمر، الظاهر منه والباطن، وخذن الجارية (المراة): محدثها، وعموماً فقد كانت العرب تتغاضى عنه طالما كان منستراً وتقول: «ما استتر فلا بأس به، وما ظهر فهو لؤم»^(١٣).

نكاح البدل

وفيه يتم تبادل الزوجات، بشكل مؤقت، بين الرجلين لغرض المتعة والتغيير فقط، دون الحاجة إلى إعلان طلاق أو عقد، وقد أخرج الدارقطني من حديث أبي هريرة قوله: «أن البدل في الجاهلية أن يقول الرجل للرجل: انزل لي عن امرأتك وانزل لك عن امرأتي وأزيدك»^(١٤).

(٩) القرآن الكريم، سورة النساء، آية ٢٥.

(١٠) جمال المرأة عند العرب، صلاح الدين المنجد، ص ٧٥.

(١١) أخبار النساء، ابن قيم الجوزية، ص ٤٦.

(١٢) المصدر نفسه، ص ٥٤.

(١٣) فقه السنة، السيد سابق، المجلد ٢، ص ٦.

(١٤) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج ٩، ص ١٥٠ - ١٥١.

نكاح المضامدة

وهو ان تتخذ المرأة زوجاً إضافياً أو خليلين، زيادة على زوجها، لأسباب أغلبها اقتصادية، فعن الفراء: «الضامد ان تصادق المرأة اثنين أو ثلاثة، في القحط، لتاكل عند هذا وهذا لتشبع»^(١٥).

والضمد في اللغة: ان يُخَالَ الرجلُ المرأةَ ومعها زوج. أو ان يخَالَها خليلان، وقد قال أبو ذؤيب الهذلي في امرأة خانتته مع ابن عمه خالد بن زهير:

تريدين كيما تضمديني وخالداً وهل يُجمع السيفان، ويحك، في غمد؟
وحكايته ترد في هذا الكتاب بصياغة شعرية ثانية.

ومثله الضماد: ان تخَالَ المرأة ذات الزوج رجلاً غير زوجها أو رجلين. قال مدرك الشعاع:

لا يخلص، الدهر، خليلٌ عشا
ذات الضماد أو يزور القبرا
إنني رايتُ الضمد شيئاً نكرا

(أي: لا يدوم رجل على امراته ولا امرأة على زوجها إلا قدر عشر ليال، للعذر في الناس هذا العام)، ومن شعره أيضاً^(١٦):

أردت لكيما تضمديني وصاحبي
الا لا، احببي صاحبي ودعيني
وهناك من يضامد، إذا كان سيداً أو من الأشراف، بأن ينتقي امرأة من قومه لنفسه مانعاً غيره عنها، فمما يروى ان معاوية، أخا الخنساء، وأبي عكاظ في موسم من مواسم العرب، فبينما هو يمشي بسوق عكاظ إذ لقي أسماء المريّة وكانت جميلة، وزعم أنها كانت بغياً، فدعاها إلى نفسه فامتنعت عليه وقالت: «أما علمت أنني عند سيد العرب هاشم بن حرملة؟»، فقال: «أما والله لأقارعه عنك»، قالت: «شافك وشانه»، فرجعت إلى هاشم فأخبرته بما قال معاوية وما قالت له، فقال هاشم: «فلعمري لا يريم أبايتنا حتى ننظر ما يكون من جهده، وخرجوا إليهم فاقتتلوا ساعة ولم يتركوا قتاله حتى قتلوه»^(١٧).

نكاح الرهط

وهو من أنماط تعدد الأزواج الذي مارسته المرأة قبل الإسلام، شرط الا يزيد

(١٥) لسان العرب، ابن منظور، ج ٣، ص ٢٦٦.

(١٦) المصدر نفسه.

(١٧) الأغاني، أبو فرج الأصفهاني، ج ١٥، ص ٨٧ - ٩٠.

عدد أزواجها على العشرة رجال، ولذا سمي بالرهط. والرهط في اللغة: عدد يجمع من ثلاثة الى عشرة، وبعض يقول من سبعة الى عشرة^(١٨). وفيه كانت المرأة تنصب لها خيمة، فإذا اتصل بها أحد أزواجها وضعت عصاه على باب الخيمة إشعاراً لغيره بذلك. وفيما يبدو فإن المرأة هي التي كانت تنظم عملية الجماع معهم، فإذا حدث وأن حبلت المرأة ووضعت مولوداً استدعت رجالها كلهم اليها وأعلنتهم بذلك ثم اختارت بنفسها ابا المولود ودفعته اليه، دون أن يحق لأحد منهم الاعتراض على ذلك الاختيار بل ينزل الجميع عند حكمها. فإذا كان المولود غلاماً نُسبَ الى ابيه وألحق به^(١٩)، أما إذا كان أنثى فإنها كانت تخفي امرها عن الشركاء^(٢٠).

نكاح السر

وهو اقتران سرّي، يعقده أحد، من الاشراف عادة، مع من هي دونه في المنزلة الطبقية او الاجتماعية (فإذا حبلت منه اظهر ذلك والحقها به)^(٢١)، وقد نهى القرآن صراحة عنه في سورة البقرة (ولكن لا تواعدوهن سرا)^(٢٢)، والسرّ هنا بمعنى الزنا، وقد تشدد فيه الخليفة عمر بن الخطاب بالقوة نفسها التي تشدد فيها الرسول «لا نكاح إلا بولي وشاهدي عدل»، فقد اتى عمر بن الخطاب بنكاح لم يشهد عليه إلا رجل وامراة، فقال: «هذا نكاح السر ولا اجيزه، ولو كنت تقدمت فيه لرجمت»^(٢٣)، أما الشيعة فقد تساهلوا فيه كثيراً واعتبروا ان وجود الشاهدين العدلين إنما هو لحفظ حق الوراثة والانتساب، ففي رواية متصلة للكليني، عن جعفر الصادق، انه قال، حينما سُئل عن الرجل الذي يتزوج المرأة بغير شهود: «لا بأس بتزويج البيّنة فيما بينه وبين الله. إنما جعل الشهود في تزويج البيّنة من أجل الولد»، وفي رواية أخرى «إنما جعلت البيّنات للنسب والمواريث»^(٢٤).

والسرّ في اللغة معناه: الزنا او الجماع، ومنه جاءت كلمة: السرية، وهي الجارية المتخذة للملك والجماع، حيث يقال للحرة إذا نُكحت سراً، او كانت

(١٨) لسان العرب، ابن منظور، ج ٧، ص ٣٠٥.

(١٩) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج ٩، ص ١٥٢.

(٢٠) تاريخ الفقه الجعفري، السيد هاشم معروف، ص ٥٩.

(٢١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج ١، ص ٢٨٧.

(٢٢) سورة البقرة، آية ٢٣٥.

(٢٣) الموطأ، مالك بن أنس، ج ٢، ص ٥٣٥.

(٢٤) الفروع من الكافي، الكليني، ج ٥، ص ٢٨٧.

فاجرة: سرية، وهي منسوبة الى السر: الجماع والإخفاء (لأنّ الانسان كثيراً ما يسرها ويستترها عن حرّته)^(٢٥).

ويبدو أنّ هذا النمط من النكاح قد تزايد مع ازدياد طبقة الأشراف وتعاضل قوة الدولة الإسلامية، بعد وفاة الخلفاء الراشدين، ففي رواية مسندة لأبي الفرج الأصفهاني أنّ محمداً بن عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفان عندما أرسل الى خليدة المكية، وهي قينة (جارية مغنية)، ليخطبها قالت لرسوله: «أنا من تعلم، فإن أراد صاحبك نكاحاً مباحاً أو زناً صراحاً فلهنّ الينا فنحن له»، فقال: «أنا لا يدخل في الحرام»، فقالت: «ولا ينبغي أن يستحي من الحلال، فاما نكاح السر فلا، والله لا فعلته ولا كنتُ عاراً على القيان»^(٢٦). ويبدو أنّ المجتمع الإسلامي قد تسامح فيه وادخله الفقهاء في عداد الحلال الجائز للاسترقاقية العربية.

نكاح الشغار

هو استنكاح تبادلي كانت تلجا اليه العرب في الجاهلية بأن تتزوج من خلال تبادل امرأتين من بنات الرجلين، العازمين على الزواج، أو اختيهما على أن تكون المرأة المعطاة بمثابة المهر المقدم للمرأة التي سيتزوج منها. ولفظة الشغار جاءت من الشغر، أي الرفع، والشغار: رفع رجل المرأة للنكاح، وهي مستمدة من شجر الكلب: إذا رفع إحدى رجليه ليبول. ثم استعمله الفقهاء، فيما بعد، كناية عن رفع المهر من عقد النكاح^(٢٧). ورغم أن النبي قد نهى عنه نهياً صريحاً: «لا جلب ولا جنب ولا شغار في الإسلام»^(٢٨)، فقد ظل تاويل الصداق مثار اجتهادات مختلفة من الفقهاء إضافة الى تاويل النهي ذاته وفيما كان يقتضي إبطال النكاح أم لا؟

فالأحناف يرون بأنه يصح بمهر المثل، أي إذا أوجب مهر المثل ودفعه الزوج؛ لأنه في هذه الحالة لا يعد شغاراً. وقد عللوا رأيهم بأن الأصل في التحريم، في زواج الشغار، مبني على خلو نكاح الشغار من المهر، مع كون البضع صداقاً، ولذا فإنهم شأن الجمهور، يبطلون النكاح في هذه الحالة ولا يثبتونه، إلا أنهم يقولون: إنه في هذه الحالة يبقى نكاحاً مسقياً فيه ما لا يعد مهراً، كان يُسمى في المهر الخمر والخزير.

(٢٥) لسان العرب، ابن منظور، ج ٤، ص ٢٥٨.

(٢٦) القيان، أبو الفرج الأصفهاني، تحقيق جليل العطية، ص ٦٠.

(٢٧) الزواج واحكامه في مذهب أهل السنة، د. أحمد فرج، ص ٢٥.

(٢٨) صحيح سنن الترمذي، الألباني، ج ١، ص ٣٢٧.

أما المالكية فقد اجمعوا على أنه إذا شرط تزوج أحدهما بالآخرى، فهو شغار صريح واضح، لخلوه من الصداق، ولذا فالنكاح باطل، وقالوا: يفسخ، قبل البناء، بطلاق لأنه نكاح مختلف فيه. أما بعد البناء فيثبت، بالأكثر، من المهر المسمى وبصداق المثل، هذا إذا وقع على الشرط. أما إذا لم يقع على الشرط أي شرط الخلو من الصداق، بل وقع على وجه المكافأة، كما لو زوجه أخته فكافاه الآخر بمثل ذلك، من غير أن يفهم توقف نكاح أحدهما على الآخرى، جاز النكاح وإن لم يُسمَّ المهر.

أما الشافعي فقد بنى حكمه على نهى النبي ورأى أن النهي هنا نهى مطلق، وإن الشغار لا يقتصر على أن يكون بدلاً بين اختين، وإنما بأية أنثى تقع تحت إمرة القائمين بالبدل، وعليه فقد حرمه مستنداً بحديث الرسول، قاطعاً بإبطاله: «النساء محرمات إلا ما أحل الله، فإذا ورد النهي عن النكاح تأكد التحريم»^(٢٩)، وهو رأي الشيعة أيضاً، فمما ورد عن الإمام محمد الباقر أنه قال: «نهى عن نكاح المرأتين، ليس لواحدة منهما صداق إلا بُضع صاحبتهما»، وقال: «لا يحل أن يتكح واحدة منهما إلا بصداق ونكاح المسلمين»^(٣٠).

وعلى أية حال، ورغم التحريم الظاهري لهذا النمط من النكاح، فمن الواضح أنه يسود بين أوساط الفئات الفقيرة التي تعجز عن إيفاء المهور. ولقد شهدت في صباي، هذا النوع من الاستنكاح، مرتين، ومن الجائز أنه ما زال جارياً، وإن بشكل قليل، في الأوساط الريفية وضواحي المدن العراقية الفقيرة.

نكاح المساهاة

وهو نكاح ملحق بنكاح الشغار، تفرد بذكره أبو حيان التوحيدي في (الامتناع والمؤانسة) بأن للعرب نكاحاً يسمى: المساهاة، بمعنى المسامحة وترك الاستقصاء في المعاشرة، وهو أن يفك الرجل أسر الشخص، ويجعل فك ذلك الأسير صداقاً لأخت صاحب الأسير أو ابنته أو قريبته منه. فيتزوج المعتق من غير صداق.

والأرجح أن هذا النوع من النكاح الافتدائي منتشر بين القبائل الضعيفة، الفقيرة التي تتعرض للغزو وأسر رجالها، بين حين وآخر، دون أن تكون لها القدرة على إفتدائهم. فقد روي أن ربيعة بن عامر أسر قومه يزيد بن الأطنابة، فطلب من أخيه عمرو بن الأطنابة أن يفديه، فاعتذر عمرو بأنه لا يجد ما يفدي

(٢٩) الزواج وإحكامه في مذهب أهل السنة، د. أحمد فرج، ص ٢٧ - ٢٨.

(٣٠) الفروع من الكافي، الكليني، ج ٥ ص ٣٦٠ - ٣٦١.

به اخاه، فطلب ربيعة ان يزوجه بدل الغداء باخته، وهي فاتنة حسناء، فرضي عمرو. فزوج ربيعة باخته عصام، وصداقها فكاك يزيد، اخيها، من الاسر. وقد ذكر الشعراء هذه الواقعة. فمما قيل فيها:

وسامى بها عمرو، وراعى الالفال فزبد وتمر، بعد ذاك، كثير

(الالفال: صغار الابل).

ولما لامه الناس قال: «فقد حزمي الذي هديتُ له، وعزمي الذي أرشدتُ اليه»^(٣١).

نكاح الضيزن (المقت)

او وراثة النكاح الذي ينص على وراثة المرأة، زوجة الاب او الابن، بعد موت بعلاها، لتصير ضمن نساء الموروث، والعرب تقول انها عادة فارسية نص القرآن بوضوح لا لبس فيه على تحريمها: (ولا تنكحوا ما نكح آبائكم من النساء، إلا ما قد سلف، إنه كان فاحشة ومقتاً وساء سبيلاً)^(٣٢). ولذلك سماه العرب بنكاح الضيزن او المقت. والضيزن في الاصل: النخاس او الشريك في المرأة، ثم صار يطلق على الذي يشترك اباه في امراته. يقول اوس بن حجر:

والفارسيّة فيهم غير منكّرة فكُتْم لابيهِ ضيزن سَلَفُ

(اي: هم مثل المجوس يتزوج الرجل منهم امرأة ابيه وامرأة ابنه)^(٣٣).

ومن اسمائه: المقت. إذ انه، كما يقال، كان ممقوتاً حتى عند اهل الجاهلية. وفي الحديث: «لم يصبنا عيب من عيوب الجاهلية في نكاحها ومقتها»، والمقت في الاصل: اشدّ البغض، ونكاح المقت: ان يتزوج الرجل امرأة ابيه إذا طلقها او مات عنها. اما ابن سيده فعنده ان المقتي: هو الذي يتزوج امرأة ابيه^(٣٤).

ورغم ان القرآن حرّم وراثة النكاح تحريماً قطعياً في سورة النساء: (يا ايها الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرهاً ولا تعضلوهن)^(٣٥) فقد اختلف المحذّثون في تاويل اسباب نزول هذه الآية، فمنهم من قال ان اهل الجاهلية كانوا إذا مات الرجل صار اولياؤه احقّ بامراته، إن شاء بعضهم تزوجها وإن

(٣١) نفلحات الإقتران، محمد صالح الموسوي، ص ١١٦.

(٣٢) سورة النساء، آية ٢٢.

(٣٣) لسان العرب، ابن منظور، ج ١٢، ص ٢٤٥.

(٣٤) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٩٠.

(٣٥) سورة النساء، آية ١٩.

شاعوا زَوْجوها وإن شاعوا لم يزوجوها، فهم أحق بها من أهلها. أو أن الرجل كان يرث امرأة ذي قرابته فيعضلها (يمنعها من نكاح غيره) حتى تموت أو ترد إليه صداقها، فنزلت هذه الآية. أما ابن عباس فقد قل في تفسيرها: إن الرجل إذا مات وترك جارية، ألقى عليها حميمه (قريبه) ثوبه، فمنعها من الناس. فإن كانت جميلة تزوجها، وإن كانت دميمة حبسها حتى تموت فيرثها. ونقل السدي عن ابن مالك: أن المرأة في الجاهلية كانت إذا مات زوجها جاء وليها فألقى عليها ثوباً، فإن كان له ابن صغير أو أخ، حبسها حتى يشب أو تموت فيرثها، فإن هي انفلتت فأتت أهلها، ولم يلق عليها ثوباً، نجت^(٣٦).

لكن الحادثة الأساسية التي أوجدت آية التحريم هي أنه لما توفي أبو قيس بن الأسلت، وهو رجل من الأنصار، خطب ابنه قيس امرأته، فقالت: «إنما كنت أعدك ولداً [لي] وأنت من صالحى قومك، ولكني أتى رسول الله، فقالت [لرسول]: «إن أبا قيس توفي»، فقال: «خيراً»، ثم قالت: «إن ابنه، قيساً، خطبني وهو من صالحى قومه، وإنما كنت أعهده ولداً، فما ترى؟»، فقال لها: «ارجعي إلى بيتك»، فنزلت هذه الآية في تحريمه^(٣٧).

لم يكن هذا النكاح، كما يبدو، مطلقاً عند أهل الجاهلية، فقد وضع العرب شروطاً لشرعيته، منها: أن تكون المرأة أصغر سناً ممن يريد أن يخلف أباه عليها، وأن لا تكون قد ولدت للاب شيئاً، وأن لا تكون اختاً لأم الولد الذي يريد زواجها. فلذا اجتمعت هذه الشروط، وأحب الخلف أن يتزوجها فألقى ثوبه عليها، كان أحق بها. فإن شاء تزوجها ورأته من غير صداق، وإن شاء زوجه غيره وأخذ صداقها، وإن شاء عضلها لتفتدي نفسها منه^(٣٨).

وذكر السهيلي أن هذا النمط من النكاح قد وقع في نسب النبي، فإن كنانة تزوج امرأة أبيه خزيمه، وهي برة بنت مرة، فولدت له النضر، وإن هاشماً تزوج هفدة امرأة أبيه عبد مناف، فولدت له المطلب. كما تزوج منظور بن سيار زوجة أبيه سيار، وهي مليكة بنت خارجة، فأولدها هاشماً وجباراً وخولة، التي تزوجها الحسن بن علي بن أبي طالب، فولدت له الحسن المثنى، فلما أسلم منظور ألزم بغراق مليكة واعتُبر أولاده منها أولاداً شرعيين^(٣٩).

(٣٦) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج ١، ص ٤٦٥.

(٣٧) المصدر نفسه، ص ٤٦٨.

(٣٨) نفلحات الإقتران، محمد صالح الموسري، ص ١٠٥.

(٣٩) المصدر نفسه، ص ١٠٥ - ١٠٦.

وعموماً فإن موقف الطوائف الإسلامية من هذا النكاح هو التحريم المطلق، وقد بالغ بعضهم في ذلك، فالأحناف يرون أن حتى من لمس امرأة أو قبّلها أو نظر إلى فرجها بشهوة، فقد حرّمت عليه أصولها وفروعها، وتحرم على أصوله وفروعه^(٤٠). ويكاد فقهاء الشيعة أن يطابقوا هذا الموقف إلا أنني وجدت نصاً منسوباً، بثلاث روايات، إلى الإمام جعفر الصادق يرد ما فيه: «أن الفرّج يحل بثلاثة: نكاح بميراث، ونكاح بلاميراث، ونكاح بملك اليمين»^(٤١)، ولا أدري إن كان يعني بهذا وراثة النكاح أم غيره؟

وأغلب الظن أن نكاح نساء الآباء تقليد لأسامي ففي الكتاب المقدس، العهد القديم، يرد ما مفاده أنه «إذا اضطجع رجل مع امرأة أبيه فقد كشف عورة أبيه، إنهما يُقتلان كلاهما. دمهما عليهما»^(٤٢). وربما كان هذا العقاب الصارم يشمل الزنا بزوجة الأب، أثناء حياته.

نكاح المحارم

وهو تحريم تقليدي موروث منذ العصر الموسوي القديم يُلزم بمنع الاتصال الجنسي بين أعضاء العائلة الواحدة، اختزله القرآن في آية خاصة به وردت بسورة النساء، (نرتبها هنا بشكل آخر لتسهيل مقارنتها بالنص التوراتي فيما بعد)، تقول:

(حرّمت عليكم أمهاتكم،

وبناتكم،

وأخواتكم،

وعملاتكم،

وخالاتكم،

وبنات الأخ،

وبنات الأخت،

وأمهاتكم «اللاتي أرضعنكم»،

وأخواتكم «من الرضاعة»،

وأمهات نسائكم،

وربائبكم اللاتي في حجوركم «من نسائكم اللاتي دخلتم بهن، فإن لم تكونوا

دخلتم بهن فلا جناح عليكم»،

(٤٠) فقه السنة، السيد سابق، المجلد ٢، ص ٦٥.

(٤١) الفروع من الكافي، الكليني، ج ٥، ص ٣٦٤.

(٤٢) الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر اللاويين، إصحاح ٢٠، سطر ١١.

وحلائل ابنائكم الذين من اصلابيكم..
وان تجمعوا بين الاختين إلا ما قد سلف..

إن الله كان غفوراً رحيماً^(٢٧)

(الربائب: جمع ربيبة، وهي ابنة امرأة الرجل من غيره، والدخول هنا بمعنى: الوطء). ويجمع الفقهاء على أن القرآن، في هذه الآية، قد حرم سبعة من النسب، وستاً من الرضاع والصهر. ثم الحقت السنن المتواترة تحريم الجمع بين المرأة وعمتها، وبين المرأة وخالتها.

فالسبع المحرمات من النسب: الأمهات، البنات، الأخوات، العمات، الخالات، بنات الأخ، وبنات الأخت.

والمحرمات بالصهر والرضاع: الأمهات من الرضاعة، الأخوات من الرضاعة وأمهات النساء، الربائب، حلائل الأبناء، الجمع بين الأختين، (السابعة) منكوحات الإباء، و(الثامنة) الجمع بين المرأة وعمتها^(٢٨).

ويمكننا هنا بإدراج التحريمات التوراتية التي وردت في سفر اللاويين، إصحاح ١٨ و ٢٠ (مع التقديم والتأخير)، معرفة مدى تطابق النص القرآني مع الإصحاحين. تقول التوراة:

«لا يقترب إنسان إلى قريب جسده ليكشف العورة ١٨/٦

عورة أبيك وعورة أمك لا تكشف، إنها أمك لا تكشف عورتها ١٨/٧

وإذا اضطجع رجل مع امرأة أبيه فقد كشف عورة أبيه، انهما يقتلان كلاهما

٢٠/١١

عورة اختك بنت أبيك أو بنت أمك، المولودة في البيت أو المولودة خارجاً، لا

تكشف عورتها ١٨/٩

عورة بنت امرأة أبيك، المولودة من أبيك، لا تكشف عورتها، إنها اختك

١٨/١١

وإذا أخذ رجل أخته بنت أبيه أو بنت أمه ورأى عورتها ورات هي عورته،

فذلك عار. يقطعان أمام أعين بني شعبيهما. قد كشف عورة أخته يحمل ذنبه

٢٠/١٧

عورة امرأة أخيك لا تكشف، إنها عورة أخيك ١٨/٢٦

(٤٢) سورة النساء، آية ٢٢.

(٤٤) حسن الاسوة بما ثبت عن الله ورسوله في النسوة، صديق حسن خان، تحقيق محمد عبد

الرزاق الرعدي، ص ٥٨.

وإذا اخذ رجل امرأة اخيه فذلك نجاسة، قد كشف عورة اخيه ٢٠/٢١
 عورة كنتك لا تكشف، إنها امرأة ابنك، لا تكشف عورتها ١٨/١٥
 وإذا اضطجع رجل مع كئته فانهما يقتلان ٢٠/١٢
 عورة اخت ابيك لا تكشف، إنها قريبة ابيك ١٨/١٢
 عورة اخت امك لا تكشف، إنها قريبة امك ١٨/١٣
 عورة اخت امك او اخت ابيك لا تكشف ٢٠/١٩
 عورة اخي ابيك لا تكشف، إلى امراته لا تقترب، إنها عمتك ١٨/١٤
 وإذا اضطجع رجل مع امرأة عمه، فقد كشف عورة عمه، يحملان ذنبهما ٢٢/٢٠

عورة ابنة ابنك او ابنة بنتك، لا تكشف عورتها، إنها عورتك ١٨/١٠
 عورة امرأة وبنتها لا تكشف، ولا تأخذ ابنة ابنها او ابنة بنتها لتكشف
 عورتها، إنها قريبتها، إنه رذيلة ١٨/١٧

وإذا اتخذ رجل امرأة وامها فذلك رذيلة، بالنار يحرقونه واياها ٢٠/١٤
 ولا تأخذ امرأة على اختها للضر، لتكشف عورتها معها في حياتها ١٨/١٨

من هنا يمكن القول بان التحريم الاسلامي لم يخرج على التشريعات
 التوراتية او يتجاوزها، بل بالعكس فقد زاح فيها فيما يتعلق بالرضاعة، فمن
 احاديث الرسول: «ان الرضاعة تحرم ما تحرم الولادة»^(٤٥)، او «ان الله حرم من
 الرضاع ما حرم من النسب»^(٤٦)، وسوف يمكن تقدير خطورة الامر إذا عرفنا
 الدور الذي يلعبه الرضاع واستئجار المرضعات في بيئة صحراوية تكاد تكون
 المجاعات، التي تصيب قاطنيتها سنوياً، أمراً طبيعياً لا حياد عنه، وما يستتبعه
 ذلك من تشابك لأنساب ربما لن يعلمها حتى الرضيع نفسه.

ويفصل الامام الخميني، في كتابه (تحرير الوسيلة)، النسب تفصيلاً دقيقاً،
 فهو يراه سبعة اصناف من النساء، وسبعة من الرجال:

الأم، بما شملت الجدات، عاليات وسافلات، لأب كنّ أو لام. فتحرم المرأة على
 ابنها، وعلى ابن ابنها، وابن ابن ابنها، وعلى ابن بنتها، وابن بنت ابنها، وهكذا.
 والبنت، بما شملت الحفيدة، فتحرم على الرجل بنته، وبنت ابنه، وبنت ابن
 ابنه، وبنت بنته، وبنت بنت بنته.
 والاخت، لأب كانت أو لأم، أو لهما معاً.

(٤٥) مختصر صحيح مسلم، للنيسابوري، تحقيق الالباني، ص ٢٢٠.

(٤٦) صحيح سنن الترمذي، تحقيق الالباني، ج ١، ص ٣٣٥.

وبنت الاخ، سواء كان لاب او لام او لهما معاً، فتحرم عليه بنت اخيه، وبنت ابنه، وبنت ابن ابنه، وبنت بنته، وبنت بنت بنته، وبنت ابن بنته، وهكذا. وبنت الاخت، وهي كل انثى تنتمي الى اخته بالولادة على النحو الذي ذكر في بنت الاخ. والعمة، وهي كل انثى تكون اختاً لذكر ينتمي اليه بالولادة من طرف الاب او الام.

والخاله، وهي كالعمة، إلا انها اخت احدى الامهات ولو من طرف الاب^(١٧). اي باختصار «جميع اقارب الرجل حرام عليه، إلا بنات أعمامه واخواله وعماته وخالاته»^(١٨).

واضاف بعض الفقهاء المولودة من العلاقة غير الشرعية، اي: الزنا بالمصطلح الاسلامي، الى جملة المحرمات من النسب، مستدلين على ذلك بكلمة «وبنائكم، الواردة في الآية المذكورة، وهو مذهب ابي حنيفة ومالك وابن حنبل. وقد حكى عن الشافعي إباحتها لأنها ليست بنتاً شرعية ولا تورث»^(١٩).

وتشير بعض كتب التاريخ الى الإشكال والبلبله اللذين وقعا في صفوف المسلمين إبان تزوج الرسول من زوجة ابنه بالتبني، زيد بن حارثة، الامر الذي ادى الى ورود مثل هذه الآية لتفصيل التدرج العائلي للتحريم، وبشكل قانوني، فانزلت: (وحلائل ابنائكم الذين من اصلا بكم)^(٢٠) وانزلت (وما جعل ادعياءكم ابنائكم)^(٢١) وكذلك (ما كان محمد اباً احد من رجالكم)^(٢٢)،^(٢٣).

نكاح الزنا

وهو كل علاقة، بين رجل وامرأة لا يرتبطان بعقد زواج، يتم فيها الاتصال الجنسي الكامل. وقد حرمه القرآن تحريماً صارماً في مواضع عدة:

(ولا يقتلون النفس التي حرم الله ولا يزنون) (الفرقان ٦٨).

(يبايعنك على ان لا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين) (الممتحنة ١٢).

(١٧) تحرير الوسيطة، الإمام الخميني، المجلد ٢، ص ٢٢٨.

(١٨) فتاوى الزواج وعشرة النساء، ابن تيمية، تحقيق فريد الهنداوي، ص ٤٥.

(١٩) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج ١، ص ٤٦٩.

(٢٠) سورة النساء، آية ٢٣.

(٢١) سورة الاحزاب، آية ٤.

(٢٢) سورة الاحزاب، آية ٤٠.

(٢٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج ١، ص ٤٧٢.

(ولا تقرّبوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلاً) (الإسراء ٣٢).
 (الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) (النور ٢).
 (الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين) (النور ٣).

وقد تدرج القرآن في تقرير عقوبة الزنا، إسوة بالخمر. فكانت عقوبة الزنا أول الأمر الإيذاء بالتوبيخ والتعنيف: (واللذان يأتيانها منكم فاذوهما، فإن تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما)^(٥٤)، ثم تدرج الحكم من ذلك إلى الحبس في البيوت: (واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم، فإن شهدوا فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلاً)^(٥٥)، لينتهي الأمر إلى الرجم استناداً إلى أحاديث منسوبة إلى النبي وإلى آية منسوخة مشكوك فيها تقول: «الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة بما قضيا من اللذة»^(٥٦). ومع ذلك فقد حدّد النبي، الذي عانى من اتهام أحب زوجاته إليه، عائشة وماريا القبطية، بالزنا، شروطاً يستحيل تحقيقها لاثبات التهمة، فمن ذلك وجوب وجود أربعة شهود (من الرجال) يكونون قد راوا الفعل الجنسي بحذافيره، أي دخول ذكر الرجل في فرج المرأة، كالمرود في المحلاة، أو الرشا (الحبل) في البئر^(٥٧)، وهذا شرط مستحيل تحقيقه إذا أخذنا بنظر الاعتبار السرية التامة التي تحيط بالفعل الجنسي، خصوصاً إذا كان غير مشروع. وعلى حد تعبير أحد الأعراب الذين استشهدوا على رؤية ذلك، فقال: «والله ما كنت أرى هذا ولو كنت في جلدة إستهاء».

ويذهب الإمام الخميني إلى أن «التقبيل والمضاجعة والمعانقة وغير ذلك من الاستمتاع دون الفرج، ليست بزنا، بل تستحق التعزير فقط، المنوط بنظر الحاكم»^(٥٨). وعموماً فقد تساهل النبي في ذلك تساهلاً كبيراً، فيروى أن رجلاً اشتكى إلى الرسول قائلاً: «إن امرأتي لا تردّ يد لأمس»، فقال له: «طلقها»، فقال: «إني أحبها»، قال: «فاستمتع بها»^(٥٩). ويقال إن الرسول، بعد اتهام زوجته

(٥٤) سورة النساء، آية ١٦.

(٥٥) سورة النساء، آية ١٥.

(٥٦) فقه السنة، السيد سابق، المجلد ٢، ص ٣٤٢ - ٣٤٧.

(٥٧) المصدر نفسه، ص ٣٤٢.

(٥٨) تحرير الوسيلة، الإمام الخميني، المجلد ٢، ص ٤١٤ - ٤١٥.

(٥٩) فتاوى الزواج وعشرة النساء، ابن تيمية، ص ٦٧.

عائشة بالزنا، انه اتاها وقال لها: «اما بعد يا عائشة، فانه قد بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت الممت بذنب فاستغفري الله وتوبي اليه، فإن العبد إذا اعترف بذنبه وتاب تاب الله عليه»^(٦٠)، ولست اعلم رجلاً من العرب وقف هذا الموقف، بمثل هذا القدر من التسامح وكبر القلب، منه.

نكاح البغايا

منع الاسلام، من جملة ما منع، البغاء، معتبراً إياه من الزنا. ويبدو ان البغاء في الجاهلية كان منظماً تنظيماً جيداً، حيث كانت البغايا يقطعن في خيم خاصة بهن ترفع اعلاماً لمن ارادهن، كما ورد في حديث عائشة، ويقال ان الرايات هذه كانت حمراء. وكُنَّ، لتنظيم دخول الوافدين اليهن طلباً للمتعة، قد جعلن التخنخج او السعال علامة استعدادهن لاستقبال القادم، ومنه سميت البغي بالقحبة، لانها كانت في الجاهلية تؤذن طلابها بقحابها، وهو سعالها^(٦١).

ويستنتج مما ورد في سورة النور: (ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء) ان هنالك الكثير من العوائل التي كانت تدفع بجواريتها وبناتها إلى البغاء طلباً لسعة العيش او حتى لسد الرمق، فلما جاء الاسلام منع ذلك. ويقال ان سبب نزول هذه الآية هو ان اهل الجاهلية كانوا إذا كان لاحدهم أمة (مملوكة) ارسلها تزني وجعل عليها ضريبة ياخذها منها كل وقت^(٦٢). وتحدث المصادر عن بغايا شهيرات في ذلك العصر، فمنهن: عناق، بغية مكة، ومنهن: ظلمة الهذلية، التي يفرد لها التيفاشي بضع صفحات في كتابه هذا.

منع الاسلام ايضاً الزواج من البغي، فمما يروى ان رجلاً من المسلمين استاذن النبي في الزواج من بغية يقال لها: أم مهزول، وكانت تسافح وتشتترط له ان تنفق عليه، فقرأ له الرسول: (الزاني لا ينكح إلا زانية او مشركة، والزانية لا ينكحها إلا زان او مشرك وحرم ذلك على المؤمنين)^(٦٣). ملقياً بالبغاء خارج المجتمع الاسلامي الذي شيده.

اللواط

يقسم الفقه الرسمي اللواط الى قسمين، اللواط الأكبر واللواط الأصغر. فاللواط الأكبر هو جماع الرجل مع الرجل، تشدد الاسلام في عقوبته، فعن

(٦٠) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج ٢، ص ٢٧٠.

(٦١) لسان العرب، ابن منظور، ج ١، ص ٦٦١ - ٦٦٢.

(٦٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج ٢، ص ٢٨٨.

(٦٣) سورة النور، آية ٢. يراجع كذلك تفسير القرآن لابن كثير، ج ٢، ص ٢٦٢ - ٢٦٣.

الرسول انه قال: «من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به»^(٦١)، ويمكننا في هذا تلمس اصداء القوانين التوراتية ايضاً، ففي سفر اللاويين يرد ما نصه: «إذا اضطجع رجل مع ذكر اضطجاع امرأة، فقد فعلا كلاهما رجساً، إنهما يُقتلان، دمهما عليهما»^(٦٢). ومع ذلك فإنني اعتقد أن هذا الحديث «منسوب» الى النبي لأميرين، أولهما: طبيعة الصياغة اللغوية التي تبدو وكأن فقيهاً نحويّاً قد صاغها وليس الرسول، ثانياً: ما ورد في سورة النساء الآية ١٦، ضمن الحديث عن الفاحشة: (واللذان يأتيانها منكم فاذوهما، فإن تابا واصلحا فاعرضوا عنهما إن الله كان تواباً رحيماً) الذي يكاد يجمع الفقهاء على انها نزلت في اللواطيين، حيث ترد عقوبة اللواط، والتي لا تتعدى الإيذاء بالضرب أو بالكلام، أو العفو عنهما في حالة إعلانهما التوبة عن ممارسته لاحقاً.

يبدو أن هذا النمط الجنسي البدائي كان معروفاً في الجزيرة العربية، قبل الاسلام، رغم خلو الشعر الجاهلي من الإشارة اليه، فقد اتهم العديد من سادات قريش، ومنهم أبو جهل، بذلك، رغم أننا نعتقد أن هذا الاتهام الصق به لاعتبارات سياسية - دينية، إلا أن الاتهام نفسه يؤكد تفشي اللواط بين الأرستقراطية القرشية آنذاك إضافة إلى شيوع التخثث والتشبه بالنساء.

أما اللواط الأصغر فهو وطء المرأة من الدبر، وقد أثار بدوره عاصفة من الخلافات بين المذاهب الفقهية. وأصل المسألة هو أن أحد الصحابة (عمر بن الخطاب) قال للنبي ذات يوم: «يا رسول الله، هلكتُ»، فقال له: «وما أهلكك؟»، قال: «حاولت زحلي الليلة»، فلم يرد الرسول عليه بشيء، ثم أنزلت: (نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم)^(٦٣). وقد أثارَت هذه الآية الكثير من النقولات والتأويل، ففقهاء السنة يجمعون عموماً على أنه يقصد بتحويل الرخل وطء المرأة من الخلف، لكن في الفرج، بخلاف فقهاء المذاهب الأخرى، خصوصاً الشيعة، الذين يرون أنها تعني نكاح المرأة من الخلف، لكن في الدبر. كما يرى السنة أن المعنى بـ «الحرث» هو الفرج الذي هو موضع الزرع وافقتوا بتحريم نكاح المرأة في الدبر باستثناء الإمام مالك الذي أباحه في كتاب منسوب اليه يدعى (كتاب السر)^(٦٤)، مطابقاً في هذا التفسير فقهاء الشيعة الذين يرون جواز وطء

(٦٤) صحيح سنن ابن ماجه، تاليف الإلباني، مجلد ٢، ص ٨٣.

(٦٥) الكتاب المقدس، سفر اللاويين، إصحاح ٢٠، سطر ١٣.

(٦٦) سورة البقرة، آية ٢٢٣.

(٦٧) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج ١، ص ٢٦٢. كذلك راجع: فتاوي الزواج وعشرة

النساء، لابن تيمية، ص ١٩٢.

المرأة في الدبر، لكن بموافقتها، فعن الإمام الرضا انه جاء رجل يدعى صفوان بن يحيى وقال: «إن رجلاً من مواليك أمرني أن أسالك عن مسألة هابك واستحيى منك أن يسالك»، فقال له: «وما هي؟»، قال: «الرجل يأتي امرأته في دبرها؟»، قال: «ذلك له»، فقال له الرجل: «فانت تفعل؟»، قال: «إننا لا نفعل ذلك»^(٦٨). كما روي عن جعفر الصادق أن أحداً ساله: «عن الرجل يأتي المرأة في دبرها؟»، فقال: «لا بأس، إذا رضيت»، فقال له الرجل: «فأين قول الله عز وجل: فأتوهن من حيث أمركم الله؟»، قال: «هذا في طلب الولد»^(٦٩).

السحاق

منع الإسلام السحاق أيضاً ووضع له حدوداً مخففة للعقوبة لا تتجاوز الحبس في البيوت شرط توفر أربعة شهود كما في الزنا، باعتباره نكاحاً دون إيلاج، ففي القرآن: (واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم، فإن شهدوا فامسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلاً)^(٧٠)، وهذا يشير إلى أن السحاق كان معروفاً عند الأرستقراطية العربية على الأقل، قبل أن يستفحل أمره ويشيع إلى درجة إشهاره في العصور الإسلامية التالية. ويقال أن هند ابنة النعمان بن المنذر كانت قد أحببت زرقاء اليمامة وساحتها في قصور المناذرة قبل الإسلام محرزة قصب السبق في هذا المضمار.

إتيان البهائم

حرم الإسلام إتيان البهائم تحريماً شديداً، فمن حديث للرسول انه قال: «من وقع على بهيمة فاقتلوه واقتلوا البهيمة»^(٧١)، وهذا الحديث يطابق تماماً وصايا العهد القديم: «إن جعل رجل مضجعه مع بهيمة فإنه يُقتل، والبهيمة تمتوتها. وإذا اقتربت امرأة إلى بهيمة لنزائها تُميت المرأة والبهيمة»^(٧٢). وإتيان العرب للبهائم مشهور، فقد كانت قبيلة فزارة تُغَيِّرُ بذلك، وقد قيل فيها:

(٦٨) الغرغور من الكافي، الكليني، ج ٥، ص ٥٤٠.
(٦٩) تهذيب الأحكام، الطريفي، ج ٧، ص ٤١٤. أيضاً في: الإستبصار فيما اختلف من الأخبار للطوسي، ج ٣، ص ٢٤٢ - ٢٤٣.
(٧٠) سورة النساء، آية ١٥.
(٧١) صحيح سنن ابن ماجه، الألباني، مجلد ٢، ص ٨٢.
(٧٢) الكتاب المقدس، سفر اللاويين، إصحاح ٢٠، السطران ١٥ - ١٦.

لا تامنن فزارياً خلوث به على قلوصك، واكتبها باسبار

(القلوص: الناقة الطويلة القوائم).

كما ورد في الامثال «اشبق من جمالة»، في حق رجل من بني قيس كان ينكح ناقته^(٧٣).

قدسية الجنس والنظام الأمومي

ويمكننا ان نضيف إلى هذه الانماط الجنسية المقموعة، والتي لا نزعم اننا حصرناها كلها، ما يمكن تسميته بالنكاح المقدس او «تقدیس الجنس» عند العرب. فقد ذكر المسعودي ان هناك جماعة من العرب تقدس الإناث وتزعم انها بنات الله، فكانوا يعبدونها لتشفع لهم عنده^(٧٤)، وقد ورد ذكرهم في القرآن: (ويجعلون لله البنات، سبحانه، ولهم ما يشتهون)^(٧٥)، كما وردت الإشارة إلى معبوداتهم الانثوية (افرايتم اللات والعزى، ومناة الثالثة الاخرى، الكم الذکر وله الانثى، تلك إذا قسمة ضيزى)^(٧٦). ويقول ابن جرير ان العرب قد اشتقوا اسم «اللات» من «الله»، يعنون مؤنثة منه^(٧٧). كما ان «الضيزن»، وهو نكاح سبق ذكره، كان في الاصل اسماً لصنم ومنه «الضيزنان»، صنما المنذر الأكبر اللذان وضعهما بباب الحيرة ليسجد لهما من دخلها امتحاناً للطاعة^(٧٨)، و «اساف وناثلة»، صنما قريش اللذان كان يُذبح عليهما تجاه الكعبة، وكانا من قبل رجلاً وامراً دخلا الكعبة ووجدا خلوة فتضاجعا فيها «فمسخهما الله حجرين»^(٧٩) وعبدتهما العرب بعد ذلك. وإذا أضفنا إلى ذلك الطقوس الجاهلية للطواف حول الكعبة، التي كانت تحتم على النساء الطواف شبه عاريات جنباً إلى جنب مع الرجال، يمكننا ان نتلمس إشارات غير منسقة، لكنها قوية، لتقدیس الجنس قبل مجيء الإسلام^(٨٠)، فلما جاء بترها كلها وأبقى فقط الزواج المعلن

(٧٣) الحياة الجنسية عند العرب، صلاح الدين المنجد، ص ٢١.

(٧٤) مروج الذهب ومعادن الجوهر، المسعودي، مجلد ٢، ص ١٢٦ - ١٢٧.

(٧٥) سورة النحل، آية ٥٧.

(٧٦) سورة النجم، الآيات ١٩ - ٢٢.

(٧٧) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج ٤، ص ٢٥٣.

(٧٨) لسان العرب، ابن منظور، ج ١٣، ص ٢٥٤.

(٧٩) مروج الذهب ومعادن الجوهر، المسعودي، ج ٢، ص ٥٠. كذلك راجع: لسان العرب، لابن

منظور، ج ٩، ص ٦.

(٨٠) المزيد من التفصيلات حول مسألة «النكاح المقدس» راجع الدراسة الفريدة التي كتبها =

عنه، بـ «الدّف والمزمار، محوّلًا حق تعدد الزيجات من المرأة إلى الرجل، محصورة بأربع مُعلنات وبعدد لا حصر له (مما ملكت إيمانكم) أي الجاريات، لتقول فيما بعد إلى الجاريات والغلمان معاً، إضافة إلى نكاح «المتعة، المؤقت الذي حرم بعد تحليله بوقت قصير.

ويتضح من التشريعات الإسلامية حول النكاح أن هدف الإسلام الرئيسي كان في تحويل النظام الاجتماعي من النظام الأمومي إلى النظام الأبوي إضافة إلى تنظيم عملية التناسل التي يفصلها الإسلام، في تشريع عقوباته بشأنها، عن العملية الجنسية التي لا تستهدف النسل. ومع ذلك فقد ظلت «صلة الرحم، هي الرابطة الأشد بين أبنائها، الرابطة التي لم يوفق الإسلام في محوها بين العرب أو حتى استبدالها بالصلة اليقينية التي أوجدها.

وفي الواقع لم يكن النظام الأمومي قبل الإسلام ترفاً ولا بطراً، بل كان حاجة اجتماعية أوجدتها كثرة عدد الرجال نتيجة العادة البربرية، التي حرّمتها الإسلام فيما بعد، وأعني عادة «واد البنات، التي يشترك فيها العرب مع العديد من القبائل المتوحشة الأخرى، والتي يظهر جرائها، في كل قبيلة بمفردها، فيض من الرجال تكون عاقبته الأولى، بصورة لا بد منها، تشارك بضعة رجال في امتلاك زوجة واحدة، أي شكل تعدد الأزواج، مما ينجم عنه أن أم الولد تكون معروفة بينما أبوه يكون غير معروف. ولهذا فإن حسلب القرابة لم يكن يسير إلا حسب الخط النسائي لا الرجائي، وهذا هو الحق الأمومي. أما العاقبة الثانية لنقص النساء داخل القبيلة فهي خطف نساء القبائل الأخرى بالقوة، وباستمرار^(٨١).

وبمجيء الإسلام، الذي حرّم الواد، واتساع الفتوحات التي حولت الغزو من داخل القبائل العربية إلى الخارج، حدث فيض كبير في النساء المختطفات بالقوة (السبايا) اللواتي كن يجلبن من اصقاع المعمورة إلى مركز الدولة الإسلامية المنتصرة وأسيادها، مما أوجد خلخلة من نوع مغاير داخل تركيبة المجتمع الجديد. فمن جهة كان الأشراف وأفراد الأسر الحاكمة غارقين في طوفان من النساء والغلمان، بينما كانت الفئات الفقيرة، خصوصاً الجنود، لا يتاح لهم حتى امرأة مؤقتة واحدة من بين آلاف النساء اللواتي كن يغمرن الامبراطورية الإسلامية، خصوصاً بعد أن حرّم عمر بن الخطاب زواج المتعة الذي أباحه الرسول، والذي كان نوعاً من الحل ما زالت تبجيحه الشيعة الإمامية إلى الآن.

= سيد محمود القمني (القمر الأب، أو الضلع الأكبر في الثالث)، مجلة الكرمل، العدد ١٩٨٧/٢٦.

(٨١) أصل العائلة والملكية الخاصة والدولة، فريدريك أنجلز، المختارات، ج ٢، ص ١٦٥.

ادت هذه الخلطة الجديدة إلى شيوع علاقات جنسية غير مسموح بها شرعاً، بين نساء غير مشبعات جنسياً ورجال محرومين، إضافة إلى شيوع أنماط جنسية جديدة بين افراد الأرستقراطية الإسلامية كنوع من الترف الجنسي الذي كانوا يعيشونه (يكون ابطاله حريمهم او غلمانهم، او كليهما معاً)، وبين افراد الطبقات الفقيرة التي كانت تجد ضالتها في دور البغاء والقوادين او في الحمامات وزوايا المساجد (مع الغلمان والمؤاجرين)، حيث يقوم التيفاشي، في كتابه هذا، بمهمة الموثق الدقيق لهذه الفئات التي كانت تخوض في الحرام، منقبا عنها في جيولوجيا القاع، قاع الايروتيكية العربية المحظور.

نزهة الألباب فيما لا يوجد في كتاب

يجهد هذا الكتاب في تناول موضوع نادر في تاريخ الأدب الايروتيكي العربي، إذ يقدم مسحاً شاملاً للظواهر الجنسية المتخفية منها والظاهرة، في المجتمع الإسلامي، حتى نهاية منتصف القرن السابع الهجري، أي قبل وفاة المؤلف ببضع سنين، متناولاً طبقات القوادين والزناة واللوطيين والمساقيات واساليب عملهم واتصالهم بتركيز دؤوب قل ان يوجد مثله حتى في كتب التاريخ التقليدية الأخرى، جامعاً قدر الإمكان اهم النصوص الشعرية والفكاهية السائدة آنذاك، والتي مازالت تحتفظ بروبقها إلى الآن، سابكاً إياها بلغة فحمة واسلوب رصين تفتقده الكتب الأخرى المصنفة حول الموضوع عينه.

قسّم التيفاشي هذا الكتاب الفريد إلى اثني عشر باباً اضاف إليها مجموعة من الفصول والنوادر والاشعار اسبغت على رصانته مناخاً من المرح والفكاهة ينقله من كتاب جاد ورصين مدون بأسلوب اكايمي بحث إلى كتاب متعة وتفكّه، وبالعكس. الأمر الذي يجعل منه موسوعة جنسية متكاملة بمادتها العلمية - الواقعية، المبنية على المشاهدة والتدقيق، وبطرائفها واشعارها اللذين بذل المؤرخ والاديب والعالم والجغرافي احمد بن يوسف التيفاشي جهداً مضمناً في جمعهما، سواء من افواه الناس ويطون الكتب او من المشاهدة العيانية والتجربة الشخصية، ليخرج هذا الكتاب الذي لا مثيل له، كتاب ما لا يوجد في أي كتاب.

تقسم ابواب الكتاب إلى ما يلي:

«مقدمة الكتاب»: يمهّد فيها التيفاشي لأسباب كتابته هذا الكتاب من خلال إيراد بضعة احاديث عن الرسول والصحابه تتناول إباحتهم للمزح والفكاهة وتحبيذهم لها في الاوقات المناسبة. ثم يورد اخباراً ونوادر واشعاراً لشخصيات

تاريخية معروفة تدور حول الشأن نفسه، ليضع بعدها ابواب الكتاب ويبين سبب تسميته بهذا الاسم.

الباب الاول: «في الصفع وما فيه من الفوائد والنفع»، تناول فيه تلك الطبقة الطفيلية التي ظهرت في العصور الإسلامية المتأخرة، وهي طبقة (المنصفعة) المدرجة ضمن حاشية السلاطين واصحاب النفوذ، وتكون وظيفتها تلقي الصفعات من اسيادهم الذين يودون التنفيس عن غضبهم او «التعبير عن مودتهم، بهذا الاسلوب السادي. وفي الحقيقة فإن هذا الباب هو الباب الشاذ الوحيد الذي لا علاقة مباشرة له بالجنس، محور الكتاب. يقوم فيه الكاتب بتبيان فضائل الصفع والامتيازات التي يحصل عليها المنصفع ويبين اقسام الصفاع مفنداً الحجج التي قامت ضده باسلوب لا يمتلكه إلا عالم طبيب يمسك زمام اللغة. ورغم ان المؤلف امتدح كثيراً (المنصفعة) وعدد فضائلهم فيجب ألا يؤخذ ذلك منه مأخذ الجد، فهو وإن فعل ذلك فإنه جمعهم مع القوادين والقحاب والمؤاجرين في كتاب واحد. ويمكن اعتبار هذا الباب توثيقاً للنزعات «السادو - مازوشية، المتحكمة في ذوي السلطان وحاشيتهم من المنصفعة، وما أكثرهم في عصرنا الحاضر.

الباب الثاني: «في اصناف القوادين والقوادات، وما جاء فيهم من نوادر واشعار»، وفيه يتكلم المؤلف عن انماط القوادة السائدة في ذلك العصر وحيل القوادين في الإيقاع بالزبائن، مقسماً إياهم إلى اثنين وعشرين صنفاً من القوادين والقوادات، سواء من قاد منهم على البغايا أو على الغلمان، ثم يورد فصلاً طويلاً يتناول فيه «ما جاء فيهم من الأخبار والنوادر»، إضافة إلى الاشعار التي لها صلة بهم وبمهنهم.

الباب الثالث: «في شروط الزناة وعلامات القحاب»، وفيه يصف مستلزمات الزاني الضرورية التي لا بد منها لإصطياد المرأة التي يريد، مقدماً دليل عمل له، مستعيناً بالنوادر والاشعار. ثم يختم الباب بتبيان علامات المرأة الزانية وانماط سلوكها لتسهيل الإيقاع بها وكذلك إدراج العلامات التي يستدل بها على محبتها له.

الباب الرابع: «في القحاب المتبذلات، ونوادر اخبارهن وملح اشعارهن»، فيه يقسم المصنف القحاب إلى سبعة اصناف، كل صنف بحسب الطريقة التي يتبعنها للإتصال بالزبائن او اصطيادهم، وبين الحيل التي يلجأن إليها لنيل غايتهن من كل واحد احد منهم.

ثم يليه فصل جمع فيه التيفاشي من النوادر والاخبار ما استطاع، يليه فصل آخر يتضمن ملح الاشعار لهذا الباب.

الباب الخامس: «في نوادر اخبار الزناة وملح اشعارهم وحكاياتهم»، ضم فيه التيفاشي الحكايات والاشعار التي اطلع عليها في بطون الكتب او سمعها اثناء تجواله الطويل في بلدان المشرق والمغرب او مرت به عياناً إسوة بالابواب الأخرى التي ستليه.

الباب السادس: «في شروط اللاطة وعلامات المؤاجرين»، يذكر فيه صفات اللاطة وشروط عملهم، مقتبساً من الجاحظ، ومن تجربته الشخصية. ثم يذكر صفات الغلام المؤاجر وكيفية الإستدلال بها عليه.

الباب السابع: «في نوادر اخبار المرد المؤاجرين، وملح اشعارهم»، جمع فيه النوادر التي تخص المرد والاشعار التي قيلت فيهم.

الباب الثامن: «في نوادر اخبار اللاطة، وملح اشعارهم»، وهو باب مستفيض في نوادر اللواطيين، يليه فصل في ملح الاشعار التي تناولتهم، ثم فصل ظريف فيه تقليد مسجوع من قاضي الفسقة إلى نائبه في الاسكندرية يتضمن وصاياها له.

الباب التاسع: «في ادب الدب، ونوادر اخباره وملح اشعاره»، والدب معناه: إنتهاز حلول الظلام ونوم الناس للزحف إلى غلام نائم، او رجل، ومضاجعته دون ان يدري، ويبدو ان هذه العادة كانت مستفحلة منذ عصر الجاحظ الذي تناولها في بطون كتبه وامتدت إلى ما بعد عصر التيفاشي، الذي يتحدث في الفصل الاول من هذا الباب عن شروط الداب والاشياء التي يجب ان يستعين بها للنيل ممن يشتهيها، ثم يليه فصل في النوادر والفكاهات التي جرت حول حوادث الدب، وفصل آخر لرواية الاشعار التي تدور حول هذا الموضوع.

الباب العاشر: «في إتيان الإناث كما في الذكور، وما قيل فيه من نوادر وملح الاشعار»، تناول فيه نكاح المرأة من الدبر، طبياً وفقهياً، مستنداً إلى احاديث الرسول والفقهاء وتعليقاتهم اللغوية والفقهية حول الآية المشهورة: (نساؤكم حرث لكم)، ثم يورد فصلاً جمع فيه نوادر هذا الباب، وفصلاً آخر لاشعاره.

الباب الحادي عشر: «في ادب السحق والمساحقات، ونوادر اخبارهن، وملح الاشعار فيهن»، وهو باب خاص بالسحاق، تناول فيه العوامل الفسيولوجية في تكوين هذا الميل عند النساء ووجهة نظر الاطباء والحكماء، في ذلك العصر، في اسبابه. ثم يتحول إلى الحديث عن شروطهن وصفة عملهن وعن كيفية ممارسة

السحق فيما بينهن، مordأ بعض الحكايات والنوادر حولهن. ثم يخصص فصلين أولهما «في مدح السحق والإحتجاج له»، والثاني «في ذم السحق»، من خلال إيراد النوادر والأشعار التي نظمت في ذلك.

الباب الثاني عشر: «في الخناث والمخنثين، وما جاء فيهم من نوادر وأخبار وملح وأشعار»، وهذا هو الباب الأخير في الكتاب وأكثره تفصيلاً، قسمه المصنف إلى ثمانية فصول، وهي:

- (١) في معنى الخناث وسببه، على رأي الفلاسفة.
- (٢) في أسماء المخنثين من كفار قريش ومن ضرب به المثل.
- (٣) في أخبار مجان المخائنة المتهتكين، في الدولتين الأموية والعباسية.
- (٤) في طرف أخبار المخنثين العصرية.
- (٥) في مسائل سألت عنها، في هذا الباب، فاجبت عنها.
- (٦) في نوادر المخنثين وملحهم.
- (٧) في ملح ما جاء من الأشعار، في المخنثين، والإحتجاج بها لهم وعليهم.
- (٨) في سبب الخناث وعلاجه، على رأي محمد بن زكريا الرازي.

المؤلف

هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يوسف التيفاشي القيسي، وفي الاعلام للزركلي «شرف الدين أحمد بن يوسف القيسي التيفاشي»^(٨٢). ولد في قرية تيفاش عام ٥٨٠ هـ / ١١٨٤ م، وكانت من قرى قفصة التونسية إلا أنها الآن ضمن قسنطينة بالجزائر. نشأ التيفاشي بين تيفاش وقفصة برعاية والده الذي كان قاضياً هناك، حيث تتلمذ على يد أبي العباس أحمد بن أبي بكر المقدسي ثم دخل تونس العاصمة وهو صغير السن فأخذ من شيوخها. سافر في حداثته إلى القاهرة وقرأ فيها على يد العلامة موفق الدين عبد اللطيف البغدادي، ثم إلى دمشق مشغلاً فيها على يد تاج الدين الكندي.

قضى التيفاشي مدة طويلة، غير معروفة، في الشرق ليعود بعدها إلى وطنه متولياً منصب القضاء في ظل الدولة الحفصية، ومن ثم إلى مصر لتولي المنصب عينه فيها، ثم يقوم بجولات طويلة، فيما بعد، إلى أرمينية والعراق وفارس يعتقد

(٨٢) الاعلام، خير الدين الزركلي، ج ١، ص ٢٧٢.

انها كانت لتقصي المعادن والاحجار قبل ان يصنف كتابه الشهير «ازهار الافكار في جواهر الاحجار»^(٨٣).

تاخذ مؤلفات التيفاشي، التي سدرجها بعد حين، طابعاً متنوعاً وموسوعياً، غنياً غنى العصر الذي نشأ وترعرع فيه، نعني عصر الدولة الموحدية المنتصرة، المنفتحة على المعارف والعلوم في المغرب، وعصر الناصر صلاح الدين الايوبي من جهة المشرق. ويمكننا ان نلمس عمق الانفتاح العقلي عند الموحيدين، الذين نشأ التيفاشي تحت ظل جناحهم، من خلال الاطلاع على العناوين التي ادرج المؤلف موضوعاتها في هذا الكتاب فقط. فالموحدون لم يكونوا الحماة العسكريين لجسد الامة من الظلام الكاثوليكي القادم من الغرب فقط، بل كانوا حماة عقلها ايضاً باحتضانهم لكل المفكرين والعلماء والادباء الهاربين من جور الاسبان في الاندلس^(٨٤) وحرصهم على توفير مناخ عقلي حر يطلق طاقاتهم المبدعة بكل تنوعاتها، هذا المناخ الذي سيفتقده العرب لقرون طويلة قادمة. تثير قائمة مؤلفات التيفاشي الحيرة حول كنه طاقته الابداعية، فالذي اطلع على كتابه الاول «في جواهر الاحجار» سيصاب بالدهشة حينما يرى ان الكاتب قد صنف انواع الزناة والقوادين، في كتابه هذا، بمثل العناية التي صنف بها الاحجار الكريمة في كتابه السابق، والقارئ سيتلمس بلا ريب، من خلال لغة الكاتب، معرفة مدى إطلاعه الجغرافي والتاريخي والطبي زائداً أبهة لغوية تضاف إلى ثقافته الادبية ومعرفته الحميمة بحياة الناس اليومية في عصره.

تورد موسوعة بروكلمان خمسة مؤلفات فقط للتيفاشي، بينما تضم القائمة التي صنفها اسماعيل باشا البغدادي (هدية العارفين) حوالي ضعف هذا العدد، ويمكننا هنا إدراج ما امكن تصنيفه له ونسبته إليه في شتى المصادر^(٨٥):

١ - ازهار الافكار في جواهر الاحجار: «كتاب في علم المعادن والاحجار الكريمة، صنف فيه التيفاشي ٢٥ نوعاً منه. طبع الكتاب في مصر عام ١٩٧٧ بتحقيق السيدين محمد يوسف حسن ومحمد بسيوني خفاجي».

(٨٣) ازهار الافكار في جواهر الاحجار، احمد التيفاشي، تحقيق د. محمد يوسف حسن / د. محمد بسيوني خفاجي، ص ٩، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٧٧.

(٨٤) راجع مقدمتنا لكتاب (الروض العاطر في نزهة الخاطر) للنفزاوي، رياض الرئيس للكتب والنشر، لندن، ١٩٩٠.

(٨٥) هداية العارفين، إسماعيل باشا البغدادي، استانبول، ١٩٥١، وموسوعة بروكلمان / ازهار الافكار في جواهر الاحجار للتيفاشي.

٢ - المنقذ من التهلكة في دفع مضار السموم المهلكة: «كتاب طبي عن المعادن والأحجار».

٣ - الدرة الفاتقة في محاسن الافارقة «وهو كتاب مفقود».

٤ - رجوع الشيخ إلى صباه في القوة على الباه «كتاب في الثقافة الجنسية، تُسبب خطأ إلى ابن كمال باشا، لكن بروكلمان وجورج سارتون في كتابه (مقدمة لتاريخ العلم) ينسبانه إلى التيفاشي^(٨٦). وقد اطلعت مؤخراً على نسخة تجارية منه (بلا محقق أو دار نشر) امكنتني خلال مقارنتها تأكيد ظني بنسبتها للتيفاشي لا إلى ذلك الباشا التركي».

٥ - سجع الهديل في اخبار النيل: «كتاب في جغرافية مصر ووادي النيل. ورد إقتباس منه في (بدائع الزهور في وقائع الدهور) للحنفي الذي ذكره بإسم: سجع الهديل في اوصاف النيل»^(٨٧).

٦ - سرور النفس بمدارك الحواس الخمس: «يقول القلقشندي ان هذا الكتاب وضع في جغرافية البلدان»^(٨٨).

٧ - الشفا في الطب عن المصطفى: «كتاب في المعرفة الطبية تبعاً لأحاديث الرسول كما يبدو».

٨ - قادمة الجناح في النكاح: «كتاب جنسي في الجماع».

٩ - الديباج الخسرواني في شعر ابن هاني: «شرح ديوان محمد بن هانيء التونسي الأندلسي».

١٠ - درة الال في عيون الاخبار ومستحسن الاشعار: «كتاب في التاريخ والشعر كما اعتقد».

١١ - نزهة الالباب فيما لا يوجد في كتاب: «وهو كتابنا هذا».

١٢ - فصل الخطاب في مدارك الحواس لاوي الالباب: «وهو موسوعة التيفاشي الكبيرة في مختلف انواع العلوم والتاريخ والجغرافية والآداب، قال عنها ابن منظور انها تتألف من أربعين مجلداً. ويعتقد انها تضم جميع مؤلفاته التي ذكرناها إضافة إلى مؤلفات أخرى لم تورد سابقاً هي:

(أ) متعة الاسماع في علم السماع: «وهو كتاب في الرقبص والموسيقى عند الشعوب».

(ب) كتابان في «تاريخ الامم»، وهما مفقودان.

Introduction to the History of Science, George Sarton, 1931.

(٨٦)

(٨٧) بدائع الزهور في وقائع الدهور، محمد بن إياس الحنفي، ج ١، ص ٦٤.

(٨٨) صبح الاعشى في صناعة الإنشاء، أحمد القلقشندي، ج ٤، ص ٧٧.

ج) ظل الاسحار على الجلنار في الهواء والنار وجميع ما يحدث بين السماء والارض من آثار: وهو كتاب في وصف الفصول الاربعة والانواء وظواهر الطبيعة، يعد اقدم موسوعة في علم الارصاد الجوية.^(٨٩)

ويعتقد ان هذه الموسوعة التيفاشية قد وقعت للأسف بيد ابن منظور الذي قام باختزالها والعبث بها متلفاً واحدة من اعظم الموسوعات في التراث الحضاري الإنساني التي افنى هذا العالم الكبير سنوات عمره في كتابتها قبل ان يوافيه الاجل في القاهرة عام ٦٥١ هـ/١٢٥٣م^(٩٠).

المخطوطات

استغرقت في نفث الغبار عن هذه الدرة الثمينة قرابة السنتين، مشتغلاً فيها على ثلاث مخطوطات تختلف في مستويات إتقانها النسخي وامانتها للأصل وهي على التوالي:

١ - مخطوطة المكتبة الوطنية في باريس رقم [Arabe 5943] وهي اكمل النسخ وادقها، استعملتها بشكل أساسي لتحقيق الكتاب. يرجع تاريخ نسخها إلى عام ٩٧٢هـ/١٥٦٣م رمزت إليها بالحرف [١].

٢ - مخطوطة المكتبة الوطنية في باريس رقم [Arabe 3055] وهي نسخة مكتوبة بخط واضح لكنها مليئة بالأخطاء اللغوية والإملائية، كما فيها الكثير من المقاطع المحذوفة بتعمد حتى كان رقيباً كان عليها. لم يدون عليها تاريخ النسخ، لكن في اولها بعض تواقيع للملكية تحمل اسماءهم وتواريخ تملكهم لها، اقدمها ما دون فيه «من كتب الفقير محمد شاهين الحموي غفر الله له في سنة ١٠٩٩هـ. اي ١٦٨٧، استعملت كنسخة مساعدة ورمزت إليها بالحرف [ب].

٣ - مخطوطة المكتبة الملكية في كوبنهاغن رقم [COD. Arab CCXII] وهي مخطوطة مكتوبة بخط جيد لكنها تشابه المخطوطة (ب) من حيث الحذف والابتسار كأنما هي نقلت عنها. تخلو كذلك من تاريخ التدوين، لكنني أرجح الفترة نفسها التي نسخت فيها مخطوطة (الروض العاطر) التي حققناها سابقاً، اي عام ١١٣٣هـ/١٧٢٠م، لأنها جُلبت في الفترة نفسها التي كان فيها الرحالة

(٨٩) ازهار الأفكار في جواهر الاحجار. احمد التيفاشي، ص ١٢ - ١٦.

(٩٠) المصدر نفسه، ص ١٠.

الدانماركي، المستشرق فون هاون Von Haven يجوب بلاد العرب بحثاً عن المخطوطات، ورمزت إليها بالحرف [ج].

حاولت في بادئ الامر ان ابين جميع الفروق بين المخطوطات، لكنني بعد ان قطعت شوطاً طويلاً وجدت ان الهوامش ستزيد من حجم الكتاب إلى الضعفين، فقررت فقط ان اشير إلى ما التبس علي، وهو نادر جداً، أو إلى الكلمات التي تحتل عدة قراءات في المخطوطات الأخرى، ثم اضفت جميع النصوص الزائدة في النسختين [ب، ج] إلى هوامش الكتاب واشرت إلى مصدرها، أما باقي الجهد فسيلحظه القارئ حينما يتصفح هذا السفر الرائع الذي سيلقي أضواء جديدة على واقع الحياة اليومية في العصور الإسلامية السابقة، اجتماعياً وسيكولوجياً، بنصه الكامل الذي يمكنني انؤكد بانه اقرب إلى الاصل الذي كُتب فيه بشكل كبير. إنني لأرى التيفاشي يبتسم في قبره.

جمال جمعة ١٩٩١

بسم الله الرحمن الرحيم
وصلّى الله على سيّدنا ومولانا محمد وآله وصحبه
وسلم

الحمد لله الذي علّم طبع الإنسان في الملأ ، وعجزه عن تحمّل الأثقال ، فأباح
له الإحماض^(*) في الأقوال والأفعال ، وجعل لكلّ وقت حالاً من الأحوال ، ولكلّ مقام
مقالاً يليق به من الأقوال ، وجعل ملجّ الآداب جلاءً للعقول وصيقلاً لصدأ
الآلباب ، وحبّتها لأهل المروءات في الخلوات كما حبّبتها لهم في الجلوات ، وجعلها
مع الخواصّ من الحسنات ، ومع العوام من السيئات .

نحمده على نعمه التي لا تحصى ولا تُحدّ ، ونصلّي على نبيّه محمّد أزكى من مزج
وجّد ، وعلى آله وأصحابه صلوات لا تنحصر بحدّ ، ولا تقف عند حدّ .

وبعد : فهذا كتاب (نزهة الآلباب في ما لا يوجد في كتاب) يشتمل على مقدمة
وابواب تُذكر بعد المقدمة .

(*) الأحماض : الانتقال من الجّد الى الهزل .



مَدَرَةُ الْكُتَابِ

رُوي عن ابن عباس، رضي الله عنه، أنه قال: مَرَّخَ رسولُ الله، صلى الله عليه وسلم، فصار المزجُ سُنَّةً. وكان يمزج فلا يقول إلا حقاً.

وقال لامرأة كانت عنده: (الحقي بعلك، فإن بعينه بياضاً)، فانتته مرعوبة فآخبرته، فقال: (إن في عيني بياضاً وسواداً بغير سوء).

وأخرج الحافظ ابو نعيم الاصفهاني بسندٍ مرفوع حذفته طلباً للاختصار، أن ضهيياً قال:

قدمتُ على رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وبين يديه تمر وخبز فقال: (أذن وكل)، فأخذتُ أكل من التمر فقال: (اتاكل تمرأ وانتَ رَمْدٌ؟)، فقلتُ: (يا رسول الله، امضعهُ من الناحية الأخرى)، وأنا امزج مع رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فضحك حتى نظرتُ نواجذه.

وقال يوماً لعجوز كانت عنده: (إنَّ العجوزَ لا تدخل الجنة)، فبكت. فقال: (يتحولن شبابات)^(١).

وقيل لسعيد بن عبد الله: (المزجُ مُجَنَّةٌ)^(٢)، فقال: (بل سُنَّة، ولكنَّ الشان فيمن يحسنه ويضعه في مواضعه).

ولذلك قالت الحكماء: (المزجُ في الكلام كالمزجِ في الطعام)، أي خذ منه وقت الحاجة قدر الكفاية.

(١) أ، ب: شبابات.

(٢) أ: محنة.

وعبث رجل بين يدي رسول الله بكثرة الضحك، فقال: (أما إنَّه يدخل الجنة وهو يضحك).

وروي إنَّ عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا، عليهما السلام، التقيا يوماً فقال يحيى لعيسى: (مالك تلقاني ضاحكاً كأنك آمن؟)، فقال له عيسى: (ومالك تلقاني عابساً كأنك آيس؟). فأوحى الله، تعالى، إليهما: إنَّ احْبُكُما إلي احسنكما بي ظناً.

وكان في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، دُعابةٌ. وكان يقول: (مَنْ طال أيرُ أبيه تمنطق به)، أي مَنْ كثر أهل بيته استظهر بهم.

وقالت له امرأة: (قد زوّجتُ بنتي وهي أربعة اشبار، فطلبها بعُلهَا)، فقال: (أربعة اشبار تُدخلُ شبراً).

ومن أحسن ما قيل في المزح قول العتبي: «الإفراطُ في المزح مجون، والإقتصاد فيه ظُرف، والتقصير عنه ندامة».

وروي عن ابن عمر، رضي الله عنه، أنَّه كان يقول لأصحابه: (احمضوا، رحمكم الله)، أي خذوا في الفكاهات.

وقال أبو الدرداء: (إني لأجَمُّ نفسي بشيء من الهزل لأقوى به على الجد). ومن كلام الحكماء: «رَوَّحُوا النفوس تارةً بخارة، فإِنَّهَا تصدأ كما يصدأ الحديد».

وقال الجاحظ: «القول السَّخِيفُ في أماكنه كالقول السَّديد في مواطنه».

وقال أبو فراس الحمداني^(٣):

- شعر -

أرواحُ النفسِ ببعضِ الهزلِ تجاهلاً مني بغيرِ جهلِ
أمزحُ فيه مزحَ أهلِ الفضلِ والهزلُ أحياناً جَلاً للعقلِ
وقال محمد بن عبد الله بن طاهر: «السَّخْفُ في مجالس الأُنسِ ظُرفٌ، والتحفظُ في المداعبة سَخْفٌ، والكناية في المطاوعة تُرف»^(٤).

وكان الزهري يقول: «خذوا من العلوم نُتفها»^(٥)، ومن الآداب ظُرفها.

وقال الأصمعي: «شهرتُ بالآداب ونلتُ بالمُلح».

(٣) ١: أبو نواس الحمداني (١)

(٤) ١: برد. ب: ترف. وناقصة من ج.

(٥) ب، ج: نبعها.

وقال التَّطْلَام: «المَلَحْ تجمع المحاسن وتؤنس المجالس والمعاشر».

وخطب المغيرة بن شعبه امرأة فامتنعن عليه، فقال لها: (إن تزوجتني ملأت بيتك خيراً وبطنك أيراً)، فاجابته.

وقال إبراهيم بن المهدي: «جَدَّ الأدب جَدَّ، وهَزَله جَدَّ، وفُحْشُه رُشْد».

ودخل أبو حنيفة على الأعمش يعوده، فقال له: (يا أبا محمد، لولا أنه يثقل عليك لعدتُك في كل يوم)، فقال له: (إنَّكَ لَتُنْقِل عليّ وانت في منزلِك، فكيف في بيتي؟).

وقال معاوية بن أبي سفيان: (أكلتُ الحلوى والحامضَ حتى ما أجد لهما طعماً، ونكحتُ حتى ما أبالي امرأة أتيت أو جذع حائط، فما بقي من لذتي غير جليس أسقط بييني وبينه مؤونة التحفظ).

وقال يوماً للمغيرة بن شعبه: (ما الذُّ الأشياء؟)، فقال: (ليخرج من ههنا من الأحداث)، فلما خرجوا قال^(٦): (الذُّ الأشياء إسقاط المروءة)، أي الحياء.

وقال عبد الملك بن مروان لسويد بن علقمة^(٧) يوماً: (أخبزني عن عشرة أشياء في جسدك أول اسمائها كاف، ولك بذرة)^(٨)، فقال: (هي الكف والكوع والكرسوع والكثف والكاهل والكبد والكلية والكرش والكفل والكعب)، فقال له: (أخطأت، ليس للإنسان كرش، فهات تمام العشرة!)، فقال: (أبلغني ريقی)، فقال: (أبلغتك الفرات وأن تأتي بها). فقام سويد إلى الخلاء يريق الماء، فلما حلَّ سراويله نظر إلى ذكره فجعل يعدو وهو محلول السراويل ويقول: (الكمرة، الكمرة)، وهي تمام العشرة)، فضحك عبد الملك وأمر له ببذرة.

وقال الأصمعي:

قال لي يوماً الرشيد: (انشدني اشعر ما تعرف في المجون)، فانشدته:

- شعر -

المُ قرني وعَمَّار بن بشر نشاوى ما نفيق من الخمر؟
وكنا نشرب الإسفنت^(٩) صرقاً ونسفع^(١٠) بالصغير والكبير

(٦) ١: فقال.

(٧) في (الكشكول) للبحراني: سويد بن غفلة. وترد الحكاية بتفصيل أوسع. (راجع الكتاب ج ١، ص ٦٢ - طبعة دار ومكتبة الهلال - بيروت ١٩٨٦).

(٨) البذرة: عشرة آلاف درهم.

(٩) الأسفنت: اسم للخمر.

(١٠) نسفع: نضرب ونلطم. وفي ب. ج: نشفع.

إذا ما قحبة رُفعتُ لنيكِ حملناها هنالك بالأيور
بكلّ مدورٍ صلبٍ متينٍ شديد الرّهز ليس بذِي فتورٍ
قال الأصمعي: وانشدتُ محمد بن عمران قاضي المدينة، وكان اعقلُّ مَنْ رأيتُ
من القرشيين: - شعر -

يا أيّها السائلُ عن منزلي نزلتُ في الحال عليّ نفسي
يغدو عليّ الخير من جائرٍ لا يقبلُ الرهنَ ولا يُنسي^(١١)
أكلُ من كسّي ومن كسوتي حتى لقد أوجعني ضرسي
فقال: (اكتبها لي)، فقلتُ له: (اصلحك الله، إنما تروى هذه الأحاديث)، فقال:
(ويحك! الأشراف تعجبهم الملاحه).
(فقال) وانشدتُهُ يوماً لرجل في امراته: - شعر -

ليس لها حسنٌ ولا بهجةٌ من المهازِيلِ الطوالِ السَماجِ
سوداء في عارضها صُهبةٌ كأنّ ثدييها ضروغُ النعاجِ
فضحك وقال لي: (يا أبا سعيد، ما تعجب الملُحُّ إلّا عقلاء الرجال).
قال أحمد التيفاشي: وانشدني الرشيد القوي، قال:
انشدني الفقيه الغزالي لبعض ادباء المغرب. وقد ترك الفقه والجذّ ومال إلى
الهزل: - شعر -

عذلوني عن الحماسة جهلاً وهي من عقلهم الذّ وأحلى
لؤلؤوا ما لقيتُ من حرقةِ العقدِ لـ لساروا إلى الحماسة رُسلاً
خَمَقِي قائمٌ بقُوتِ عيالي ويموتونَ إنْ تعاقلتُ، هُرْلاً
ولغيره في المعنى: - شعر -

ذَمُّوا الحماسةَ وازدروا بحقوقها وتهافتوا^(١٢) بحديثها في المجلسِ
وهي التي تبقى وفي يدها الغنى وتحدّث الدنيا برغمِ المفلسِ

(١١) ينسي: أي يبيع بالنسيئة، وهي تأخير دفع الثمن وتأجيله.

(١٢) ج: وتهافتوا.

إِنَّ الحِمَاقَةَ لِلغِنَى جَذَابَةٌ جَذَبَ الحَدِيدُ حَجَارَةَ المَغْنِيطِ
قال أحمد المؤلف:

الواجب بعد هذا كله تَجَنَّبُ الإنبساطَ مع غير أهل الأدب، فَإِنَّ الإنبساطَ مع
العوام مَهْلِكَةٌ لِلْعَرَضِ، مَثَلُهُ لِلجَاهِ والحِرمَةِ. وكما أَنَّهُ عِنْدَ أُولَى الأَدَبِ ظَرْفٌ،
فكَذَلِكَ هُوَ عِنْدَ أَجْلَافِ العَوَامِ سُخْفٌ.

وقد قال الحكيم الفاضل افلاطون: «انبساطك عورة من عوراتك، فلا تبذله إلا
لما مَنَ عَلَيْهِ وحَقِيقَ بِهِ».

- شعر^(١٣) -

فَمِى انْقِبَاضٍ وَحِشْمَةٍ، فَاذَا لَاقَيْتُ أَهْلَ الوَفَاءِ وَالكَرَمِ
أَرْسَلْتُ نَفْسِي عَلَى سَجِيَّتِهَا فَقُلْتُ مَا قُلْتُ غَيْرَ مُحْتَشِمِ

قال المؤلف

قامت جملة هذا الكتاب من إثني عشر باباً

الباب الأول: في الصَّغْعِ، وما فيه من الفوائد والنفع.
الباب الثاني: في القَوَادِينِ والقَوَادَاتِ، وما جاء فيهم من نواذر وأشعار.
الباب الثالث: في شروط الرِّئَاةِ وعلامات القحَابِ.
الباب الرابع: في القحَابِ المتبَدَّلَاتِ ونواذر أخبارهن ومُلَحَّ اشعارهن^(١٤).
الباب الخامس: في نواذر أخبار الرِّئَاةِ ومُلَحَّ اشعارهم.
الباب السادس: في شروط اللَّاطَةِ وعلامات المؤاجِرِينَ^(١٥).
الباب السابع: في نواذر أخبار المُرْدِ المؤاجِرِينَ ومُلَحَّ اشعارهم.
الباب الثامن: في نواذر أخبار اللَّاطَةِ ومُلَحَّ اشعارهم.
الباب التاسع: في أدب الدَّبِّ ونواذر أخباره ومُلَحَّ اشعاره.
الباب العاشر: في إتيان الإناث كما في الذكور، وما قيل فيه من الأخبار
والأشعار.

(١٣) البيتان منسريان إلى ابن كناسة (ت ٢٠٧ هـ)، راجع كتاب «القيان» تحقيق جليل العطية -
شركة رياض الرئيس للكتب والنشر ١٩٨٩ - لندن.

(١٤) ١: اشعارهم.

(١٥) المؤاجر: مَنْ يبيع نفسه بأجر.

الباب الحادي عشر: في ادب السَّحْقِ والمساحِقات، ونوادره واخباره واشعاره.

الباب الثاني عشر: في المختثين وما جاء فيهم من الاخبار والنوادر والاشعار. وترجمته بـ (نزهة الالباب في ما لا يوجد في كتاب).

وذلك اتي جمعت فيه نوادر اخبار، وملح اشعار، وتضمن نازلة عجيبة، وحكاية غريبة، وادع ملحظ ظريفة، او نادرة لطيفة تُغني عن احاديث الاسمار، ويختار سماعها على سماع نغمات الاوتار، ويُعتبر^(١) منها، على بشاعة لفظها، غاية الاعتبار. إذ ليس فيها باب إلا وقد اشتمل على فوائد شريفة واخبار منيفة. ومعظم ذلك مما وقع في هذا الزمان وشاهدناه بالمغرب والمشرق او شاهدته من اخبرنا به من ظرفاء الإخوان، مما يسلي سماعه الأحران، ويضحك الثكلان، ويُغني عن مطربات القيان. واسأل الله التجاوز عن الزلل في اللسان.

الباب الأول

في الصّنع وما فيه من
الفوائد والنّفع



قال أحمد:

فَضِّلُ الْعَاقِلَ عَلَى الْجَاهِلِ وَقِفْ الْعَاقِلَ عَلَى مَصَالِحِهِ وَالدَّخُولَ فِيهَا، وَمَعْرِفَةَ مَضَارِّهِ وَتَوَقُّيَهَا. وَإِنَّ الْجَاهِلَ عَمٍ عَنْ رِشَادِهِ، مِنْهُمْكَ فِي فُسَادِهِ، أَعَاذَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنْ سَطَوَاتِ الْحُمْقِ وَعَوَاقِبِ الْخُرْقِ، وَقَدْ أَوْجَبَ اللَّهُ عَلَى الْعُلَمَاءِ تَعْلِيمَ مَنْ لَمْ يَعْلَمْ، وَعَلَى الْفُقَهَاءِ تَفْقِيهِ مَنْ لَمْ يَفْقِهِ وَيَفْهَمَ. وَلَوْ كَانَ كُلٌّ مِنْ عِلْمٍ عِلْماً كُتِمَ وَسِتَّرَ وَلَمْ يَفِدْهُ غَيْرُهُ لَانْقَطَعَتْ مَوَادُّ الْأَدَابِ، وَطُمَسَتْ أَعْلَامُ الصَّوَابِ. وَلَكِنَّ الْعَادَاتِ الْجَارِيَةَ، مِنْ لُدُنِ آدَمَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، إِلَى عَصْرِنَا هَذَا: مَنْ خَوَّلَهُ اللَّهُ عِلْماً نَشَرَهُ وَذَكَرَهُ وَأَذَاعَهُ وَخَبَّرَهُ وَأَوْدَعَهُ الْكُتُبَ وَضَمَّنَهُ الدَّوَاوِينَ وَجَمَعَهُ فِي الصَّحَفِ لِيَجِدَهُ الْمُتَأَدِّبُ بِهِ مِنْ بَعْدِهِ، وَيُشَارَ إِلَيْهِ بِالْفَضْلِ الَّذِي يُوْجَدُ عِنْدَهُ.

وَإِنِّي أَمَرْتُ اسْتَنْبَطْتُ الْعُلُومَ، وَحَذَقْتُ النُّجُومَ، وَطَالَعْتُ جَمِيعَ كُتُبِ الْعُلُومِ بِأَسْرَها، عَلَى اخْتِلَافِ أَجْنَاسِها وَأَصْنَافِها، فَلَمْ أَجِدْ شَيْئاً يَبْقَى صَالِحاً عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ، وَتَقَلُّبِ الْأَيَّامِ، وَمَتَى اسْتَعْمَلَ كَانَ حَاضِرَ النَّفْعِ، ظَاهِرَ الْحَقِّ وَالرَّفْعِ، لَا يُوْدِي إِلَى الْفُسَادِ فِي دِينِ، وَلَا يَتَعَقَّبُهُ نَقْصٌ فِي دُنْيَا، وَلَا عَلَى الْإِنْفُسِ مِنْ ثِقَلَةٍ، وَلَا عَلَى الْأَجْسَامِ مِنْ أَذَى، يَدْخُلُ فِي أَبْوَابِ الْخَيْرِ وَيُخْرِجُ مِنْ أَبْوَابِ الشَّرِّ، تَقُومُ عَلَيْهِ الْأَدَلَّةُ وَتَشْهَدُ لَهُ الْبَرَاهِينُ، لَا يَقْدِرُ طَاعِنٌ يَطْعُنُ فِيهِ، وَلَا مَزْدِرٍ يَزْدِرِيهِ^(١)، وَلَا وَاقِعٌ يَقَعُ فِيهِ، إِلَّا الصَّغْعُ.

(١) يزدرى به، ب، ج: يزدرية.

وسأصف ما اجتمعت فيه من الخصال المحمودة، وانتفتت عنه الخصال المذمومة.. ألا إن الصَّفْعَ ينقسم قسمين، أحدهما: صَفْعُ الطَّرب، والآخر: صَفْعُ الادب. ولكل واحد منهما خواصَّ مستخصَّة ومغان مُحْكَمَة.

فأما صفع الطرب

فمداعبة الإخوان، وملاعبة الندمان، وممازحة القيان^(٢) والفتيان. يؤنس المستوحش، ويبسط المنقبض، ويضحك الحزين، ويسر النفس، ويسري غموم الكمد، ويقوى منه الضعيف، ويؤمن فترة الشراب، ويبسط قلب الكسلان، ويسكن سورة^(٣) الخمار، ويقوى أعصاب الرأس، ويصلب أوداج الرقبة، ويحط الرطوبة من الدماغ.

وهذه الاشياء جميعها تستحق المدح وتنزه عن الذم. وقد رايتُ الناس يتلفون الاموال الجليلة ويحلون العقد النفيسة وينفقون الاموال الكثيرة على لذة يوم يلتذون فيها، وسرور ليلة يتنعمون بها. فلا يداخلهم السرور، ولا يظهر عليهم من الانبساط والإبتهاج عُشر عُشر ما يعرض لهم عند وقوع صفة في المجلس وما يقع عقبها من الضحك والاستبشار.

واتم ما يجري الامر إذا قصد كل مصفوع إلى مَنْ على يمينه فأخذ حقه منه، لا يزال ذلك السرور بينهم يدور كما تدور الكأس بعذب الشراب. ولن تعرف الناس شيئاً أكمل للفرح وأطرد للترح كهذا الغرض الذي ذكرت.

وفي الصفع تواضع لله، عز وجل، ومجانبة للكبر. من هذا أن الجليل المهيب لا يزال في صدر من هو دونه محذوراً مقلواً مبغضاً، إذا كان في طريق أشير اليه بالتجبر ونُسب الى الصلف والتكبر، وهذه احوال مذمومة عند الله وعند الناس. وإذا انبسط مع مَنْ هو دونه في الصورة وصافقه

(٢) القينة: الجارية المغنية.

(٣) سورة الخمر: حدتها، الخمار: صداع الخمر.

ولاعبه سقطت تلك السَّماتُ، وزالت عنه الأوصاف المستقبَّحات وقبلته
الانفُسُ والفَتَّةُ الأرواحُ وخَفَّتْ على القلوب وتمكَّنتْ مودَّتُه في الصدور، فكثُرَ
صديقه وَقَلَّ عدوه وتوفَّرَ عليه أجره وثوابه من حيث لا يناله أذى ولا تصيبه
مَسْكَنَةٌ ولا تلحقه ذلَّةٌ، بل يستقبل الفوائد السَّنِيَّةُ^(١)، من طيب العيش
ولذَّةِ المداعبة، ويغتنم الذَّكَرَ الجميلَ.

وفيه من باب توفير الأموال والبقاء على النِّعمِ، من غير أن يأخذ
الإنسان نفسه بنقصٍ في مؤونته ولا إخلال بفرصة لذته.

فصل

إِعلم أَن الملوك لا يخلو أحدهم من نديم يُصْفَعُ قَدَامَه ويلعب بين يديه.
يسره ويؤنسه، لا يقنع به باليسير من البرِّ ولا يستكثر له الكثير من
الفضل، مع ما يحظى به ذلك النديم من التَّنْعَمِ معه، يأكل ما لم يسبق
باتخاذَه، ويشرب ما لم يعن فيه ويشغل قلبه بمعاافته^(٢)، وسماع ما لم
يخرج فيه درهمه ولا دينارَه، واستخدام من لم يتكَلَّفَ بشرائه.

فإذا اجتمع الإخوان المتواددون على هذا اللعب ولم يوجسوا^(٣)
صدورهم منه، فلقى كل واحد منهم من اللذة أكثر ما يبلغه صاحب النديم
الذي وصفتُ، وربَّح ما يخسره ذلك من الصلة له والهبة والخلة والعطية
الجزيلة. حتى لو حُسِبَ مقدار ذلك وحُصِّلَ وقُدِّرَ لكان يبلغ الربح فيه، على
الإستظهار والتلطُّف، ألف دينار في السنة، فقد أغلَّه ضيعة تساوي
خمسَين ألف دينار قد أزال الله عن صاحبها عسف السلطان وجور
العمال وظلم المسَّاح. وأسقط عنه مؤونة الأعمال والعمَّال وشغل القلب
بالبذر حتى يبلغ، وبالزَّرع حتى يطلع. وأنى بضيعة هذه صفتها، ومملكة
هذه صورتها!

(١) السَّنِيَّةُ: الرفيعة.

(٢) ب: ج: بمعاثاته. (وعاف الشيء: تركه).

(٣) أ: يوجسوا. ب: ج: يوجسوا.

وفي الصَّفْع علاج لادواء^(٧) كثيرة منها: الفالِجُ^(٨)، واللَّفْوةُ^(٩)،
والسَّكَّةُ^(١٠)، والصَّدْمَةُ من البرد، والرَّكَام الشديد، وغلبة البلغم على
الدماغ، وغوارض التخم، ويسخن المعدة، ويعقل جسمَ المرطوب، ويزيد
في حمي الكبد، فيطبخ الدَّم الذي فيه قوام الجسد، وفيه أمانٌ من البرص
والبهق والجذام.

وإذا استعمله آكلُ السُّمك ولحم البقر قام مقام الشقاقِل^(١١)
والزنجبيل^(١٢) والاطرِفل ومعجون المسك وجوارش^(١٣) والبزور
والاسقنقور^(١٤).

وإذا ألفه ساكن السوءاء^(١٥) آمنٌ من غوائل الاطعمة المعفنة كالالبان
والكوامخ^(١٦) والسَّمْن وما جانسها، واستقام طبعه ودامت صحته.

وفي الصفع تصفية للذهن، وتذكية للقلب، وزيادة في الحفظ، ونفي
النسيان، ويزيل البلادة، ويلطف الفطنة.

ومن علامات ذلك أَنَّكَ لا ترى صفعاً قطَّ إِلَّا حادَّ المزاج، عذب
الخطاب، رقيق الطبع، صحيح الجسم، خفيف الروح، واسع الخُلُق،
ظاهر الجِلْم، كريم الإحتمال، قليل السَّقَط، أصيل الرأي، نافذ التدبير.
وفي الصفع اكتساب الجاه، وذلك أن الانسان إذا عُرِف بهذا الامر

-
- (٧) ادواء: جمع داء.
(٨) الفالِج: داء يشلُّ أحد شِقَي البدن.
(٩) اللَفْوة: داء يصيب الوجه، يعوجُّ منه الشدق الى أحد جانبي العنق.
(١٠) السَّكَّة: داء يشلُّ جميع الاعضاء عن الحركة ما عدا التنفس.
(١١) الشقاقِل: عَرَق شجر هندي يُرى فيلجاً ويهيج البامة.
(١٢) الزنجبيل: نبات عشبي هندي له عروق حريفة الطعم.
(١٣) الجوارش: معرَّب (كوارش) بالفارسية، ومعناها: الهاضم للطعام. وهو نوع من الادوية يستفد
المرضى.
(١٤) الاسقنقور: كلمة يونانية معناها (التمساح البري)، وربما كانت اسماً لنبتة لا نعلمها، كذلك
الامر نفسه للاطرِفل.
(١٥) سواد البلدة: ما حولها من الريف والقرى.
(١٦) الكوامخ: المخلَّات المشهية، أو ما يؤتد به.

يحضر دار السلطان ويدخل في جُملة الخاصَّة ويخرج من عيار العامة ويصل إلى حيث لا يصل إليه القائد الجليل، لا ولا الكاتب النبيل. ويصل إلى فضل الأدب، ويجري إلى بُعد النادرة، ويتمكَّن من كيد عدوِّه، ويبلغ بذات نفسه، ويَحْذَرُ شَانُوهُ، ويهايه مزدريه، ويعظمه ملاقيه.

فصارت الاعين محدودةً إليه، والآمال موقوفةً عليه، والرقاب منصوبةً نحوه، والاعناق خاضعةً له. وما فوق هذه الحال العالية غاية، ولا وراءها نهاية.

وفي الصفع باب من الظرف. الا ترى أنَّ الاحباب يتخامشون^(١٧) ويتداعبون بالقرص والعض واللطم على الخدِّ، والضرب بالكفِّ على بعض جوارح البدن؟ فبعضهم يضرب ائكتفَّ او يتعمَّد الجَنَبَ، ومنهم من يضرب الرِّذَفَ. وكلُّ فنٍّ من هؤلاء فهو نوع من أنواع الصفع، والصفع جنس لها.

فإذا جاز وحسُنَّ أن يُضربَ ظهره؛ لم يقبح أن يرفع يده إلى حدود رقبته. فلو كان لطم القفا قبيحاً لكان لطم الخدِّ تعزيراً^(١٨). إذ هو أقرب للناظر مع احتشائه عليه من جنايات كثيرة أدناها: الطَّرْفَةُ^(١٩) التي تعقب البياض في المقلة، والدمعة، والرَّمَدُ، والعَمَشُ. وليس يحدث من مدِّ اليد إلى القفا سوء، ولا يُحذر من جهته مكروه. وهو أدخل في باب الظرف والطف من غيره.

فهذه جملة كافية من أوصافه. ولو اطعت مُطَرِّدَ القولِ وذهبتُ إلى استقصاء ما يجبُ في هذا الباب كلُّه لم آمن من ضَجَرِ القاريِّ وعَيِّ المستفيد. وقد أجمعتِ العلماءُ أنَّه لا شيء أبلغ من الايجاز، ولا أجمل ولا أحسن من التقرُّيب.

وأنا أحمدُ الله على ما وفَّقني له.

(١٧) خمش الوجه: خدشه ولطمه.

(١٨) التعزير: أشدَّ الضرب، وهو ضرب الردع من المعصية دينياً.

(١٩) الطَّرْفَةُ: نقطة من الدم تحدث في العين.

وأما صفع الأدب

فإن فيه حكماً ظاهرة، ونعماً غامرة منها: إن الأئمة الراشدين والخلفاء المهديين لما تدبّروا ذنوب المذنبين وإجرام المجرمين وجدوا منازلهم متفاضلة، ودرجاتهم متفاوتة. فلم يكن في الحكمة أن يعاقبوا من صغرت خطيئته بمثل عقاب من عظمته جريرته، إذ كان في ذلك مخالفة الله عز وجل.

واتخذوا أيضاً أصنافاً من العقوبات، كل صنف منها بإزاء صنف من الذنوب. فجعلوا الصفع لمن ليس له على عقوبة جلد ولا في غيره له مصلحة، من صغار الغلمان والصبيان والذين لا تمييز لهم ولا معرفة عندهم، فأما من يملك رايه ويعقل أمره، ولا يجري عنده الصفع مجرى ما يُعرف منه ويخاف عاقبته، لم يردع عن الذنوب به. وله من العقوبات غير ذلك من الجافية^(٢٠) من الخشب والعصي والمقارع.

ولو كان في التأديب شيء هو اللطف وأقل أذى^(٢١) من الصفع لاستعمله الناس في تأديب أولادهم والمصاليك من غلمانهم، الذين يرافقون عليهم ويهتمون بأمرهم.

وقد رأينا الرجل الفاضل الحليم، الواسع العلم، يصفع ولده عند هفوته وعند خطيئته. فيكونون على ذلك مأمونين، وفيه معاقبين.

ولم نر أحداً من الناس يؤدّب بالصفع، بعد من ذكرنا، إلا المعروفون بالفتوة وأصحاب المعصية. فإن الواحد منهم يُضرب الف شيب^(٢٢) ولا يتحرك، ويرى ذلك فخره له عند عُشرائه. ويصفع الصفعة الواحدة فيرى أن القيامة قد قامت عليه، ويحملة ذلك على الإقرار بالصحيح والإستعفاء، وهو كاره له.

(٢٠) الجافية: الغليظة.

(٢١) ا: اذاء.

(٢٢) الشيب: السوط.

ويقولون «إِنَّ الْفَتَى يَعِيشُ عَزِيزاً وَإِلَّا يُضْرَبُ عُنُقُهُ فَيَمُوتُ كَرِيماً، وَلَا يَعِيشُ ذَلِيلاً فَيُصْغَعُ قَفَاهُ»، وهذا خلاف لجميع أهل العقل. لَأَنَّ الصَّغْعَ لو كان يضع الشَّرِيفَ وَيَحْطُ قَدَرَ النَّبِيلِ لكان ضرب السَّوْطِ يُخْرِجُ عن جَمَلَةِ الْإِنْسَانِيَةِ وَيُدْخِلُ الْمَضْرُوبَ في عَدَادِ^(٢٣) الْكَلَابِ. ولو أعطوا النَّظَرَ حَقَّهُ، وَالتَّمْيِيزَ سَهْمَهُ، لكان ما يَنْثُرُ اللَّحْمَ وَيَكْسِرُ الْعِظَمَ، وَيُنْهَكَ الْقُوَى، وَيَرْضُ الْبَدَنَ، وَيَعْقِبُ السَّقَمَ الطَّوِيلَ، وَيُحَوِّجُ إِلَى مَقَارِبَةِ الْمُتَطَبِّينَ وَالْمُعَالَجِينَ، وَيَخَافُ مِنْ كَثْرَةِ التَّلَفِ، أَوَّلَى بِأَنْ يَهَابَ وَقَوْعَهُ وَيَحْذَرُ نَزْوِلَهُ مِنْ شَيْءٍ لَا يُوْذِي وَلَا يُوْلِمُ وَلَا يُوْدِي إِلَى عَاقِبَةٍ مَكْرُوهَةٍ.

ففي صَفْعِ الْفَتَوَةِ وَأَصْحَابِ الْمَعْصِيَةِ بِلَاغٌ فِي الْعُقُوبَةِ لِمَا قَدْ وَضَعُوا أَنْفُسَهُمْ فِي تَعْظِيمِهِ وَتَصْعِيبِهِ^(٢٤) وَأَدْرَأَ مَا لَمْ يَعْزُوا بِهِ مِنَ الْعَذَابِ الشَّدِيدِ، بِجَهْلِهِمْ وَقِلَّةِ مَعْرِفَتِهِمْ، وَثِقَةِ بِالسَّلَامَةِ فِي الصَّغْعِ. لَأَنَّا لَمْ نَشَاهِدْ فِي الْعَالَمِ مَصْفُوعاً تَلَفَ، وَلَا مَاتَ، وَلَا رَمِيَ^(٢٥)، وَلَا عَرِجَ، وَلَا أَصَابَتْهُ آفَةٌ مِنْهُ، وَلَا أَثَرَ أَثَرَةٍ قَطُّ أَبَدًا.

وَقَدْ ادَّعَى قَوْمٌ، مِنْ أَهْلِ الْعِمَاوَةِ وَالْجَهْلِ بِهِ وَالْخِلَافِ، أَنَّهُ يورث الْعَمَى. فَسُئِلُوا عَنِ الدَّلِيلِ فِي ذَلِكَ، مَا هُوَ؟ إِذْ كَانَ شَيْئاً لَمْ يُرَقَطْ وَلَا شُوْهِدَ، فَقَالُوا: (قَوْلُ الْقَائِلِ: لَا صَفْعَتُكَ حَتَّى تَعْمَى)، إِنَّمَا أَرَادَ تَوْكِيداً لَوْعِيدِ الْمَصْفُوعِ بِدَوَامِ الصَّغْعِ عَلَيْهِ وَإِحَالَةِ بَانْقِطَاعِ الصَّغْعِ عَلَى غَايَةِ لَا تُدْرِكُ.

وَمِثْلُ هَذَا كَثِيرٌ فِي مَخَاطِبَاتِ النَّاسِ. وَأَفْضَلُ الشُّوَاهِدِ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى لِمُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، حِينَ قَالَ: (رَبِّ أَرْنِي أَنْظُرَ إِلَيْكَ. قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي)^(٢٦)، وَقَدْ عَلَّمَ اللَّهُ، تَعَالَى، أَنَّ الْجَبَلَ لَمْ يَكُنْ لِيَسْتَقَرَّ. فَارَادَ عَزَّ وَجَلَّ «إِنَّ رُؤْيَاكَ إِيَّايَ غَيْرُ كَانِتَةٍ».

(٢٣) أ، ب، ج: عدد.

(٢٤) أ: وتَصْعِيبِهِ، ب، ج: وتَصْعِيبِهِ.

(٢٥) رَمِيَ: أَصَابَتْهُ عَاقَةُ.

(٢٦) سُورَةُ الْأَعْرَافِ - آيَةُ ١٤٣.

كذلك أراد الصّافِعُ: إِنَّ الصّفْعَ ليس منقطعاً عنكَ لأنّكَ لم تعمَ (٢٧) أبداً. وليس يُرى في الصّفْعِ شيءٌ هو أظهر من الرّعافِ، فتمسّكَ قومٌ من المخالفين بالطعن عليه من هذه الجهة ردّاً علينا ودفعاً لما شرحنا فيه من مدحه وتقريضه، وعدولاً عن المحجّة، وذهاباً عن طريق الحجّة. ووقع عندهم أنّ إجماعنا معهم على وجود الرّعافِ مع الصّفْعِ نقضٌ لقولنا وفسادٌ لاصلنا.

جوابنا في ذلك وبالله التوفيق

إنّ الأطباء والفلاسفة أجمعوا كلّهم على أنّ الدم إذا تعقّد في الدماغ دخّنت البخاراتُ البلغميّة واشتدّت تمكّنه وتكاثفه في الدماغ، لم يكن له بدٌّ أن يتفشّى إلى بعض الأعضاء التي تجاوره. وريّما تفشّى إلى الرّقبة وأصول الأذان فحدث منه الخنازير^(٢٨) والسرطانات^(٢٩) والسّلْع^(٣٠) والنزلات الغليظة حتى احتاجَ إلى البُطِّ وقطع اللحم الفاسد ومعاناة الهمّ والقلق والأسف على ما يغوث من العافية والتنعّيص بالاكل والشرب، وتوقّع الموت صباحاً ومساءً. إذ أنّ الانسان ريمًا استقلّ قليلٌ ذلك فلا يندمل جرحه أبداً. ولا يزال ينتقض عليه في كل مدّة. وريّما انصبّت المادة إلى الفم واللّثة فأورثت الآلام والأوجاع^(٣١) والدّاء الذي لا دواء له. حتى ينغصّ على صاحبه الحياة ويؤثّر الموت على ذلك.

فإذا وجد الصّفْعُ المعتدلُ أكسبَ القفا حرارةً لطيفةً مقدارها في الدرجة الثانية من الحرارة الغريزيّة، فحلّ ذلك الدّم.

قال أبقراط وجالينوس وجماعة العلماء والمتطبّبين: إنّ الدّم إذا جمّدته البخاراتُ الباردة ودخله ما يحرك الحرارة الغريزيّة انحلّ ذلك الدّم وجرى

(٢٧) ب، ج: لن تعمى.

(٢٨) الخنازير: غدد صلبة تكون غالباً في العنق، ويظهر على سطحها درن شبيه بالعقد.

(٢٩) السرطان: ورم خبيث في الجسم تظهر فيه عروق تشبه أرجل السرطان.

(٣٠) السّلْع: خراج في البدن أو زيادة فيه كالقذّة بين الجلد واللحم.

(٣١) أ: الآم وأوجاع. ب، ج: الآلام والأوجاع.

من المنخرين فكشف أدواء كثيرة وأعقبَ صحَّةً طويلةً، وقامَ للإنسان مقامَ
فُضدِ الودجين وحِجامةِ الرّأس وسائرِ علاجاتِ أعلى الرّأس، وشُربَ حَبِّ
الأيارج^(٣٢) وحَبِّ القوقيا^(٣٣) والتَّغرغر بالأيارج الفيقرا^(٣٤)، وتضميدِ
اليافوخ والأصداغ بالذهن الخيري^(٣٥) الخام، وتعاهدِ الحَمَام، وصَبُّ الماء
الحارَّ على الدِّماغ.

فالذي قدَّر السفهاءُ أَنَّهُ يجعلونه طعنًا علينا، لما قلناه في الصَّنع، صار
مدحاً بالبيان الصحيح، والحجّة اللازمة.

وانا أسأَلُ اللَّهَ، تعالى، أَنْ يوفِّقنا وإياكم لما يرضيه، ويرزقنا المثابرةَ على
طلب العلم، ويلهمنا الصبر والشكر على ما أنعم به علينا من العمل
بفضائله والقيام بفرضه ونقله.
إنَّه مستحقُّ الحمد وولَّيه.



(٣٢) الأيارج: معجون مُسهل، معرَّبُ إياره باليونانية وتفسيره (الدواء الإلهي)، مفردة: إيارجة.

(٣٣) هكذا في الأصل، ولم نوفِّق إلى معرفته.

(٣٤) إيارج الفيقرا: أحد الأدوية المسهلة القديمة وهي باليونانية: Hiera Picra أي (الدواء الإلهي المُر).

(٣٥) ذهن الخيري: زيت يوصف لتحليل الأورام، يُنقَع فيه زهر الخيري في زجاجة وتوضع أياماً في الشمس.



الباب الثاني

في أصناف
القوادين والقوادات
وما جاء فيهم
من نوادر وأشعار



اصنافُ القَوَادِينِ إثنان وعشرون صنفاً. منها عشرون على الإناث، وإثنان على الذكور، من النساء عشرة ومن الرجال عشرة، وإثنان ليسا هم من الرجال ولا من النساء، وهما ممازجا الصنفين وهم: الخدام والمخنثون.

فأما القَوَادُون الذين على الإناث، فهم^(*):

[١] الحَوْشُ

[٢] ثم حوش الحوشِ

[٣] ثم المعرّس

[٤] ثم السّمسار

[٥] ثم الدوّارُ

[٦] ثم الدُّكْدَفُ

[٧] ثم المرحّل

[٨] ثم المسكّن.

ولكلّ واحد من هؤلاء طبقة يختصّ بها.

(*) الترقيعات التالية جميعها من وضعنا. (المؤلف).

[١] فأما الخوش

ويُسمَّى عند العجم: الزملكاش . فهو المرصَدُ لحمل الجُنك^(١) وغيره من آلات المغاني، ووظيفته أنه يوصل الجارية إلى بيت حريفها^(٢)، ويسلم لها ألتها ويأخذ خُفُّها وإزارها فيرجع به، ثم يحمله إليها عند انفصالها ويحملها إلى منزلها.

وهذا فلا رسم له معلوم، وإنما هو على ما يُوهبُ له ويُجاذُ به عليه، وليس له عُدَّة ولا آلة.

[٢] وأما خوش الخوش

فهو الذي إذا استقرَّت الجارية في بيت محصلها دخل إلى الدهليز وأخرج كِنْفاً^(٣) فيه عُدَّتُه وأكثر^(٤) وأكثر صناعته، وذلك ميزانٌ لطيف ومِحْكُ الذهب وزنادٌ وحرَّاقٌ وفضْلَةٌ شمعةٌ وجلُجُلٌ^(٥) حسن الصوت.

فإذا تسلمت المرأة جدرها، ذهباً كان أو دراهم، دفعته اليه ورجعت الى حريفها. فإن كان ليلاً قدح الزناد وأوقد الشمعة ثم حَكَّ الذهب أو وَنَنَ الدراهم، فإن صَحَّتْ أَخَذَهَا وانصرف، وإن كان الذهب بَهْرَجاً^(٦) أو الدراهم ناقصةً أو زُيُوفاً حَرَّكَ الْجُلُجُلَ فسمعت فخرجت اليه، فأخبرها بالخبر فرجعت باكيةً إلى محصلها وقالت: (الدليل على أنني لم أعجبك أنك أعطيتني بَهْرَجاً أو زُيُوفاً)، فلا تستقرّ حتى يوفيها أو يعوضها.

وهذا فرسمة المتعارف: السُدُسُ من الجدر.

[٣] وأما المعرس

فهو نوعان، أحدهما يسمَّى: الاقرع، والآخر يُسمَّى: الملائن.

(١) الجُنك: الطنبور، وهو من آلات الطرب.

(٢) حريفها: مُعاملها في حريفتها.

(٣) الكِنْف: وعاء تُحمل فيه الادوات.

(٤) ا: واكبر.

(٥) الجُلُجُل: الجرس الصغير.

(٦) البَهْرَج: الباطل.

(أ) فَاَمَّا الْأَقْرَعُ: فهو الذي له بيت نظيف حَسَنُ الْقَرْشِ، ولا شغل له إِلَّا الجمع فيه بين النساء والرجال، غير أن الذين يجتمعون عنده يتعارفون بأنفسهم قبل الاجتماع عنده، وإِنَّمَا عليه المنزل لا غير. وإِنَّمَا سُمِّي الْأَقْرَعُ لَأَنَّ مَنْزِلَهُ خال لا شيء فيه. وهذا فرسه من الجدر: الرُّيْعُ.

(ب) أَمَّا الْمَلَّانُ: فهو الذي له منزل يُحضر فيه امرأةٌ مستحسنةٌ، ثم يدعو إليها مَنْ يَبْهًا^(٧) بها. وإِنَّمَا سُمِّي الْمَلَّانُ لَأَنَّ مَجْلِسَهُ معمور. وهذا فرسه من الجدر: النَّصْفُ.

[٤] وَأَمَّا السَّمْسَارُ

فهو أيضاً نوعان، أحدهما يُسَمَّى: المَدْلُسُ، والآخر يُسَمَّى: القَطَاةُ.

(أ) فَاَمَّا الْمَدْلُسُ: فهو الذي يجلس على دكاكين البَرَازِينِ والتَّجَارِ ثم يعرض ويقول: (ما أَطْيَبَ عَيْشَ النَّاسِ وما الذُّمُّ ما هُمْ فيه! لقد أصبحتُ فلانة من أملح النَّاسِ وأحسنهم وأظرفهم، وليست غالية، بعد أن كانت بخمسة دنانير رجعتُ إلى دينارين)، ولا يزال يتحدث بهذا أو شبهه مع مَنْ يتوَهَّم فيه الانقياد له إلى أَنْ يَقَرَّرَ معه حضور فلانة بنت فلان، أو امرأة فلان بعينها، ويأخذ منه على ذلك قدراً عظيماً، ثم يحضر له امرأةٌ غيرها، يسمِّيها باسمها، يتواطأ معها على ذلك. وربما اختارها في قدر المسماة ولحمها.

(ب) وَأَمَّا الْقَطَاةُ: ففعله في السَّمْسرة فعل المدلُس إِلَّا أنه يحضر التي يذكرها بعينها، ولهذا سُمِّي «قطاة» لصدقه. فإنَّ الناس يقولون في المثل للرجل الصادق: «هو أصدق من القطاة». وللسَّمْسار من الجدر: النَّصْفُ، سواء كان مدلُساً أو قطاةً.

(٧) ب، ج: بينكها.

[٥] وأما النوار

فوظيفته إذا سمع أن موضعاً فيه جماعة على شراب، ويتوهم فيهم السّماح أو اليسار، فيمضي يستأجر بغيّاً، ومن شرطها أن تكون طويلة سميئة ذات شخص يملؤ البصر، فيستأجر لها ثياباً حسنة ويأتي بها وراءه إلى باب الدار فيقرع الباب قرعاً لطيفاً، فإذا أجيب قال لمجيبه: (قف لي أكلّمك)، فإذا خرج قال له: (قل لفلان يكلمني)، لشخص غير معروف، فيقول له: (ما هذا الاسم عندنا)، فيقول: (ستر الله عليكم)، والمرأة تتراءى من بُعد وتبهرج. ثم يولي وهو يقول: (لا حول^(٨) ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم، أين أجده في هذه الساعة؟ وكيف حتى حصلت هذه وخرجت من بيتها؟)، ويلتفت فيقول: (يا سيدي، ما تدلني على منزله؟ وهو يسكن في هذه الحومة بلا شك)، فيسأل عن أمره فيقول، بعد تمنع كبير واستكثار عظيم، لمن يسأله: إن معه شخصاً مستوراً عشقه فلان «الذي سمّاه» وأنفق عليه مئتين دنانير، واحتال في وصوله إليه بكل حيلة فلم يتمكن له ذلك إلى أن دلّ^(٩) عليه ووعدته بخلة نفيسة وصلّة سنّية على تحصيله. فلم يزل يحتال ويتلف في أمره، ووجدت الآن فرصة فخرجت معه وقد غلط بالدار.

ثم يرغب لهم في كتمان هذا الأمر وأن يدلّوه على دار ذلك الشخص، فيشيع الخبر بين الندماء ويخرجون إليه وقد أخذ منهم النّبذ فيتطارحون عليه في أن يؤثروهم بها فيمتنع فيرغبوه، فإذا نال منهم فوق ما يؤمل سلّمها لهم وانصرف.

[٦] وأما الدكدف

فهو رجل يتزيّا بزّي التجار ويلبس ثياباً نظيفة ويضع في كُمّه جملة مفاتيح ويقصد دهاليز الفنادق وأبواب القياصر^(١٠) ومواضع الخلق

(٨) لا حول ونواقصة من أ، وهي في ب، ج.

(٩) دلّ (عليه): من بطائه عليه.

(١٠) أ، ب، ج: القياصر.

المجتمعة فيجلس هناك. فإذا رأى رجلين يختصمان كانا نَهْرَةً طَمَعِه. فإذا اشتدَّ الشَّرُّ بينهما فلا بدَّ يتسابًا بالأم والأخت والزوجة، كما جرَّت به العادة بين المتشاجرين من الغوام في المسابقة، فإذا انقضى شرُّهما عمَدَ إلى مَنْ يتوهم أنه أقربهما وقوعاً لما يريد منه، فيجلس اليه على الانفراد ثم يقول له كالمظلم له والمشفق عليه: (ما شاء الله كان). والله لقد صار في الدنيا مصائب ولقد تجرَّأ^(١١) النَّاسُ على العظيم ويقدمون على الكبائر ويتم لهم، والله لقد بلغ مني كلامُ هذا الرجل اليوم معك وجراته عليك مبلغاً هممتُ أن أقولَ ما في نفسي ويفعل الله ما يشاء). فيقول له الرجل: (وما ذلك؟)، فيقول: (سمعتُه يقول لك يا ابنِ الفاعلة أو يا زوجَ الفاعلة، فاضلمت الدنيا في عيني لعلمي من البواطن بما لا يعلمه إلا الله)، فيقول له الرجل: (وما الذي تعلم؟)، فيقول له: (دع هذا واشتغل عنه والعن الشَّيْطَانُ فقد انقضى شرُّه معك)، فيقول له: (لا بدَّ أن تعرفني)، ويسأله فيرغب إليه فيقول له بعد جَهْدٍ: (زوجته اليوم في ميعادي، وقد انفذت لها جذرها وأعددت مجلسي معها)، فإذا سمع الرجل ذلك انقاد إليه وقال: (يا أخي، وهل يمكن أن تطلعني عليها؟)، فيقول له: (والله لولا ما سمعته منه في سبِّك ما سمحتُ بهذا أبداً، لكنني اصطنعت لك يداً^(١٢) إن عرفت قدرها)، «فيقول له الرجل: (إنني لعالمٌ بقدر صنيعك، شاكرٌ لبرِّك)»^(١٣)، فيقول له: (أنا أرسلتُ لها الجدرَ مع قواد يتصرَّف عليها، وأنا أمضي إليه أنظر ما صنع، فإن لم يكن ثمَّ عائق أتيتك بها وأثرتك بيومي منها).

فيشكره على ذلك وينصرف ويحضر له قواداً ويتواطأ معه على ذلك، فيذكر أنه دفع لها الجدرَ ووعده وقتاً من النهار، فيسأله عما دفع فيذكر ما صار^(١٤) الرجل إليه، فإن كان للرجل موضع كان اجتماعه بها في

(١١) ١: تجري.

(١٢) أي معروفاً.

(١٣) ما بين المزدوجين ناقص في ١.

(١٤) ١: ما صار.

موضعه، وإن لم يكن له مكان حملة لمنزله وجعل ذلك من تمام الصنعة إليه.

ثم يعمد إلى امرأة فاجرة فيكريها ويكثري لها ثياباً وحلياً جيداً ويحملها له. فإذا وصلت إلى المنزل استدعى الرجل وقال له: (لا تمهلها أن تنال منها الغرض الذي تكسر به عين خصمك وتوكس^(١٥) بحرمته. وأيضاً أخبرك بما هو عجيب أدلك عليه، وهو الذي إذا عملته تحصل به رأس خصمك تحتك بقيّة الدهر، وذلك أنه بالأمس اشترى لها خاتم دبل^(١٦) من فلان الخواتمي، فإن احتلت وتلطفت حتى تأخذ الخاتم ويحصل في حوطك بحيث إن عاد إلى شرك أريته إيّاه، أو أشرت له به من بعد، كان ذلك أعظم عليه من أن تضرب عنقه، ولا يعود يقابلك بعدها بشيء تكرهه، ولا يتعرض لك في مكان تمر به).

فيشكره الرجل على ذلك، وقد كان هذا القواد اشترى للمرأة خاتم دبل بدرهم وقال لها: «إذا طلبت منك فلا سبيل أن تسلميه له، ولا يخرج عن يدك، بأقل من دينارين أو ثلاثة، أو غير ذلك مما يعلم أن حال الرجل يحمله وقدرته تصل إليه، وموئنته^(١٧) تسهل عليه. فإذا دخل الرجل المنزل لم يخالف ما أمر به صاحبه من قضي الغرض معجلاً، ثم يدل على المرأة ويداعبها ويقول لها: (أحب أن تهبينني هذا الخاتم حتى أذكرك به)، فتقول: (يا سيدي، خذ ما شئت من ثيابي وقماشي وحليي ودع هذا الخاتم، فإن بعلي اشتراه بالأمس من فلان الخواتمي - وتذكر الرجل الذي سمي له - وأخشى أن يراه بيدك فأهلك، ومعني من خواتيم الذهب وهذي الحلي والخرق^(١٨) ما لم يعلم لهم صانعاً، فخذ ما شئت منه فإنه إن ظهر لا يعلم أنه لي ولا يميز من غيره من أمتعة النساء)، فإذا سمع هذا الكلام تحقق نصح الرجل له وألح على أخذ الخاتم بعينه. فلا يزال الكلام

(١٥) التوكس: النقص.

(١٦) الدبلة: حلقة من الذهب والفضة من غير فص.

(١٧) ج: موئنته.

(١٨) ب، ج: والخرق.

يتردّد بينهما فيه، وهو يبذل لها الرّغائب ويقسم بالآيمان المغلظة على كتمانها، حتى تأخذ منه ما رسم لها القَوَادُ وتسلم إليه الخاتم وتنفصل، فتدفع للقَوَاد ما أخذت ويعطيها أجرتها وتحصل على جملة وافرة وينقلب الرجل بالخبية.

[٧] وأما المرحل

فهو قَوَاد ملازم للبغّي المغنيّة، ساكن معها في منزلها، يصبح بالغداة فيقول لها: (اصلحي جُنُك وحكّمي طبقات أوتاره، فإنّ بذلك^(١٩) البارحة كان فيها اختلال)، فإذا أخذت في إصلاحه قام إلى راووق^(٢٠) كان علّق فيه من البارحة فضّل نبيذها، وأخذ ما قَطَر منه من رقيق الخمر فوضعه بين يديه مع بقايا الفاكه والنقل^(٢١) الذي حمله معه وفضلة العشاء، فأكل وشرب وطرب على دغدغة أوتاره، ورّما طرب وأطرب المغنيّة وتمسخر لها وانبسط وبسطها إلى أن يقضي أثره منها. ثم خرج فأحضر لها الجدر وحملها إلى منزل محصلها ثم دخل معها، بعد أن يحصل لنفسه نصيباً معلوماً. ورّما واطأ على المغنيّة فسرق من جدرها. فإذا دخل تقدّم فجلس في خيار المجلس، بعد أن يحمل ربّ المجلس المنّة العظمى في حصول صاحبتة، ويعرفه أنّه استخلصها له من لهوات الأسود وأثره بها على كلّ من في الوجود، فيقدّم له مختار الاطعمة فيأكل. كلّما وقع بيده طعام مُستحسن، من دجاجة مشوية ووسط طيب مبرّر^(٢٢) وسنبوسق^(٢٣) محشو معطر وحلاوة ناشفة، جعله في خريطة^(٢٤) مشمعة يحملها معه معدّة لذلك. ثم يرجع للشّراب فيقدّم له مختاره، فيقول: (أنا ضعيف الطّبيعة في الشّرب، أحبّ أن أقدر على نفسي فيه، ثم إنّي أيضاً أحتاج إلى الإبقاء على نفسي

(١٩) البدال: رافعة تغيير النغم في الآلة الموسيقية. وفي ب، ج: بدايتك.

(٢٠) الراووق: المصفاة.

(٢١) النقل: ما يتنقل به على الشّراب من فواكه وغيرها. وفي ج: البقل.

(٢٢) مبرّر: متبل.

(٢٣) السنبوسق: فطائر مثلثة تعمل من رقاق العجين المعجون بالسمن وتحشى باللحم أو الجوز.

(٢٤) الخريطة: وعاء من الجلد أو نحوه، يُشدّ على ما فيه.

للتصرّف على هذه السّيدة)، فيأخذ خماسيّة يضعها إلى جانبه فكّلما جاءه قدحٌ فرّغه فيها. وربما يتناول السّقي فيغالط فيه حتى يملأ الخماسيّة. وكلّما وقّع له نُقلٌ مُستحسنٌ، من سفرجلة عظيمة وخوخة مخطّطة وتفاّحة حمراء وفستق مملوح ولوز مقشّر، رماه في خريطة أخرى معه معدّة لذلك. فإذا كان في أثناء المجلس نظراً، فإن كان فيه أمرٌ حسن الوجه يستحسنه رصده إلى أن يخرج إلى قضاء حاجته فيخرج خلفه ثم يقول له في خلوة: (كيف ترى هذه الجارية؟)، فيقول له الأمر: (في نهاية الحسن والظرف)، فيقول له: (ما يكونُ عندك، وتبيت عندك في ليلتك هذه؟)، فيقول: (هذا هو المحال الذي لا يمكن كونه. كيف وقد غرّم عليها ربُّ هذا المنزل وعلى مبيتها عنده العشرة دنانير ونحوها وقد حصلت في منزله؟)، فيقول له: (هذا ما لا يلزمك، ما يكونُ عندك؟)، فيقول له: (ما عندي إلاّ روحي، وإلاّ فهذا شيء لا يتوصّل إليه بالمال ولا بالجاه)، فيقول له: (قد أصبت الغرض، هي حاجةٌ بحاجة، فاعرف ما قلت)، فيقول له: (قد عرفت، فإن فعلت شيئاً فأنا غلامك، وعلى أن هذا عندي من المحال)، فيقول له: (إرجع إلى مكانك، فإن رأيت تشويشاً وانفصلاً فاتبعنا).

ثم يعود كلّ واحد مكانه ويصبر قليلاً ثم يقوم ويخرج على أنّه يفتقد البيت فيرجع من باب الدار ويقف على باب المجلس فيفتح يديه على الباب، أو يقف ويشبك أصابع يديه، ويطرق برأسه الأرض فيقول له بعض الحاضرين: (ما شأئك؟ إجلس واطلق أصابعك، فإن هذا يدلّ على الشر)، فيقول له: (وهنا خير؟ وبقي من الشر شيء إلاّ وحضر؟)، فيقول له الحاضرون: (ما الذي تقول؟ ويحك). فيتّرك جوابه ثم ينظر إلى الجارية نظراً كئيب ويضرب يداً على يديّ، فتقول له: (ويحك، ما الخبر؟)، فيقول لها: (تعالي أعرفك)، فتقوم له، فيقول لها بكلام سرّ يسمعه من يقرب^(٢٥) منها: «الأمير على الباب» أو «يطلبك» أو إسماً يسمّيه ما أنزل الله به من

(٢٥) فيما يلي تشويش في ايبندوكما اثبتّه هنا بين قوسين.

وفي ب، ج: أو من الباب فيقول اسم (ج: اسم؟) ما أنزل الله بها من سلطان.

سلطان، وهي تعلم مقصده في التخفيف عنها بالانصراف والراحة في الخلوة في منزلها، فتعود كثيية.. فيقول لها محصلها: (بالله عليك عرفيني ما القضية؟)، فتقول له: (هذا مملوك الوالي، أو الأمير الفلاني. قد بلاني الله به بلية يتبعني حيث كنت فيؤذيني ويؤذي من اكون معه، إلا أن يغيب عنه موضعي، وما أدري من دله الليلة علي). فتقوم القيامة على الرجل، ولا سيما إن كان يؤثر الستر ويخشى الفضيحة فيقول: (وكيف الحيلة؟)، فتقول: (ما اقدر اخرج الليلة لئلا يقتلني)، فيقول لها القواد: (احسن يا ستناء، هذه أفعال الأحرار! انتظرين غدا رجلاً محتشماً يحضرك في منزله؟ تخشين أنت على نفسك وتفضحين هؤلاء السادة وتتركينه يدخل عليهم وهم سكارى آخر الليل، يقتلهم وتسلمين أنت، أو يكبسهم الآن وأنت. فهو صديقك ما يطرا عليك معه شيء. لا والله، ألا ضفر واحد من هؤلاء الجماعة يُفدى بألف مدينة منك، ولنن يقتلك في الزقاق أولى من أن تحل بهم فاقرة^(٢٦) بسببك، ثم إنني ما أريد إلا لمثل هذا اليوم. أين إزارك؟)، فتقول له: (هذا هو)، فيأخذه ويطويه ويدخله في عبه ويقول لصاحب المنزل: (ابصر لي الساعة ملحفة وسخة). فاذا أحضرها له قال لها: (التقي بهذه وقومي اخرجي قدامي ويفعل الله ما يريد)، فاذا قامت شال جميع ما أعدّه وبسط منديلاً يضم فيه خيار فاكهتهم، وأطفا شمعة فجعلها معه وتبعها. فاذا وصل إلى باب الدار وقف من داخله يومه أنه يخشى أن يعرف به الشخص الذي واقف، حتى يخيل على أصحاب الدار أن الشخص انصرف خلف المرأة لما خرجت، ثم يفتح الباب ويخرج كالفار إلى جهة غير جهتها، وينصرف أرباب المنزل مذعورين، ويتتبع الأمر القواد إلى الدار فيجدون حالتهم، ويتولى القواد السقي فيترع الجارية والأمرد فيسكرهما ويبيت بينهما يستمتع بهما إلى الصباح، فيكون هذا دأبه مع الزمان.

[٨] وأما المسكن

فهو قوَاد كثير المال، مَتَسَّعُ الحال، يشتري جوارِي^(٢٧) وغلماًناً ويتَّخِذُ داراً واسعةً نظيفةً البناءِ ويعِدُّ فيها آلَهُ حسنةً وفرشاً نظيفاً وشراباً كثيراً وأواني ظرافاً، ويتعرَّضُ قوافل التجار. فاذا رأى رُفْقَةً يتوَهَّم فيهم القصدَ واليسارَ، يكونون أربعة أو^(٢٨) خمسة أو أكثر أو أقل، تعرَّضَ لهم عند وصولهم باب المدينة وأوهم أَنَّهُ دَلَالٌ على أمتعة تجارتهم، على ما جرت عادة الدَّالِّين مع التجار، فيصلون لمنزله إِمَّا بأمّعتهم وإِمَّا بأنْ يضعوا أمتعتهم في الخانات ويصلوا بأنفسهم، فيدخلهم الحَمَامَ ثم يفرش لهم الفراش الرفيع ويقَدِّم لهم الاطعمة اللذيذة، ثم يحضر النبيذ والفاكهة والشطرنج وأسفاراً من الكتب في السُّرَرِ والأدب وغير ذلك. ثم يقول لهم: (يا أصحابنا، مَنْ شاء منكم أَنْ يشرب، وَمَنْ شاء منكم أَنْ يلعب، ومن شاء أَنْ يقرأ).

فإنْ كان الزمان صيفاً وكان وقت القائلة^(٢٩)، أغلق عليهم الأبواب وأرْخى السُّتُورَ وأدخل عليهم غلماناً على عددهم يتولَّى كُلُّ واحدٍ منهم تكبيس واحد من التجار والترويح عليه، فاذا نام تجرَّدَ ودخل في الإزار.

فإذا جاء الليل أحضر لهم الشراب وأنواع الفواكه وآلات الملاهي، فإذا كان وقت النوم تقدَّمت لكلِّ رجلٍ جاريةٌ تفرش له وتتولَّى خدمته، فاذا دخل في فراشه تجردت ودخلت معه في الفراش.

فلا يزال هذا دأبهم ما شاءوا أَنْ يقيموا، وإذا أرادوا الانصراف جمعوا له الحُمْلَ الكبار من المال فدفعوها له، ومنهم مَنْ لا يرجع إلى بلده بدرهم من ماله بل ينفقها في داره ويصير جميع ما معه للقوَاد، وربما عشق غلاماً من أولئك الغلمان أو جاريةً من تلك الجوار، فكان ذلك أسرع لتلاف ماله ودماره.

(٢٧) ا. ب. ج: جوارا.

(٢٨) ا: ناقصة في ا.

(٢٩) القائلة: النوم في الظهيرة.

فهذه أصناف القَوَادِين على القحَاب.

وأما الصنفان المختصَّان بالقيادة على العلوق وهم: المُسْتَعْشَقُود
وصنْدَل، فهما نحن نبينهما:

- أَمَّا المُسْتَعْشَقُود: فَإِنَّ هَذِهِ كَلِمَةٌ مِنْ كَلِمَتَيْنِ مَرْكَبَةٌ، وَهِيَ الْعَشْقُ
وَالْقِيَادَةُ. وَذَلِكَ أَنَّهُ يَكُونُ لَوَاطِئًا فَقِيرًا لَا يَبْلُغُ وَسْعَةً لِلاتِّصَالِ بِالْغُلَمَانِ
الْحَسَنَانِ وَنِزِيلِ الْغَرَضِ مِنْهُمْ فَيَقُودُ عَلَيْهِمْ، فَإِذَا ارْتَهَنُوا مَعَهُ فِي ذَلِكَ
وَانْكَشَفُوا لَهُ لَمْ يَسْعَهُمْ مَخَالَفَتُهُ، وَرَبْمَا دَبَّ عَلَيْهِمْ وَهُمْ سُكَارَى أَوْ نِيَامَ.
وَيَتَوَصَّلُ إِلَيْهِمْ بِوَجْهِ عَدِيدَةٍ يَسْهِّلُهَا الْإِمْتِزَاجُ وَكَثْرَةُ الْمَخَالَطَةِ.

- وَأَمَّا صَنْدَلٌ: فَغُلَامٌ أَمْرَدٌ، إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ بِفَارِهِ^(٢٠) وَلَا نَافِقٍ^(٢١) وَلَا
مَرْغُوبٍ فِيهِ لِقْصُورِهِ فِي الْجُودَةِ عَنْ غَيْرِهِ، فَيَقُودُ عَلَى الْغُلَمَانِ. فَإِذَا اتَّفَقَ
أَنْ يَخْلِفَ غُلَامٌ مِيعَادَ رَفِيقِهِ، وَقَدْ تَجَهَّزَ الطَّعَامُ وَالشَّرَابُ وَالْمَنْزِلُ الْخَالِي
وَاسْتَحْكَمَ شَبَقُ اللَّائِطِ وَلَمْ يَجِدْ أَحَدًا، رَدَّ يَدَهُ عَلَى الْغُلَامِ الْقَوَادِ وَاكْتَفَى
بِهِ بِحَكْمِ الضَّرُورَةِ وَيَسْمُونَ هَذَا: صَنْدَلٌ.

وَذَلِكَ أَنَّ مِنَ الْأَمْثَالِ السَّائِرَةِ «إِنْ لَمْ تَأْتِ الْعَجَلَةُ بِحَطْبٍ وَإِلَّا فَهِيَ
صَنْدَلٌ»، مَعْنَاهُ: إِنْ لَمْ تَأْتِ بِحَطْبٍ يُوَقِّدُ وَإِلَّا فَهِيَ صَالِحَةٌ لِلْوُقُودِ.

وَالْقَوَادُ الَّذِي يَكُونُ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ فَهُوَ قَلِيلُ النَّصْحِ مُحَرِّشٌ بَيْنَ
الْغُلَامِ وَاللَّائِطِ، نَمَامٌ عَلَى الْغُلَامِ لِأَنَّ غَرَضَهُ إِلَّا يَسْتَقِيمَ أَمْرُهُ حَتَّى
يَخْزَى^(٢٢) بِهِ.

وَقَدْ تَفْعَلُ بَعْضُ الْقَوَادَاتِ ذَلِكَ إِذَا كَانَتْ صَالِحَةً لِهَذَا الْبَابِ.

وَأَمَّا أَصْنَافُ الْقَوَادَاتِ فَهِنَّ:

[١] الْمُرِيدَةُ

[٢] وَالْحَاجِبَةُ^(٢٣)

(٢٠) الْفَارِهِ: الْمَلِيحُ.

(٢١) النَّافِقُ: خِلَافُ الْكَاسِدِ.

(٢٢) خَزَا بِهِ: ذُلُّ وَفَهْرُهُ.

(٢٣) ج: الْحَاجِبَةُ.

- [٣] والمتصرّفة
 [٤] والدّلالة
 [٥] والقابلية
 [٦] والماشطة^(٣٤)
 [٧] والحماميّة^(٣٥)
 [٨] والخافضة^(٣٦)
 [٩] والطّرقية^(٣٧)
 [١٠] والحجامة^(٣٨).

[١] فأما المريدة

فهي عجوز تنزيّاً بزّي الصّلاح والعبادة وتلازم الصّلاة والسّجادة وتعلّق في عنقها سُبْحَةً وتتعاهد إلى النسوان وتكثر الدعاء لهنّ ولصاحب المنزل.

وهي أعدى على المرأة المستورة من الذّنب على الخروف، وأسرع في إفسادها من السّوس في الصوف.

[٢] وأما الحاجيّة

فهي قوادة تُشهر أمرها بغيبيتها، وتمحي ما وقع في النّفوس منها بتوبيتها، ثم تعود. وربما سكنت غير بلدها الذي تعرف فيه، فدخلت إلى الديار بحجّة الحجّ. وربما استصحبّت معها شيئاً من أثر الحجاز مثل خِرْقَةٍ حرير سوداء تقول إنّها من أستار الكعبة، وشيئاً من تُراب تقول إنّهُ من تُراب القبر، وغير ذلك. ثم تسبّبت إلى الفساد، وبلغت بناموس الحجّ غايةً المراد.

(٣٤) الماشطة: امرأة تحسن المشط وتتخذ حرفة.

(٣٥) الحماميّة: صاحبة الحمام أو العاملة فيه.

(٣٦) الخافضة: الخاتنة، أي من تقوم بختان النساء. في م: الخافضة.

(٣٧) الطّرقية: العزّافة، والطرق هو الضرب بالحصى للتكهن. في ج: الظرفية (١).

(٣٨) الحجامة: محترفة الحجامة، والحجامة: امتصاص دم المريض بقارورة تدعى الحُجَم.

[٣] وأما المتصرفة

فهي عجوز تدخل إلى الدُورِ بِرَسْمِ قضاء الحوائج للنسوان والتصرف عليهن والبيع والشراء لهنّ وإحضار ما يحتاج اليه من الأسواق وغيرهن فيما يُرجى الرجال والنساء بِحُجّة ذلك ويجمعن بينهن.

[٤] وأما الدّالة

فهي تبيع أسباب النساء من الأخفاف والخِرَق وغير ذلك. فتدخل عليهن بما تبيعه لهنّ أو تبتاعه منهنّ ولا معقّب عليها. فتتال فيه ما تريده وتُوصِل إليهنّ من هذا الوجه.

وأما: [٥] القابلة

[٦] والماشطة

[٧] والحماميّة

[٨] والخافضة

[٩] والطرقية^(٣٩)

[١٠] والحجّامة:

فانهنّ يدخلن على النساء بِحُجّة احتياجهن إليهن في أشغالهنّ، وعدم الانكار عليهنّ في تصریفهنّ، فيدخل الدّخيلُ من قبلهنّ عليهن، لَمَنْ له غرض فيهنّ، ويندمج في أثناء ذلك ما يريدونه لَمَنْ شرعن لهنّ فيه.



فهذه الأصناف التي تدخل الدّخيلةُ منها على النساء المساتير وإن لم تكن لهنّ نيّة في الفساد، فانهنّ يؤرّون^(٤٠) على إفسادهنّ في الخلوة معهنّ وكثرة المباشرة لهنّ. واعلم أنّ أنّه قلّما خلت قطّ امرأة عجوز، ممّن تباشر الرجال وتعاملهم، مع امرأة صالحة إلّا وأفسدتها بما تحدّثها به عن بعلاها

(٣٩) ١: والحجّامة والطرقية.

(٤٠) أوّره: اغراه، هيّجه.

وإن لم تقصد فسادها، فكيف إذا قصدته؟ فإنها ربّما تذكر لها، في أثناء حديثها، جمال رجلٍ أو حسن خلقه أو اتّساع نفقته أو غير ذلك من مجاري أحواله، ممّا يكون بعْلُ المرأة مقصّراً عن شيءٍ منه، فيكون ذلك سبب سوء خلقها على بعْلِها وفسادها عليه.

فيجب على الرجل الحرّ المؤثر لصيانة حريمه أن يغار من خلوتها مع عجوز وامرأة من هذا الصنف كما يغار من خلوتها مع الرجل الأجنبيّ.

وأما الخدّام والمختّبون: وهؤلاء يدخل الدخيل منهما، فإنّهما يختلفان فلا يعدّان من النساء ولا من الرجال وهما ممازجا الصنفين، وهم أقود من جميع من تقدّم من أصناف القوّادين لأنّ لهم زيادة داعية بالشيوف للنكاح والالتذاذ بالتصرّف فيه، بالقول منهم والفعل من غيرهم، لما عجزوا عن بلوغ لذّة الفعل بأنفسهم.

ولا تظنّ أنّا حصرنا ذكر كلّ قوادر وقوادة فإنّ^(١) ذلك شيء لا يمكن حصره، وهؤلاء المشاهير.

(٤١) ١: لكان، ب: فأنّ، ج: كان.

مما جاء فيهم من الأخبار والنوادر

جاء في (غريب الحديث) عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم: «لا يدخل الجنة صقار»^(١)، وهو القواد^(٢).

وعنه: «لا يدخل الجنة القنذع»^(٣)، وهو القواد.

ومن أسماء المرأة القوادة التي كانت قبل ذلك بغياً: الواصلة.

وروي عن عائشة، رضي الله عنها، أنها قالت: «ليست الواصلة التي يعنون، ولا بأس إذا كانت المرأة زعراء»^(٤) أن تصل شعرها، ولكن الواصلة أن تكون بغياً في شبيبته، فإذا يثست وصلته بالقيادة»^(٥).

(١) الصقار (الصقور): القواد.

(٢) إضافة في ب:

جاء في غريب الحديث عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم: (لا يدخل الجنة صقار)، وهو القواد. وعنه، صلى الله عليه وسلم: (ان الله غرس الفردوس بيده وقال: وعزتي وجلالي لا يدخل مدمن خمر ولا ديوث).

وعنه، صلى الله عليه وسلم: (لا يدخل الجنة ديوث ولا يقبل الله من الصقور يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً)، وهو القواد.

وإضافة في ج:

جاء في غريب الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ان الله غرس الفردوس بيده وقال: وعزتي وجلالي لا يدخل الجنة ديوث ولا يقبل الله من الصقور يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً)، وهو القواد.

(٣) القنذع (القنذع، القنذوع): الديوث.

(٤) الزعراء: قليلة الشعر.

(٥) جاء في لسان العرب لابن منظور:

(الواصلة من النساء: التي تصل شعرها بشعر غيرها، والمستوصلة: الطالبة لذلك والتي يفعل بها ذلك. وفي الحديث: ان النبي، صلى الله عليه وسلم، نعن الواصلة والمستوصلة. وروي عن عائشة أنها قالت: ليست الواصلة بالتي تعنون، ولا بأس ان تعرض المرأة عن الشعر فتصل قرناً من قرونها بصوف أسود، وإنما الواصلة التي تكون بغياً في شبيبته، فإذا استت وصلتها بالقيادة) - راجع مادة وصل - (المؤلف).

نادرة

حدّث بكار بن رياح:

كان بمكة رجل يجمع بين الرجال والنساء على الشراب فشكّي إلى عامل مكة فنفاه إلى عَرَقات، فبنى بها منزلاً وأرسل إلى إخوانه فقال: (ما يمنعكم أن تعاودوا ما كنتم عليه؟)، قالوا: (وأين بك وأنت في عَرَقات؟)، قال: (حمارٌ بدرهم وقد صرتم على الطيبة والنزهة)، ففعلوا. فكانوا يختلفون إليه حتى فسدت أحداث مكة، فأعادوا شكايته إلى العامل، فأرسل إليه فأتى به فقال: (يا عدو الله، طردتك من حرم الله فصرت تفسد في ذلك المشعر الحرام^(٦) الاعظم). قال: (يكذبون عليّ، أصلح الله الأمير)، فقالوا: (الدليل على صحة ما نقول أن تأمر بجميع حمير مكة فترسل بها إلى عَرَقات ثم يرسلونها، فإن لم تقصد إلى منزله دون المنازل لعادتها فنحن المبتلون)، فقال الوالي: (إن في هذا لدليلاً وشاهداً عدلاً).

فأمر بجمع سائر حمير مكة التي للكراء فجُمعت ثم أرسلت فسارت إلى منزله كأنما يدل بها عليه دليل، فأعلمه بذلك أمناؤه فقال: (يا عدو الله، ما بعد هذا شيء، جردوه!). فلما نظر إلى السياط قال: (لا بدّ، أصلحك الله، من ضربتي؟)، قال: (نعم يا عدو الله)، فقال: (والله ما في ذلك شيء أشد عليّ من أن يشمت بنا أهل العراق ويضحكوا منا ويقولوا: أهل مكة يجيزون شهادة الحمير!). (قال) فضحك الوالي وخلّى سبيله.

ومن كبار القوادات: ظُلْمة، التي تضربُ بها العربُ المثلّ، فيقولون:

أَقْوَدُ من ظُلْمة

والعامّة تذهب بهذا المثل عن غير مذهبه، فيقولون: «أَقْوَدُ من الظُلْمة» بالآلف واللام، يعنون بذلك: اللّيل.

(٦) المشعر الحرام: المزدلفة، وهو موضع بين عرفات ومنى.

وفي القرآن: (فاذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام) سورة البقرة، آية ١٩٨.

ولعمري إِنَّ لهذا وجهاً، إِلَّا أَنَّ المَثَلَ لم يَجِء إِلَّا في المرأة المسَمَّاة:
ظُلْمة. وأمَّا وجه ما يريده الناس من ذلك أيضاً فصحيح، وذلك إِنَّ الظَّلام
يَسْتَرُ المحبَّ في زيارة محبوبه، ويجمع بينه وبينه لغية الرَّقِيب، فيُنزل
منزلة القَوَاد. وكذلك الفجر، لما كان يفضحه انزله منزلة النَمَام، وقد جاء
ذلك في اشعارهم.

حكى أَنَّ ابا الطَّيِّب المتنبي لما انشد كافور قصيدته التي أولها:

مَنْ الجَاذِر في زِيِّ الاعارِبِ

فبلغ قوله:

ازورهم وظلام الليل يشفع في وانثني وبياض الصبح يغري بني
حسده جميع الأدباء الحاضرين بمجلس كافور على هذا البيت لما فيه
من بديع التقابل وجودة الحوك واتقان السبك ورجوع أربعة بالتقابل على
أربعة لا يوجد بينها^(٧) خلل ولا حشو. فقالوا: (تُراه أخذَ هذا المعنى من
أحدٍ أو هولة؟)، فقال لهم شيخٌ راويةً للشعر^(٨)، كان يحضر مجلس كافور
ولا يكاد أحد يسلم من اعتراضه: (أجلوني ثلاثة أيام، فانا آتيكم به)،
فأجلوه.

فأتاهم فقال: البيت مسروق من مصراع^(٩) لابن المعتز، صغير
العروض، خامل اللفظ، وهو قوله من هذا البيت:

لا تلقِ إلَّا بليلٍ من تواعدهُ فالشَّمْسُ نَمَامَةٌ والليلُ قَوَادٌ

فقوله: «الشَّمْسُ نَمَامَةٌ» هو المعنى في قول أبي الطَّيِّب:

وانثني وبياض الصبح يغري بي

(٧) ج: بينهما.

(٨) في الفصل الخاص بالمتنبي الذي أورده الثعالبي في (بيتية الدهر) يشير إلى أَنَّ هذا الشيخ هو ابن جني، ويورد هذه الحكاية بتفصيل آخر.

- راجع (بيتية الدهر - الثعالبي، ج ١ ص ١١٥، طبعة مصر ١٩٣٤).

(٩) المصراع: نصف البيت، وهو مشتق من الصَّرْعين وهما نصفان النهار.

وقوله: «واللَّيْلُ قَوَاد» هو معنى قول أبي الطَّيِّب:

أزورهم وظلام الليل يشفع لي

إِلَّا أَنْ سائر الناس من العلماء والشعراء اجتمعوا على أَنَّ أبا الطَّيِّب صار أَحَقَّ بهذا المعنى من ابن المعتزِّ بما كساه من عذوبة الألفاظ وحسن السَّبك وجودة الحوك. وقال الثعالبي: «هذه القصيدة عروس شعر أبي الطَّيِّب، وهذا البيت عروس هذه القصيدة».

ونرجع لما نحن فيه فنقول: إِنَّ الظُّلْمَةَ التي يُضْرَبُ بها المَثَلُ في القيادة امرأةً من العرب ذكروا أَنَّها كانت صبيَّة في المكتب، فكانت تسرق دُوبَيَّ الصَّبَّيَّان وأقلامهم فَلَمَّا اشْبَهَتْ زَنْتَ، فَلَمَّا عَجَزَتْ قادتْ، فَلَمَّا قعدَتْ اشترتْ تَبَسًا فكانت تنزيه^(١٠) في بيتها على العُنُوزِ.
وحكى المدائني:

إِنَّ رَجُلًا من عَمَالِ السلطان كان لا يزال يأخذ قَوَادَةً ويسجنها ثم يأتيه مَنْ يشفع فيها فيخرجها، فَلَمَّا كثر ذلك عليه أمرَ صاحب شرطته فكتب في قَصَّتِها: «تجمعُ بين النساء والرجال، لا يتكلم فيها إِلَّا زَانٌ».
فإذا اتاه أحد يتكلم فيها قال: (اخرجوا قَصَّتِها ننظر فيم^(١١) سُجِنَتْ).
فإذا قُرِئَتِ القِصَّة قام الشَّفيع مستحيًا.

وحكى عن المبرِّد:

أَنَّهُ كان له غلام يقود له على الغلمان، فقال له ذات يوم بمحضَرٍ من الناس: (إمضِ فَإِنَّ رايَتَه فلا تقل، وإن رايَتَه فقلْ له). فذهب الغلام ثم عاد فقال: (لم أَرِه فقلتُ له، فجاءَ فَلَمْ يجىء)، فسئل الغلام بعد ذلك عن معنى هذا الكلام فقال: (انفذني إلى غلام فقال: «إِنَّ رايَتَ مولاه فلا تقل

(١٠) تنزيه: تجعله يشب على العنوز.

(١١) فيما.

له، وإن لم تره فقل له». فذهبت فلم أر مولاة فقلت للغلام، ثم جاء مولاة فلم يجيء الغلام).

غيرها

كان حمدان بن بشار قواداً على أبي نؤاس في زمن وجارته، فحدث أبو حاتم السجستاني قال:

مر أبو نؤاس في بعض سكك البصرة ومعه حمدان بن بشار، وكان يقود عليه، فرمقهم الناس فاستحيوا، فقال حمدان لأبي نؤاس: (تقدّم حتى اتبعك)، فقال أبو نؤاس: (تقدّمني أنت)، ثم انشد:

- شعر -

أقول لحمدان بن بشار مجاباً وقد رشقنا باللحاظ النواظر
وقنّع منه الرأس ثمت^(١٧) قال لي: تقدّم قليلاً إنني متأخّر
تقدّم قليلاً يعرف الناس شأننا بأنك قواد وأني مؤاجر
وحدث عبد الله بن محمد بن حفص قال:

غلّستُ يوماً إلى المسجد الجامع لصلاة الغداة، فإذا أنا بأبي نؤاس
يكلم امرأة عند باب المسجد، وكنت أعرفه في مجالس الحديث والأدب،
فقلت: (مثلك يقف هذا الموقف لحق أو لباطل)، فمضى ثم كتب إلي في ذلك:

- شعر -

إنّ التي ابصرتني سحراً اكلمها، رسول
أدت إليّ رسالة كادت لها نفسي تزول
من فاطر العينين يتعب خصره ردّ ثقيل
متنكبّ قوس الصبا يرمي وليس له رسل
فلو أنّ إذّك بيننا حتى نسمع ما نقول
لرايت ما استقبحت من امري هناك، هو الجميل

وحدَّث محمد بن مظفر، كاتب اسماعيل بن صبيح، قال: قال لي
إسماعيل:

قال لي الرّشيد يوماً: (يا اسماعيل، ابغني^(١٣) جاريةً، وصيفةً فطنةً،
مقدودةً تسقني. فإنّ الشرب يطيب من يدٍ مثلها).

(قال) فقلت: (يا سيدي على الجهد، إلّا أنّي أحبّ أن تصفها لي)، فقال
لي: (اجعل قول هذا العيّار إماماً لك) يعني أبا نؤاس، فقلت: (وما هو؟)،
قال: قوله:

- شعر -

من كفّ ساقيةً ناهيك ساقيةً في حسن قد وفي ظرفٍ وفي ادبٍ
كانت لرّبٍ قيانٍ ذي مغالبةٍ بالكشخ^(١٤) محترفٍ بالكشخ مكشِبٍ
فقد رأت وردت عنهنّ واختلفت ما بينهنّ ومن يهوينّ بالكتبِ
وجُمُشت^(١٥) بخفي اللحظ فأنجمشت وجرت الوعد بين الصدق والكذبِ
تمتّ فلم يرَ إنساناً لها شَبهاً فيمن برا^(١٦) الله من عجمٍ ومن غرَبِ
قال: (فلا والله، ما قدرتُ على جاريةٍ فيها بعض ذلك).

حدَّث الصلّ، قال:

كنّا عند سفيان بن عُيينة، فذكروا قول مالك بن دينار: «وأمّا إبليس^(١٧)
والله لقد عصي فما ضرّه، ولقد أطيع فما نفع، فقال له رجل: (إنّ أذنتَ يا
أبا محمّد أنشدتَ لهذا العراقيّ، يعني أبا نؤاس، في هذا المعنى شيئاً)،
قال: (هاتِ)، فأنشده:

(١٣) هامش توضيحي للناسخ في ١: [ابعث لي]. (وابغني: اطلب لي).

(١٤) الكشخ: القوادة.

(١٥) جُمُشت: غوزلت، دوعيت.

(١٦) برا (براً): خلق.

(١٧) ١: وما. ب: فاما. ج: واما.

- شعر -

عجبتُ من إبليس في كبره وخُبتُ ما اظهرَ من نيتِه
تأه على آدم في سجدَةٍ وصارَ قواداً لذريتِه
فاستضحك سفيان وقال: (وأبيك، لقد ذهبَ مذهباً، وما تنفك عن مُلْحَةٍ
تأتينا عن هذا الشاعر).

قال أبو منصور الثعالبي:

ومن أحسن ما سمعتُ في قواد قول السريّ الموصلّي في رجل اسمه
إدريس:

- شعر -

من ذم إبليس في قيادته . فإنني شاكرُ لإدريس
كلّم لي عاصياً فصار له اطوع من آدم لإبليس
وكان في سرعة المجيء به آصف^(١٨) في حمل عرش بلقيس
وقال حميد بن ثور، وهو من جيّد ما قيل في هذا الباب:

- شعر^(١٩) -

خليليّ إنّي مشتك ما اصابني لتستيقنا ما قد لقيتُ وتعلما
فلا تفشيا سريّ ولا تخذلا أخاً ابثكما منه الحديث المكتما
لتتخذنا لي، بارك الله فيكما إلى آل ليلى العامرية سلّما
وقولا إذا جاوزتما ارض^(٢٠) عامرٍ وجاوزتما الحيين: نهّدا وخنّما

(١٨) آصف: كاتب النبي سليمان، وهو الذي دعا الله بالاسم الاعظم فرأى سليمان العرش مستقرّاً عنده.

(١٩) فيما يلي النصّ تبعاً لما ورد في نسخة أ، بالمقارنة مع النصّ نفسه في (ديوان حميد بن ثور الهلالي - تحقيق عبدالعزيز الميمني، القاهرة ١٩٦٥ م). أما ما ورد في نسختي ب، ج فهو بمجملة ناقص ومحرّف، ولذا فإن إدراجهما لا يغني بقدر ما يربك، فاستغنيّا عن ذكرهما هنا.

(م)

(٢٠) في الديوان: آل.

نزيعان^(٢١) من جرم بن ريان إثمهم
وحنًا على نضوين مكتفليكما^(٢٢)
وزاداً غريضاً^(٢٣) خفّاه عليكما
وإن كان ليلاً فالويا نسيئكما
[وقولا خرجنا تلجرين فابطأت
ولو قد اتانا برئنا^(٢٤) ودقيقتنا
ومذا لهم في السوم حتى تمكنا
فإن انتما اطمأنتنتما فامنتما^(٢٥)
وقولا لها: ما تامرین بصاحب
ابيني لنا، إنا رحلنا مطيئاً

ابوا أن يميروا^(٢٦) في الهزاهز مُحجفاً
ولا تحملاً إلا زناداً^(٢٧) واسهما
ولا تبديا امرأ^(٢٨) ولا تحملاً دما
وإن خفتما أن تُعرها فتلتما
ركابَ تركناها بتثليث قِيماً^(٢٩)
تمول منكم من رأيناه^(٣٠) معدما
ولا تستلجاً صفقَ بيعٍ فتلزمنا
واجلبتما^(٣١) ما شئتما فتكلما
لنا قد تركت^(٣٢) القلب منه متيماً؟
إليك وما نرجوه إلا توهُما^(٣٣)

غيره

عجوزة سوء لا رعى الله قدرها
إذا طمئت قادت وإن طهرت رئت
على وجهها للفاحشات شهود
فتلك التي يُرنى بها وتقود



قَوَادَة فارمة، كثيرة التوصل
لو شهدت صفين او وقعة يوم الجمل

(٢١) ١: بربعان، (ونزيعان: غريبان).

(٢٢) ٢: يميروا: يريقوا. الهزاهز: الفتن.

(٢٣) ٢: الديوان: وسرا على نضوين مكتفليهما.

(٢٤) ١: وياداً (١).

(٢٥) ١: عريضاً، (والغريض: الطير من اللحم والتمر ونحو ذلك).

(٢٦) ١: مرأ. وفي الديوان: ولا تقضيا سرأ.

(٢٧) البيت اصفناه من الديوان ليستقيم السياق. (وتثليث: موضع بالحجاز قرب مكة).

(٢٨) ١: زادتنا ودقيقتنا. وفي رواية أخرى (ودقيقتنا)، وهي رواية مُستكرهة.

(٢٩) ٢: الديوان: اتيناه.

(٣٠) ٢: الديوان: وأمئتما.

(٣١) ١: وأخليتما.

(٣٢) ١: تركنا.

(٣٣) ٢: الديوان: تلؤما.

توصلت بالصلح ما بين ابن هند وعلي

غيره، للمأمون رحمه الله تعالى

بعثك مرتداً^(٣٤) ففرت بنظرة واخلفتني حتى اسأت بك الظناً
وناجيت من اهوى وكنت مقرباً فيا ليت شعري عن دنوك ما اغنى
وردت طزلاً في محاسن وجهها ومثعت باستسماع نغمتها اذنا
ارى اثرأ منها بعينيك كم يكن لقد سرت عينك من وجهها حسنا

ومن هؤلاء الأرسال من يميل للمعشوقة وتميل اليه فيتآلفان ويتركان
العاشق المرسل.

حدث الزياشي قال:

كان أبو ذؤيب يهوى امرأة من قومه، وكان رسوله اليها رجلاً اسمه
خالد بن زهير، فخانها فيها فصادقها، فقال أبو ذؤيب يخاطبها وخالد:

- شعر -

تريدين كيما تجمعيني وخالداً وهل يُجمع السيفان، ويحك، في غمد؟
أخالد ما راعيت مني قرابة فتحفظني بالغيب أو بعض ما تُبدي
فأجابه:

فلا تجزعن^(٣٥) من سنة إذ سننتها فأول راضي^(٣٦) سنة من يسيرها
الم تنقذها من يد ابن عويمر وانت صفى نفسه ووزيرها؟^(٣٧)

(٣٤) المرتاد: طالب الشيء ومفتقده.

(٣٥) ١: لا تجزعن. ب: فلا تجزعن. ج: قد تجزعن.

(٣٦) ١، ج: راض.

(٣٧) كان أبو ذؤيب يبعث ابن عم له، يقال له خالد بن زهير، إلى امرأة كان يختلف اليها، يقال لها أم عمرو، وهي التي كان يشيب بها، فراودت الغلام على نفسه فأبى ذلك حيناً وقال: أكره أن يبلغ أبا ذؤيب، ثم طارعا، فقالت: ما يراك إلا الكواكب! فلما رجع إلى أبي ذؤيب قال: والله اني لأجد ريح أم عمرو فيك! ثم قال فيه ما قال مرة عليه خالد بهذه القصيدة:
فلن التي فينا زعت ومثلها الهيك، ولكني اراك تجورها =

وقال علي بن الجهم يصف قواداً^(٣٨):

- شعر -

فاطلق يداً في بيته بتفضل
اشرب بيدٍ واغمر بطرفٍ ولا تخف
ونك غير ممنوعٍ وقل غير مسكتٍ
لك البيت ما دامت هدايك جمّة
تُصان لك الابصار عن كل منظرٍ
ويُصفى ملياً في الحديث المفصل

أبو هلال^(٣٩) العسكري في مدح قواد:

- شعر -

تكاذ لو لم تك أنسيّة
لا تُعصم الحسناء من كيدها
تجري من الانسان مجرى الدّم
ولو توقّفت في الدّنا المعظم

مصنّف الكتاب:

مفناك اغناك عن ارضٍ تُيمّمها
فسوف تاكل فيه كسب كل فتى
ربح تعدى لما تلقى بساحته
من سائر الناس من غرب ومن عجم
لكسب مال، فلا تبرح به ونم
من لذّة وانبساط سائر الامم

= الم تتنقّها من ابن عويم
فلا تجزعن من سنة انت سرتها
(شرح اشعار الهذليين. للسكّري، ج ١، تحقيق عبدالستار أحمد فراج - بيروت).
(٣٨) ندرج هنا الابيات حسب مخطوطة ١.

وفي ديوان علي بن الجهم:

فاعمل يداً في بيته وتبدّلن
اشرب بيدٍ واغمر بطرفٍ ولا تخف

وسل غير ممنوعٍ وقل غير مسكتٍ
لك البيت ما دامت هدايك جمّة
تُصان لك الابصار عن كل منظرٍ
ويُصفى اليك بالحديث المفصل

(ديوان علي بن الجهم، تحقيق خليل مردم بك، لجنة التراث العربي - بيروت ١٩٥٩).

(٣٩) ١. ب: ابن هلال.

وكل ما فيه ممنوع ومحترم فلا سبيل به إلا إلى الحرم

ولغيره

ايا ملكاً حاز العلى والمكارما اترضى بغيري، في الانام، مُنادماً؟
وعندكم مَنْ لا يثقل ظلهُ فإن شنته ملهى وإن شئتَ خادماً
بتصفية الزاح الغليظة حاذقاً وتعبئة الریحان والنقل علماً
ينام إذا رُقِ الكلامُ تغافلاً وإن هو لم يطرقة نومَ تناوماً

ومن أسماء القواد: القزنان.

اجمع ائمة اللغويين أنه سمي بذلك لأنه يقرن بأهله غيره، وقد اكثر
شعراء المشرق والمغرب في ذكر ذلك واوغلوا فيه.

فمن ذلك قول ابن الحجاج^(٤٠) البغدادي:

- شعر -

لك قرن رقى النبي إلى الله، تعالى، عليه في المعراج
قدروا اصله فكان على رأسك مع رأس قبة الحجاج

غيره لابن الرومي

إن من يزعم أن لبس إلى ذي العرش سلم
لو رأى قرنك هذا لاستحى أن يتكلم^(٤١)

(٤٠) ١: ابن حجاج.

(٤١) ١: على اليمين حاشية للناسخ: [لا جزى الله فائده خيراً، ما اشد جراته على ربه!]. والنص في

ديوان ابن الرومي:

يا نبي الله في الشعر ويا عيسى بن مريم
انك من اشعر خلق الله ما لم تتكلم
إن من يزعم أن لبس إلى الغيثوق^(٤٢) سلم
لو رأى قرن الحريش استحى أن يتكلم

(ديوان ابن الرومي، تحقيق دكتور حسين نصار، مطبعة دار الكتب، ١٩٧٧). (٤٢) والغيثوق:

كوكب أحمر مضي بحبال الثريا من ناحية الشمال - (لسان العرب، مادة عوق).

وله في المعنى ما هو أشنع من هذا، مما يجب أن يفكر به، وهو:

-شعر-

إن ابن حمدون ذو قرون شمخ في راسه، طوال
لو أنها في زمان موسى اغنت عن الصرح ذي المحال^(٤٢)
وكان فرعون قد تدنى منها إلى الله بالحبال^(٤٣)

وله في قواد بخل:

لو أن كفك رجل عرسك كنت في الفضل حاتم
أو رجلها يدك المشومة كنت من قرنيك سالم

الصقل:

على راسه قرن إذا كان جالساً يجوز به الجوزاء أو ينطح النطحا^(٤٤)
فحمرة آفاق السماء بأسرها دليل على أن النجوم به جرحى

الشريف المخزومي:

وجوه تعز على معشر ولكن تهون على الشاعر
قرونهاً مثل ليل الحب وليل الحب بلا آخر

ولبعضهم:

يا رب مُسَمِّعٍ^(٤٥) لبعض معارفه فكأنه لا يسام النيك

(٤٢) المحال: العقاب، وهو إشارة لما ورد في القرآن (وهو شديد المحال) سورة الرعد - آية ١٣.

(٤٣) هامش للناسخ في ١: [هذا كفر صراح، فعل مصنفه لعنة الله، وحاكي الكفر ليس بكافر].

(٤٤) هامش للناسخ في ١: [والنطح والناطح: السرطان، مهزلتان من منازل القمر].

(٤٥) المُسَمِّع: المغنّة.

قُفْرِيَّة^(١٦) فِي لَوْنِهَا لَكُنْهَا تَخَذَتْ غُصُونُ قُرُونِهِ إِنْكَا^(١٧)

ابن الرومي:

لَهُ قُرُونٌ شَمَخَتْ فِي الْعُلَا اطَالَهَا رَبُّ الْبَرِيَّاتِ
يَسْتَرْقُ السَّمْعَ عَلَى قُرْنِهِ إِبْلِيسُ فِي جَوْ السَّمَاوَاتِ

حَدَّثَ ابْنُ عَلِيٍّ الْمُبَرَّدُ قَالَ:

كَانَ سَلِيمَانُ بْنُ وَهَبٍ يَكْتُبُ لِمُوسَى بْنِ مَعَاذٍ، وَكَانَ يَعِشُقُ مَمْلُوكًا لِمُوسَى،
فَخَرَجَ مُوسَى ذَاتَ يَوْمٍ مُتَصِيدًا وَمَعَهُ أَبُو الْخَطَّابِ الْكَاتِبُ، فَوْرَدَ أَمْرَ احْتِاجٍ
فِيهِ إِلَى سَلِيمَانَ فَأَمَرَ أَنْ يُسْتَدْعَى بِهِ، فَقَالَ أَبُو الْخَطَّابِ لَذَلِكَ الْغَلَامُ:
(بَادِرْ إِلَى سَلِيمَانَ فَاحْضَرْهُ)، فَرَكِضَ إِلَيْهِ. فَلَمَّا حَصَلَ لَدَيْهِ تَلَطَّفَ لَهُ حَتَّى
سَمِعَ وَنَالَ مِنْهُ مَا أَحَبَّ وَنَهَضَ مَعَهُ إِلَى مُتَصِيدِ مُوسَى وَامْتَثَلَ أَمْرَهُ، فَلَمَّا
كَانَ مِنَ الْغَدِ كَتَبَ إِلَيْهِ أَبُو الْخَطَّابِ يَقُولُ:

- شَعْر -

لَا خَيْرَ عِنْدِي فِي الْخَلِيلِ يَنَامُ عَنْ سَهْرِ الْخَلِيلِ
هَلْ تَشْكُرُنِي فِي الْغَدَاةِ تَلْطَفِي لَكَ فِي الرَّسُولِ؟
إِذْ نَحْنُ فِي صَيْدِ الْجِبَالِ وَأَنْتَ فِي صَيْدِ السَّهْلِ^(١٨)

وأهل العراق يكتنون عن القَوَادِ بالنقيب.

أَنشَدَ الصَّاحِبُ بْنُ عَبَّادٍ:

(١٦) القُفْرِيَّة: نوع من الخَمام.

(١٧) الأيك: الشجر الملتف الكثيف.

(١٨) في كتاب (الفكاهة والانتناس في مجون أبي نؤاس) ترد الحكاية بنسبة الشعر إلى أبي الأخطل

بدلاً من أبي الخطاب، مع إضافة لببيت يلي البيت الأول:

قولوا لاخضر من رايث لكل معروف جليل

راجع - طبعة مصر ١٣١٦ هـ، ص ٢٥٦.

يا ابنَ يعقوب يا نقيبَ البدور كنْ رسولي الى فتى مسرور^(٤٩)
قلْ له إِنَّ للجمالِ رِكاةً فتصدّقْ به على الجمهورِ^(٥٠)

ومن أبدع وأبلغ ما قيل في هذا المعنى:

- شعر -

يسهل كل محتجب منيع ويأتي بالمراد على اقتصاد
فلو كلفتُه تحصيل طيفِ الخيالِ ضحى، لزار بلا رقاد

(٤٩) ١: مسروري (١).

(٥٠) ١: الجمهوري. ب، ج: المهجور.

الباب الثالث

في شروط الزّناة
وعلامات القحّاب



أَوَّلُ شُرُوطِ الزَّانِي: أَنْ يَكُونَ شَابِئاً، فَإِنْ كَانَ شَيْخاً رَأَى فِي نَفْسِهِ النَّكَالَ وَعَرَضَهَا لِنَتَقِفِ السَّبَّالِ^(١). وَيَكُونُ صَغِيرَ اللَّحْيَةِ، فَإِنْ كَانَ كَبِيرَهَا بِالطَّبْعِ، فَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ تَقْصِصِهَا وَالْأَخْذَ مِنْهَا وَتَسْوِيطِهَا. وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ النِّسْوَانَ إِنَّمَا يَعِشْنَ الْأَحْدَاثَ مِنَ الرِّجَالِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لِلرَّجُلِ لَحْيَةٌ أَصْلًا فَهُوَ مُنَى قَلْبِ الْمَرَأَةِ وَغَايَةُ سُؤْلِهَا^(٢).

قال أبو تمام:

أَحْلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ مَوَاقِعاً مَنْ كَانَ أَشْبَهُهُمْ بِهِمْ خُدُوداً
فَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ طَاعِناً فِي السِّنِّ، كَثُ اللَّحْيَةِ، رَدَّ نَفْسَهُ، بِالْخَضَابِ
وَالْأَخْذَ مِنْ شَعْرِ الْوَجْهِ، إِلَى الْقُرْبِ مِنْ شَبِّهِ الْأَحْدَاثِ.

ومن شروطه: عطارة الرائحة، وهو أمر مهم في هذا الباب. وسبب ذلك أَنَّ الرائحة العطرة تهيج شبق المرأة وتحدث لها شهوة عالية.

ومن شروطه: أَنْ يَكُونَ نَظِيفَ الثِّيَابِ حَسَنَهَا إِنْ أَمَكْنَهُ، فَإِنَّ الْمَرَأَةَ تَعِشُّ الرَّجُلَ فِي الثَّوْبِ الَّذِي يَشَاكِلُهُ.

وَأَنْ يَسْتَكْثِرَ مِنَ الْحَمَامِ وَاسْتَعْمَالَ الْحَنَاءِ فِي شَعْرِهِ، فَقَدْ قَالَتْ الْحِكَمَاءُ: «إِنَّ رَائِحَةَ الْحَنَاءِ فِي الشَّعْرِ تَهْجِجُ قُوَى الْمَحَبَّةِ». وَلِلْحَنَاءِ فِي

(١) السبب: مُقَدِّمُ اللَّحْيَةِ.

(٢) سؤْلِهَا: مَطْلِبُهَا.

الشَّعْرُ خاصِيَّةٌ عجيبة من العطارَة وتفوق رائحة المسك لمن تأمل ذلك .
 وأن يستعمل السُّواك والدهن ، وأن تكون له تُحَفٌ لطيفة ظريفة مما
 يتهادى لها ، حسنة المنظر ، قليلة الثمن ، معدَّة عنده ومعه .
 وأن يكون من معارفه عجوزة قَوَادَة يتعاهد بها بالاحسان والافتقاد . وأن
 يكون رقيق القلب ، سريع الدمعة ، قادراً على البكاء متى شاء . ليكون متى
 أمكنه الكلام مع محبوبه شكى أنَّه هالك من الوجد ، متجاوز في ذلك الحدَّ
 ثم استعبر . فإنَّ ذلك إذا اتَّفَق من الرجل في خلوة مع امرأة ، لا سيَّما إنَّ
 كان على الشروط المتقدمة ، فإنها أطوع له من إحساسه ، وأقرب مراده من
 رَجْعِ أنفاسه .

قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي:
 شَيْبٌ وَغَانِيَةٌ بدارِ إقامَةٍ لا تستوي السُّوداءُ والبيضاءُ
 قلَّ لابن جَلَوَةٍ لو أنَّكَ امرؤٌ ما آذنتكَ ببيئها أسماءُ

وقال:
 غَنَّتْ^(٣) لي في بعض الطرقات جارية استملحتها فكلَّمْتُها ، فولَّتْ عني
 ومَرَّت بين يدي غير حافلة بي ولا ملتفتة إليّ ، فتبعتها حتى وافَتْ بابَ قصرٍ
 شاهقٍ ، فأخذت بعصا دُتيه^(٤) ثم كشفت عن وجهِ كالقمر ، وأنشأت:

- شعر -

الآن لما علاكَ الجَلَاءُ^(٥) وابصرت في العارضين القُتيرا^(٦)
 وبانَ الشَّبابُ بلذاته هوى ، واصبحت شيخاً كبيراً

(٣) عَن: ظهر امامه واعترض . وفي ١ ، ج: غَنَّتْ .

(٤) عضادات الباب: خشبته من جانبيه .

(٥) الجلاء: ابتداء الصلح .

(٦) هامش للناسخ في ١: [أي الشَّيب] .

تَطَرَّيْتُ وَاحْتَجَجْتُ لِلْغَانِيَاتِ؟ فَهِيَهَاتِ^(٧)! حَاوَلْتُ امْرَأً عَسِيراً
ثُمَّ أَغْلَقْتُ الْبَابَ وَدَخَلْتُ، فَانصَرَفْتُ مَخْزِئاً كَمَنْ دَخَلَ النَّارَ.

بعضهم:

مَاذَا لَقِيتُ مِنَ الشَّبَابِ وَعِيْبِهِ؟ وَاشَدَّ مَا فِي الْعَيْبِ شَيْبٌ مُقْبِلٌ
فَمَاذَا اشْرْتُ إِلَى الْفَتَاةِ بِقُبْلَةٍ أَوْ مَا إِلَيْهَا شَارِبِي لَا تَفْعَلْ

وله:

رَأْتُ طَالِعاً لِلشَّيْبِ أَغْلَقْتُ قِصَّةً وَلَمْ تَتَعَهَّدْ أَكْفُ الْخَوَاضِبِ
فَقَالَتْ: أَشَيْباً أَرَى؟ قُلْتُ: شَامَةٌ فَقَالَتْ: لَقَدْ شَامَتَكَ عِنْدَ الْحَبَابِ

فَإِنْ كَانَ لَا بَدَّ لِلشَّيْخِ مِنَ الْإِشْتَغَالِ بِهَذَا الطَّرِيقِ فَلَا مَفْزَعَ لَهُ إِلَّا
الْمُغَالَطَةُ بِالْخَضَابِ وَالْكَذِبِ وَالتَّزْوِيرِ عَلَى الشَّبَابِ.

ذَكَرُوا أَنَّ امْرَأَةً سَأَلَتْ أَحْمَدَ بْنَ الْخَصِيبِ حَاجَةً وَقَالَتْ لَهُ: (إِنَّ لَكَ بَهَا
عِنْدِي هَدِيَّةً نَفِيسَةً)، فَلَمَّا قَضَاهَا أَعْطَتْهُ صَرَّةً فِيهَا خَضَابٌ وَقَالَتْ لَهُ: (غَيَّرْ
بِهَذَا بَيَاضَ لَحْيَتِكَ، فَلَرَسَلْ عَذْرَةَ^(٨) عَلَى صَدْرِ إِحْدَانَا أَسْهَلَ عَلَيْهَا مِنْ
لَحْيَةِ بَيَاضٍ).

قَوْلُ أَعْرَابِيٍّ فِي صِفَاتِ الزَّانَةِ:

- شعر -

مَاذَا يُظَنُّ بِسَلْمَى إِنْ أَلَمَ بِهَا مَرْجُلُ الرَّاسِ ذُو بُرْدَيْنِ مِرْأَحُ؟
حَلَوْ فَكَاهَمَتَهُ، خَرُّ عِمَامَتُهُ فِي كَفِّهِ مِنْ رُقَى ابْلِيسَ مِفْتَاحُ

(٧) أ، ب، ج: هيهات. وقد أضفنا الغاء لتقويم البيت.

(٨) العذرة: الغائط.

وأما علامات المرأة

فعلامتها في الرجل الأجنبي ومحبتها له فإن تراها إذا تحدت معها
تديم النظر اليه، وأن يعترئها تتأوب، وأن تعبت بطرف ثوبها أو إزارها
كانها تقلب، أو تنكت باصبعها الأرض، أو تحرك إبهام رجلها بأن ترفعه
وتضعه في الأرض، وأن تنظف جسد ولدها وثيابه وتمشطه وتكحله
وتعرضه عليه، وأن تكثر ذكره والحديث عليه مع صاحباتها وجاراتها، وأن
تضجر ويسوء خلقها بغير سبب إذا غاب عنها خبره، وإن كانت له زوجة
أن تصادق زوجته وتكثر زيارتها، وإن رأت في بيته شيئاً من خاص أسبابه
أن تأخذه في يدها وتتولع به، وإن وجدت فراشه استلقت عليه ولعبت فيه.

* * *

الباب الرابع

في القحَاب المتبذلات
ونواذر أخبارهن
وملح أشعارهن



اصناف القحاب المتبذلات سبعة، وهن:

- [١] الغيرة
- [٢] والسكرانة
- [٣] والحيارنة
- [٤] والشاطرة
- [٥] والمسافرة
- [٦] والمغنية
- [٧] والمظلومة.

* * *

[١] أما الغيرة

فهي فاجرة تتلحف بإزار التحافاً مُلهَوْجاً^(١) وتتنقّب تنقّباً غير مُحَكَّم، وتُظهر في مشيتها اضطراباً وتتصفّح وجوه الرجال، فاذا رأت رجلاً استرابها وطمعت في تحصيله قربت منه مازة عليه ثم قالت بحيث يسمعها، وهي تُوهم أنها لا تُسمعُ: (اللهم إعن الشيطان، كنتُ أكون مثله ويكون لُبني كلبنه، اللهم اهدني ولا تضلني)، ثم تذهب وترجع كالعائبة

(١) مُلهَوْج: غير مُحَكَّم.

على نفسها واللائمة لها. فيعجب الرجل من حالها ويقول لها: (ما شأنك أيتها المرأة؟)، فتقول له: (ومالك والسؤال عما لا يعنك؟ دعني فيما قضى الله عليّ)، فيلح عليها فتقول له: (أنا امرأة ذات بعل، والله ما عرفت قط غيره ولا انكشفت لمخلوق سواه، وهو رجل قليل المروءة، ميال للزنا، فلمّا كان الآن خرجت من منزلي للحمام ثم عدتُ والباب مفتوح فوجدتُ معه امرأة على فراشي، رأيتهُم من حيث لا يرونني، وأنا امرأة غيرة شديدة الغيرة، فخرجتُ على وجهي وأليتُ على نفسي ألا أعود إلى منزلي حتى أفعل مثل فعله، ثم رجعتُ على نفسي بالملامة ولعنتُ الشيطان وقلتُ أكون خيراً منه).

ثم تنصرف عنه، فلا بدّ له أن ينشأ في قلب الرجل من كلامها شهوة، فيتبعها ويستعيدّها فتأبى، فيلح عليها ويبذل لها أضعاف ما تستحقّه مثلها ويطمع في دوام صحبتها بما ينشأ^(٢) في قلبه من الشهوة لها، فتعود معه على نيل ما تطمع فيه من قلبه.



[٢] وأما السكرانة

فهي فاجرة تشرب اقداحاً من الخمر بحيث أن تظهر عليها رائحة الخمر ثم تخرج فتعمل في مشيتها التساكر وتتوسّم الرجال، فإذا أبصرت من تظنّ فيه حصول أزبها تبعته إلى شارع منقطع ثم جاءت من تلقاء وجهه فضربته في صدره بكفها ضربة عظيمة وقبضت على مجامع أطواقه ثم تمايلت تمايل السكران الطافح ثم قالت له: (يا فلان!)، بكناية غير كُنيتّه، كأنها شبهته لغلبة السكر عليها (يا خائن يا غدار، عشقت فلانة كأنها خير مني، وظننتُ أنّي ما عرفتُ بك، وتحلف لي الأيمان الفاجرة. والله لا تركتُ عليك ثوباً إلا مرقتُهُ الآن)، وتجذب ثيابه فيقول لها الرجل: (لا تفعلي أيتها المرأة، فلستُ بهِ وانتِ غالطة)، فإذا سمعتُ كلامه أظهرتُ

(٢) وينشأ. ج: بما نشأ. ب: دوام ما نشأ.

الخلج والانكسار ومالت كالغشي عليها، ثم تأملتُه وقالت: (يا أخي إستتر ما سترَ الله، فإبني سكرانة).

ثم تتركه وتنصرف متحاملةً تقوم تارةً وتقعُد أخرى، فيطمع الرجل في تحصيلها على تلك الحالة ويقول: «هذه فرصة وغنيمة مع كونها خفيفة المؤونة لا يحتاج لها طعام ولا شراب، وهي مغلوبة على نفسها يتصرف الانسان فيها كيف يشاء»، فيتبعها ويستدعيها لمنزله فتأبى عليه وتقول له: (ما أخون صديقي، ولو ما شَبَّهْتُكَ ماتعرضتُ اليك)، فيزداد بهذا القول حرصاً وترغباً ويبدل لها أضعاف ما تستحقه بغير هذا الطريق، فتساعده بعد تحصيل ما ترومه منه.

[٣] وأما الحيرانة

فهي فاجرة تقصد دور العزّاب والغرباء، فإذا علمت أن غريباً في دارٍ قرعت عليه باب الدار، فإن كان الباب غير مقفول فتحتَه ودخلت الدهليز ثم قالت: (يا أمّ فلان!)، لاسم مجهول، فإذا خرج الرجل ووجدها^(٢) في الدهليز مكشوفة الوجه سترت وجهها ثم تأملت الدهليز كالمنكرة له وقالت: (ويلي^(٤)! ما هذه الدار؟)، فيقول لها الرجل: (ما حاجتك؟)، فتقول له: (أنا منذ اليوم أطلب دار أمّ فلان وقد غلطت بالدار، فبالله دلّني عليها)، فيقول الرجل بما اتفق له من التعرّب وخلاء المنزل ومحاذة المرأة في الخلوة: (فادخلي حتى تذكرني حاجتك فأقضيها)، فتأبى وتروم الخروج فيجذبها، فتحصل منه أملها على شرطها ومرادها فتدخل.

[٤] وأما الشاطرة

فهي فاجرة تخرج من بيتها حافيةً وتستعمل سرعة السير، فإذا أبصرت

(٢) ١: وجدها.

(٤) ١: ولي. ب: يا ويلتي. ج: يا ويلي.

مَنْ تَتَوَسَّم فِيهِ حَصُولَ بُغْيَتِهَا حَازَتْهُ، ثُمَّ تَقُولُ بِحَيْثُ يَسْمَعُهَا: (لَعَنَ اللَّهُ الرِّجَالَ مَا أَقْلَهُمْ مَرْوَةً!)، فَيَنْكُرُ الرَّجُلُ عَلَيْهَا هَذَا الْقَوْلَ وَيَقُولُ لَهَا: (وَيْحَكَ! كَيْفَ تَطْلُقِينَ لِسَانَكَ بِلَعْنَةِ الْمُسْلِمِينَ؟). فتقول له: (إِسْكْتُ هَذَا شَيْءٌ مَا يِلْزَمُكَ، لَوْ عَلِمْتَ مَا تَمَّ لِي لَعَذَرْتَنِي)، فيقول لها: (وَمَا تَمَّ عَلَيْكَ؟)، فتقول له: (أَتَعْرِفُ فَلَانَ الْبِرَّازَ، أَوْ الْعِطَارَ؟)، وتسمي له رجلاً مجهولاً أو معروفاً، فيقول لها الرجل: (أَعْرِفُهُ)، فتقول له: (اليوم يتبعني كذا وكذا شهر ويبيذل لي الرغائب فلم يجد قط مني لمحَةً، فلَمَّا غلبني بالجميل وقيدني بالاحسان أذعنت له فاستدعاني إلى منزل أعد فيه طعاماً وشراباً وفاكهة، ثم خرج فدخل عليّ برجلٍ آخر من أصحابه فظننتُ أَنَّهُ نديم أو صاحب المنزل، فما كان بأسرع من أن مَدَّ يده إليّ يتلاعب عليّ، فأظلمت الدنيا في عيني وقلتُ: لولا أَنِّي طَاوَعْتُ هَذَا الْفَاعِلَ، الصَّانِعَ، مَا نَظَرَ لِي بِعَيْنٍ مَنْ يَشَارِكُ فِيهَا.

فَاسْتَغْفَلْتَهُمْ، ثُمَّ سَرَقْتُ إِزَارِي وَخَرَجْتُ حَافِيَةً مِنْ غَيْرِ أَنْ يَعْلَمَ بِي أَحَدٌ مِنْهُمْ، كَمَا تَرَانِي، وَلَمْ يَنْلِ أَحَدٌ مِنْهُمْ غَرَضاً، فَبِاللَّهِ مَا أَنَا شَاطِرَةٌ؟)، فيقول لها: (إِنِّي وَاللَّهِ يَا سَتِّي، إِلَّا أَنَّهُ يَجِبُ إِلَّا تَقْطَعِي لَذَّتِكَ وَأَنْ تَصْلِيَهَا عِنْدِي)، فتأبى عليه وتقول له: (لولا أَنَّ ذَلِكَ الرَّجُلَ لَهُ يَتَرَدَّدُ الدَّهْرَ الطَّوِيلَ مَا ظَفَرَ مِنِّي بِهَذَا)، فيقول لها: (هَذَا شَيْءٌ جَاءَ عَلَى الْخَاطِرِ). ولا تزال تتمتع منه ويرغبها حتى يبيذل لها فوق ما تستحقه، فتطاوعه.



[٥] وَأَمَّا الْمَسَافِرَةُ

فَهِىَ فَاجِرَةٌ تَخْرُجُ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى بَعْضِ الْقُرَى الْمُتَّصِلَةِ بِهَا، فَإِذَا صَارَتْ فِي الْقَرْيَةِ أَكْثَرَتْ مِنْهَا حِمَاراً إِلَى الْمَدِينَةِ وَأَخَذَتْ خُرْجاً فَجَعَلَتْ فِيهِ كِشْكاً^(٥) وَحِمَصاً وَعَدَساً وَبَيْضاً وَأَشْبَاهَ ذَلِكَ مِمَّا يُجْلَبُ مِنَ الْقُرَى الْمَدِينَةِ وَضِيَاعِهَا، ثُمَّ رَكِبَتْ الْحِمَارَ وَقَفَلَتْ إِلَى الْمَدِينَةِ وَتَوَسَّمتِ النَّاسَ فِي الطَّرِيقِ،

(٥) الْكِشْكُ: طَعَامٌ يَتَّخَذُ مِنْ نَقِيعِ الْبِرْغَلِ بِاللَّيْنِ.

فإذا أبصرتُ شاباً من أهل المدينة تظنُّ به العزوبية والميل إليها قربت منه وشاكلته حتى يجاذبها الحديث فتلين له وتتحدث معه فيسألها من أين أقبلتُ، فتذكر له أنَّها امرأة الجنديِّ فلان مُقطع القرية الفلانية وأنَّها خرجت معه لضييعته وأتت منها هذا اليوم بما هو صحبتها، ممَّا أهداه^(٦) لهم فلاحو القرية ثم تطمعه في نفسها، فحينئذ يستدعيها لمنزله فتفعل بعد تشدّد عظيم، فإذا صارت في المنزل قالت له إنَّ جيرانها وأهل منزلها يظنون أنَّها في القرية، وتذكر له أنَّها يمكنها أن تقيم عنده ما شاءت بهذا الظنّ.

فيغتنب الرجل بها كون أنَّها امرأة فلان الجنديِّ وأنَّه اغتالها^(٧) عنه وعن أهلها وأمسكها مدة، فتقيم عنده أياماً كثيرة بجدر متجدِّدٍ كلَّ يوم، حتى تأخذ منه فوق أملها.

* * *

[٦] وأما المغنية

فهي فاجرة تقصد دكان بزاز أو عطار أو غير ذلك، فتجلس فيه على أنَّها تشتري منه شيئاً وتتردّد له مرّات حتى يستأنس بها. ثم تجالسه ويتشاكله ويشاكلها فيسألها: هل هي عذبة أم متزوجة، فتعرفه أنَّها متزوجة إلا أنَّ بعلمها غائب.

فيزداد طمع الرجل فيها ويكثر تعرّضه لها، فتجيبه بعد امتناع وتشدّد وتواعده إلى منزلها، فإذا أتى المنزل وأعدّ ما يحتاج إليه من الطعام والشّراب والفاكهة وقبضت منه الجدر أمهلت أن يتسلخ^(٨) من ثياب تجملّه ويجلس في ثياب الشّرب ويتناول أقداحاً يظهر عليه بها اثر النبيذ، ثم يأتي

(٦) أ: هداه.

(٧) اغتال (المرأة): اتاهها وهي ترضع ولدها أو وهي حامل، وهي هنا بمعنى (قطعها) أو (أخذها) منه.

(٨) يتسلخ: يتجرّد من ثيابه.

رجل كانت قد واطأته فيقرع الباب بعنف، فتتظر من الطاق ثم تلطم وجهها وتقول: (بعلي جاء من السفر)، فيقول الرجل: (ما الحيلة؟)، فتقول له: (هلم بسرعة)، فتخرجه إلى بيت في الدهليز معد لذلك وتقول له: (كن ههنا حتى أنظر ما أصنع)، فيدخل فيه. ثم يدخل الرجل فينظر إلى الشراب والفاكهة وينكر ذلك ويسأل عنه فيقول: (مَنْ كَانَ مَعَكَ؟)، فتقول: (ما كنتُ إلّا وحدي)، فيضربها ثم يقول: (ها أنا^(٩) أفتش جميع هذه^(١٠) الدار حتى أرى إِنْ كُنْتُ وَحْدَكَ). فإذا سمع الرجل ذلك لم يتمالك أن يفتح الباب ويفر ويترك ثيابه وجميع ما غرِمَ في الدار، فتعطي الرجل الذي واطأته أجرة يسيرة وتفوز بالجميع.

[٧] وأما المظلومة .

فهي فاجرة تقصد دور العزّاب أيضاً، فترصد باباً مفتوحاً أو صاحب الدار جالساً في الدهليز، فتتجسس على^(١١) الدار وتقول: (إستتر ما ستر الله)، فيسألها عن أمرها فتذكر له أنها كانت مع نساءٍ غيرها في دار مع رجال يشربون وأن الشرطة دخلوا عليهم، وأنها فرت من أيدي الشرطة.

فيقول لها: (ادخلي، الدار دارك!)، فتدخل. فإذا راودها عن نفسها امتنعت وقالت له: (ما هذه مُروءة ولا فتوة ولا فعل الأحرار، أنا حرمتُ بدارك واستجرتُ بك وحصلتُ في كنفك وتحت جناحك فلا يجوز لك أن تحملني على ما أكره، ولا أن تمدّ يدك إليّ إلّا برضاي، وما أنا معتادة بهذا، ولولا أنني ابتليتُ بمحبّة هذا الرجل الذي كنتُ عنده ما وقعتُ فيما وقعتُ فيه)، فلا يسعه إلّا القيام بواجب الفتوة والوفاء بحق المروءة ويتركها، ثم تدعوه الخلوة وحديث المرأة وذكر المقام الذي كانت فيه وعشقها الرجل

(٩) م: هانا. ج: أنا.

(١٠) م: هذا.

(١١) على: ناقصة في أ. وفي ب. ج: عليه.

الذي كانت عنده والطمع في تعشقه، فيرجع معها إلى السؤال والارغاب
والبذل لما يرضيها، فإذا حصلت على ما ترضاه أطاعته.

فهذه أصناف القحاب المتبذلات ووجوه حيلهن على الزناة.

النوادر والأخبار في هذا الباب

جاءت حُبَيّ^(١) المدنيّة الى شيخ يبيع اللبن ففتحت وطَبَأَ^(٢) فذاقته ثم دفعته اليه وقالت: (لا تعجل بسدّه)، ثم فتحت آخر فذاقته ثم دفعته اليه في يده الأخرى. فلَمَّا أَشْغَلَتْ يديه جميعاً كَشَفَتْ ثوبه من خلفه وجعلت تصفق بظاهرها قدمها إِسْتَهْ وخصيتيه وهي تقول: (يا ثارات ذات النّحَيْن)^(٣)، والشيخ يصيح، وهي تصفق أسْتَه وخصيتيه، وقد اجتمع عليهما الناس يضحكون، فما خلص منها إلّا بعد كَدٍّ وجهد.

* * *

قال رجل زان لامرأة من القحاب: (إِنِّي أريد أن اذوقَكَ: أنتِ أطيبُ أم امرأتي؟)، فقالت: (سلّ زوجي، فإنه ذاقني وذاق امرأتك، ليخبرك).

* * *

بعث أعرابي غلامه إلى امرأة ليوعدها موضعاً يأتيها فيه، فذهب الغلام فأبلغها الرسالة، وكرهت أن تقول للغلام ما كان بينهما، فقالت له: (واللّهِ إِن أَخَذْتُ أَذْنَكَ لأعركها)^(٤) عركَةً تبكي وتشتدّ حتى تقيم تحت تلك الشجرة ويغشى عليك الى العتمة).

فلم يعرف الغلام معنى هذا الكلام، وانصرف إلى صاحبه فحكى له، فعلم أنها وعدته تحت الشجرة بعد العتمة.

* * *

حكى المدائني قال:

كانت عند رجل من قريش امرأة يحبّها فسافر فقالت له: (أشيعك)،

(١) حُبَيّ. ب. ج: امرأة زانية.

(٢) الوَطَبُ: وعاء من الجلد يجعل فيه اللبن.

(٣) النّحْي: نقيّ السمن. وحكاية ذات النحيين مع خوات موجودة في الباب الخامس من هذا الكتاب.

(٤) عرك: ذلك بشدة.

فشيعته ثلاث مراحل، فلما مضى قالت لجاريتهما: (ناوليني بَعْرَةً وَرَوْتَةً وَحَصَاةً)، فناولتها، فألقت الرَوْتَةَ وراءه وقالت: (رَأْتُ خَبْرُكَ)،
والقَتَّ البَعْرَةَ وقالت: (وَعَزَّ سَفْرُكَ)،
والقَتَّ الحَصَاةَ وقالت: (حَصَّ^(٥) اثْرُكَ).

فسمعها رجلٌ على الماء، فلحقه فقال: (ما المرأةُ مثْكَ؟)، قال: (زوجتي وأحبُّ الناس إليّ). فأخبره الخبر، فأقام على الماء فلمَّا أمسى أقبل نحو المنزل فوجد معها رجلاً فقتلها جميعاً.

قال الأصمعي:

قُلْتُ لجارية ظريفة: (هل في يديك عمل؟)، فقالت: (لا، ولكن في رِجْلي).

أدخلت امرأةٌ من قحاب هذا العصر رجلاً إلى بيتها، فبينما هي معه قرع زوجها الباب فأدخلته خزانةً، وجاء زوجها فجلس قبالة الخزانة، وخشيت أن يقوم فيدخلها حاجةٌ فيجده. فاستدعت جارةً^(٦) لها وطلبت منها ملْحَفَةً لها وذكرت أنها تريد تخرج بها إلى الحَمَّام، فلمَّا أحضرتها قالت لها: (أريد أن أقيسها بملحفتي، أيهما اكمل)، فنشرت المِلْحَفَتَيْنِ وأقامتهما في وجه الزوج، ثم أشارت إلى الرجل بالخروج، فخرج ومضى والزوج لم يشعر.

ومن حيلهنَّ أن المرأة إذا لقيها رجل في طريق واتفقا، ولم يجدا موضعاً، تسير معه إلى أطراف المدينة وتطلب بيتاً للكراء، وهو معها كأنه يعلها وكانهما يطلبان داراً يكتريانها، فإذا دُلَّا على دار خالية دخلها بدالة

(٥) حصَّ: انجرد وتناثر.

(٦) ب، ج: جارية.

التقلب، فيقضيان أربهما ثم يخرجان، إمّا على أنهما يرجعان فيكريان، وإمّا على أنها لم تصلح لهما.

قال مؤلف الكتاب:

وقد شاهدتُ نازلةً اتفقتُ في هذا الأمر بمدينة تونس من بلاد أفريقية، وذلك أنّه كان بها شيخ كبير السنّ، محتشمٌ، ذو مال واسع وعقار وغيره، عَجَباً في خُلُقهِ وسيرته. وكان مقبوض اليد مغفلاً أبله، ينتمي إلى دين وأمانه، وكان عدلاً شامداً مقبولاً عند القاضي، وجيهاً عند السلطان. وكان يتعاطى العربيّة ويستعمل الإعراب في كلامه، إلّا أنّه خلوم من الأدب، بعيد من الفهم والقفنة، وله أخبار عجيبة وحكايات غريبة، نورد منها طرّفاً يدلّ على حاله وخُلُقهِ لنجعل ذلك توطئة للحكايات المقصود إيرادها في هذا الباب.

كانت له دار وعلى بابها مسطبة مرتفعة، وقبالها دكانٌ مُلك له في قاميّ^(٧). وأكثر الأماكن التي تقرب من ذلك الموضع فهو مُلكه، دوراً وحوانيت، وكان أكثر طعامه الخاصّ به بيضاً، مما يدخل على القاميّ ويأخذ منه عدّة معلومة كلّ يوم تُصنع لغذائه. وكانت له جارية طبّاخة سمراء مليحة خفيفة الروح مطبوعة تسمّى: سعيدة، تتولّى أخذ البيض من القاميّ، فيركب بغلته صبيحة كلّ يوم ويبكر إلى المجلس الذي للقاضي ثمّ يعود وقت الغداء فينزل على باب داره، وكان أكثر جلوسه في الدهليز، فيحبّ عند نزوله أن يعلم هل تيسّر طعامه فيُدخل إليه، أم لم يتيسّر، فيجلس في الدهليز.

فإذا نزل وقف على تلك المسطبة العالية على قارعة الطريق ويستقبل دكان القاميّ ثم يناديه باسمه، فإذا لبّاه قال له بأعلى صوته: (وصلّ البيض؟)، فيهاود^(٨) عليه القاميّ ويقول: (يا مولانا، ما كنتُ في الدكان

(٧) القاميّ: البقال.

(٨) هاوده: مايله وعاوده.

والغلام غائب الآن، إسأل سعيدة)، فإلتفت نحو الدار وهو قائم على الباب ثم ينادي سعيدة، فإذا أجابته قال لها بأعلى صوته: (وصل البيض؟)، فتارة تقول: (وصل)، فيقول: (حسن)، فيدخل يتغدى، وتارة تقول له: (ما وصل)، فإلتفت إلى الفامي ويقول له: (يا مدبر، قالت سعيدة ما وصل البيض، أوصله لها)، فيقول له: (نعم السمع والطاعة علي يا مولانا)، والخلائق جائزون. فواحد يضحك، وامرأة إذا سمعت هذا الكلام تقف وأخرى تفر، وصبيان يتضاحكون ويقول بعضهم لبعض: «وصل البيض».

وهذا دأبه كل يوم ولا يجسر أحد أن يقول له في هذا حرفاً لانقباضه من الناس وانجماعه عنهم وقلة مخاطبته لهم من صغره إلى كبره، ومن ههنا أوتي على عقله، فإنه قلماً يخرج ويتحدث ويرتاض من لم يخالط الناس ويشاهد مجاري أحوالهم.

وله مع هذه سعيدة ومع ولد له أيضاً من جنسه، سواء في خلقه وخلقه وانقباضه عن الناس، حكايات عجيبة ومذهبات غريبة، لم يصدنا عن إيرادها إلا خوف الخروج عن غرض الكتاب، وإن كانت من أعجب العُجَاب^(٩). ولا بد من إيراد طرف منها من الملح المذهبات والطرف المغربات.

ولقد كان بهذه المدينة مطرب جيّد الصنعة حسن الصوت، وكان يحضر مجالس الملوك والرؤساء يرسم الغناء. فإذا صمت ليسترريح من الغناء شرع في أخبار هذا الشيخ يشغل بها المجلس، وكان ملياً بها مطبوعاً في حكاياتها، فيضحك الجلود ويفضل سماعها عن سماع الناي والعود، ويستكفي من الغناء ويطلب بحكاياتها حتى ينقضي أكثر المجلس في ذلك. ولنرجع إلى الحكاية المقصود إيرادها في هذا الباب:

بلغني أنّ هذا الشيخ مرض من سقطة أصابته وقد عاده جميع رؤساء المدينة ورجال السلطان، وكان بيني وبينه معرفة نذكر أنّ سببها حق

(٩) ١: العجائب. ب، ج: عجاب.

لوالدي عليه عند السلطان، فعدته فيمن عاده فألفيته مسجى على ظهره وسعيدة قائمة في المجلس تتصرف عليه وعنده جماعة من العوادر. وكنت كثيراً ما استدعيها بمحضره، إذا خلا مجلسه، فأسألكها عن جزئيات أحوالها معه وأصلح بينهما إذا تشاجرا، ويشكوها إلي إذا منعته نفسها، فيرغب لي في استصلاحها له وهي كذلك أيضاً إذا انكرت عليه شيئاً من التضييق عليها في النفقة.

فلما أردت الخروج من عيادته تقدمت بين يدي في صحن الدار وقالت لي: (علمت سبب سقطته؟)، فقلت لها: (لا)، فقالت لي: (بأي شيء تخرج؟ إرجع واقعد حتى يخلو المجلس وأسأله عن ذلك، فإن له سبباً غريباً تضحك عليه دهرأ طويلاً)، فقلت لها: (أما الرجوع الآن فلا يمكن، لكنني أعود).

فلم يستقر لي قرار حتى عدت إليه وقد خلا مجلسه فقلت له: (يا سيدي، ما السبب لهذا المرض؟)، فقال لي: كنت جالساً بالأمس في الدهليز، وكان يوم بارد وقز شديد وعلي فرو وبين يدي كانون فيه نار وقد لففت الغرضي^(١٠) على عنقي وبين يدي مَحْمَلٌ عليه المصحف الكريم وأنا أقرأ القرآن، فإذا أنا بامرأة، ما أشك أن الشيطان أرسلها إلي في ذلك الوقت، وقفت على باب الدار كأنها من نساء الأجناد، شابة نظيفة الزي، فسألتني عن موضع للكري فقلت لها: (عندي، والله، مواضع كثيرة خالية. وسببه أنها يسكنها العزّاب المفسدون فأخرجهم منها، فإن المواضع مجاورة لي، وما غرضي أن يسكنها إلا صالح ممن تطيب عليه النفس)، فقالت: (يا سيدي، أنا ما جئت حتى جئت معي ببعلي، اقلب أنا الدار ويعقد الكراء هو على نفسه)، ثم نادت: (يا أبا^(١١) فلان!)، فأجابها رجل جدي شاب نظيف الثياب فقالت: (تعال خذ المفتاح)، فقلت لها: (رضي

(١٠) الغرضي: جنس من الثياب.

(١١) ١: ياأبا فلان. ب، ج: يا فلان.

اللَّهِ عَنْكَ، الْآنَ طَابَتِ النَّفْسُ)، وَتَنَاوَلْتُ رِزْمَةً مَفَاتِيحَ لِلرَّبِّعِ^(١٢) مَعْلَقَةً عِنْدَ رَأْسِي فَأَعْطَيْتُهَا مِنْهَا مِفْتَاحَ قَاعَةٍ جَيِّدَةٍ قِبَالَةَ الدَّارِ، فَأَخَذَا الْمِفْتَاحَ وَذَهَبَا فَفَتَحَا الْبَابَ وَدَخَلَا، فَقَرَأْتُ ثَلَاثَةَ أَحْزَابٍ وَنِصْفًا وَلَمْ يَخْرُجَا وَقَوِيَ الْمَطَرُ فَقُلْتُ: «لَعَلَّهُمَا قَصِدَا أَنْ يَكْفَ الْمَطَرُ».

ثُمَّ كَفَّ الْمَطَرُ وَلَمْ يَخْرُجَا فَقُلْتُ: «لَعَلَّهُمَا خَرَجَا وَلَمْ أَبْصِرْهُمَا وَلَمْ تَصْلُحْ لَهُمَا الدَّارُ»، فَقُمْتُ لِأَغْلِقَ الْبَابَ وَأَخَذْتُ الْمِفْتَاحَ، فَفَتَحْتُ الْبَابَ وَدَخَلْتُ فَسَمِعْتُ حَرَكَةً فِي الْبَيْتِ قَدْ دَخَلْتُ فَوَجَدْتُهُ قَدْ قَلَعَ بَابَ الْبَيْتِ وَوَضَعَهُ فِي الْأَرْضِ وَالْمَرَأَةُ نَائِمَةٌ عَلَيْهِ وَرَجُلَاهَا مُشْتَالَةٌ وَالرَّجُلُ بَيْنَ فَخْذَيْهَا يَهْزُ، وَهَذِهِ اللَّفْظَةُ عِنْدَ الْمَغَارِبَةِ مَعْنَاهَا «يَمُرُّ وَيَجِيءُ».

(قال):

فَبَيَّهْتُ^(١٣) وَبَقِيْتُ قَائِمًا أَنْظُرُ وَأَعْجِبُ كَيْفَ اتَّفَقَ هَذَا الْأَمْرُ وَقُلْتُ: «وَاللَّهِ لَوْ كَانَتْ هَذِهِ زَوْجَتُهُ مَا تَرَكُوا بَيْتَهُمْ وَجَاءُوا يَفْعَلُونَ هَذَا الْفِعْلَ هَهُنَا، وَلَا هَؤُلَاءِ قَطُّ إِلَّا مَفْسُدُونَ».

فَقُلْتُ لَهُ: (أَنْتَ يَا فَاسِقُ يَا عَدُوَّ اللَّهِ، مَا وَجَدْتَ مَوْضِعًا تَعْصِي اللَّهُ فِيهِ إِلَّا زَيْعِي وَحِلَالِي الْمَوْرُوثِ عَنِ الْأَجْدَادِ؟)، فَوَاللَّهِ مَا التَّفْتُ إِلَيَّ وَمَا قَامَتِ الْمَلْعُونَةُ، وَبَقِيَ يَهْزُ كَأَنَّ مَا عَلَى رَأْسِهِ أَحَدٌ قَائِمٌ حَتَّى أَظُنُّهُ قَدْ فَرَّغَ فِقَامَ وَشَدَّ سِرَاوِيلَهُ ثُمَّ جَاءَنِي فَأَمْسَكَ بِجَامِعِ الْعَرْضِيِّ^(١٤) ثُمَّ لَوَاهُ فِي عُنُقِي حَتَّى إِزْوَرَّتْ عَيْنَايَ وَكَادَتْ رُوحِي تَفِيضُ، ثُمَّ جَذَبَنِي حَتَّى أَخْرَجَنِي مِنَ الْبَيْتِ وَقَالَ لِلْمَلْعُونَةِ: (أَخْرَجِي)، فَخَرَجْتُ وَهُوَ يَلْوِي الطَّلِيسَانَ^(١٥) فِي عُنُقِي فَقُلْتُ لَهُ وَقَدْ شَاهَدْتُ الْمَوْتَ عَيَانًا: (يَا هَذَا بِاللَّهِ لَا تَفْعَلْ. مَا كَفَى أَنْكَ عَصَيْتَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى تَقْتُلَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ؟)، فَوَاللَّهِ مَا التَّفْتُ لِلْكَلامِي وَلَا أَدْرَكْتُهُ عَلَيَّ شَفِيقَةً، فَلَمَّا عَلِمَ أَنَّ الْمَرَأَةَ قَدْ فَاتَتْ، وَكَانَ فِي وَسْطِ الدَّارِ بَرَكَةٌ

(١٢) الربيع: الدار.

(١٣) بَيَّهْتُ: دَفِشْتُ.

(١٤) هَامِشٌ تَوْضِيحِي لِلنَّاسِخِ فِي ١: [أَيِ الشَّدِّ]. وَالشَّدُّ: شَالَ مِنَ الْحَرِيرِ يُعْتَمَ بِهِ أَوْ يُتَمَنَّقُ.

(١٥) الطَّلِيسَانُ: كِسَاءٌ أَخْضَرٌ يَلْبَسُهُ الْخَوَاصُّ مِنَ الْمَشَائِخِ وَالْعُلَمَاءِ.

تخرّبت واجتمع فيها ماء وطن وحجارة، فجذبني اليه ثم دفعني دفعةً عظيمةً القاني على قفائي في البُرْكة وخرج فاراً، فبقيتُ اضطرب فيها كالسمكة ثم تحاملتُ بحرارة الروح، وقد تحطّم ظهري واجنابني ونجستُ جميع ثيابي وتلف القرو بالماء والطين وطارَت العمامة عن رأسي وتحلّيتُ^(١٦) وسقطتُ في الطين، فقمْتُ بحالة لا يعلمها إلا الله تعالى ووقفت خلف باب الدار لئلا أبرز الى الناس على تلك الحالة الشنيعة.

ونظرت من خلل الباب حتى عبر رجل فقلت له: (إدع لي سعيدة من الدار، واذهب أنت لا تدخل علي)، فدعاها فأبصرتني على ذلك المنظر الهائل وروحي تكاد تروح، فوالله ما زادت الملعونة على أن ضحكّت، فكان ذلك أشدّ من جميع ما أنا فيه، ثم جاءتني بثياب لبستها وحملتني الى الدار، وما أنا لا أستطيع اتقلّب من ظهري واجنابني.

ومما يُحكى عن النساء المنتميات لطريق التصوّف:

إن رجلاً واقعَ امرأة منهم وهي في الصلاة ساجدة، فلم تتحرك حتى قضى وطره منها، ثم أتمّت صلاتها وسلّمت والتفتت اليه فقالت له: (يا بطال، اظننت أن شيئاً يشغلني عن الحق أو يقطعني عنه؟).

وقد بلغني أنّه اتّفق في هذا العصر ما هو أغرب من ذلك.

حدّثني من اتّق اليه أن رجلاً منتمياً لطريق التصوّف أخبره، قال:

ضمّنتي مجلس مع امرأة مشهورة بالفقر والزهد، واتّفق أن خلا لنا المجلس فأوردتُ عليها شيئاً من الكلام في الطريقة والحقيقة فطربت له ثم قامت فقبلتُ فمي، فلما رأيتُ ذلك ردتُ من ذلك الكلام فزادتُ من ذلك الفعل، فضممتها إليّ وقبلتها واضطجعنا على جنبنا وفمي على فمها ساعة، ثم مددتُ يدي فحللتُ سراويلها فقالت: (ما تصنع؟ إياك أن تخرّب ما بينك

(١٦) حلّيت (نفسه): إذا اشرف على الغشي من الم أو غيره.

وبينه، باشر ولا تولج). فلما سمعت ذلك طمعت فيها وباشرت ساعة من خارج حتى علمت أن غلمتها^(١٧) استحكمت ثم أولجته فقالت لي: (إنما خفت عليك أن تخرب ما بينك وبينه، فإذا أردت^(١٨) فخذ)، وفتحت نفسها وقالت: (أنا الذي بيني وبينه عامر ما يقدح فيه شيء)^(١٩).

لقي زان قحبة في مدينة مراكش، فوَلَفَهَا^(٢٠) وفي رجل الرجل نعل وقد انفتق مقدّمه وخرج رأس إبهامه منه، ونساء مراكش خاصة متهافتات على النبيذ، شديداً الشغف به، لا يحصلن إلاّ عليه ومن أجله، فقال لها الرجل: (يا سيدي، ما تشربين عندنا اليوم؟)، فقالت له: (حتى تسقي الكلب الذي خرج لسانه من العطش)، وأشارت إلى رجله.

وتعرض بمدينة بجاية^(٢١)، من مدن المغرب، زان فقير لامرأة منهن وهي جالسة في طاق، فأعرضت عنه لعلمها بحاله فلم ينصرف، وكان زمن القيض وقد لبس الرجل ثوباً خَلَقاً جذاً قد تهرأ، لم يتماسك إلاّ بالنشاء، وقد غسله ونشأه وجعده وليس معه إلاّ السراويل، فلما لم ينصرف ضحكت في وجهه وأطمعته في نفسها وأخذت في يدها تفاحة تريد أنها ترميها في حجره، فبادر ووقف تحت الطاق وجرد ذيله وهيأ حجره للتفاحة فرمت عليه حجراً كبيراً فنزل بالقميص^(٢٢) من كتفيه إلى الأرض، فلم يبق

(١٧) الغلّة: الشبق.

(١٨) ردت.

(١٩) من اشعار المتصوفة المنسوبة للحلاج قولهم:

فلينك تحلو والحياة مريّة وليتك ترضى والآنم غضاب
وليت الذي بيني وبينك علم وبيني وبين العالمين خراب

(ديوان الحلاج، صنعة كامل الشيبني، بغداد، ١٩٨٤).

ولعل الكلام هنا إشارة لمضمون البيت (المؤلف).

(٢٠) ولَفَهَا: رافقها، اتصل بها.

(٢١) بجاية الآن ضمن الجزائر بولاية سطيف على المتوسط.

(٢٢) أ: القمص.

إلا في السراويل، فلم يتمالك أن لفّ القميص في يده وولى فاراً والناس يضحكون عليه.

واتّفق بمصر أن رجلاً اسكندرانيّاً تعرّض لامرأة منهم في طريق القُرَافَة^(٢٣)، وهي راكبة على حمار مُكاري^(٢٤) مليح، ولهم دواب تسبق الخيل وتباع بالاثمان العظيمة، وكان الاسكندرانيّ راكباً على حمار ببرّدة^(٢٥)، وأكثر أهل الاسكندرية لا يلبسون السراويل، وكان هذا منهم. فتبع المرأة فاحتقرته وأعرضت عنه فالتح عليها ولم ينصرف، فلما راته كذلك الأنث جانبها وأطمعته في نفسها ومالت نحوه فلصق بها يتحدث معها إلى أن صار في سكّة عليها خلق من الناس جلوس، فأدخلت رجلها تحت ساقه ثم شالته على رجلها ورمته فانقلب عن الحمار على قفاه، رأسه في الأرض ورجلاه في السماء وقد رجع ذيله على رأسه وبقيت عورته كلّها مكشوفة إلى الناس، ثم حرّكت الحمار فكأنّ الأرض ابتلعته أو السماء رفعتها، فلم يدر أين ذهبت.

ولقي رجل زان ببغداد امرأةً منهم فتعرّض لها فلم تلتفت اليه، فأحبّ أن يظهر لها اتّساع حاله، فرد يده إلى رأسه وأخرج من عمامته كاغدة كبيرة فيها قرّاصة^(٢٦) ذهب، فقال لها: (تفضّلي بقبول هذه)، فقالت له: (ما نتعامل في بلدنا بكامخ)^(٢٧)، تعني أن رأسه قرعة، وذلك أن الكامخ في بغداد إنّما يُجعل في القرّع المجوّف.

(٢٣) القُرَافَة: المقبرة، وهو اسم قبيلة يمنية جاورت المقابر بمصر فغلب اسمها على كل مقبرة.

(٢٤) المكاري: المكترى من الدواب.

(٢٥) البردّة: كساء يُلقى على ظهر الدابة.

(٢٦) المقرّص من الحل وغيرها: المستدير كالقرص.

(٢٧) الكامخ: اداام يؤتدم به.

ودخل أبو نؤاس يوماً على عنان جارية الناطفي فوجدها قد لبست حلّة خضراء فقال لها: (هل عندك علم في تعبير الرؤيا؟)، فقالت له: (أجل)، فقال لها معروضاً بها: (رايتَ البارحة كأنّي راكب حِجْرَة^(٢٨) شهباء عليها حلّ أخضر)، فقالت له: (إن صدقتَ رؤياك فستدخل في إسنك فُجْلَة ويبقى ورقها خارجاً)، فحجل وضحك الحاضرون.

وحكى رجل بدويّ قال:
دخلتُ بغداد ببعير أبيعه، فجنّتُ إلى درب لأعير منه فاستعصى عليّ فضربته ضرباً عنيفاً فلم يدخل، فنظرتُ امرأة من طاق فقالت لي: (إن أردتَ أن بعيرك يدخل فاسكبْ على رأسه ماءً)، فاستبعدتُ ذلك. ثم لما طال عليّ العناء قلتُ لأبأس أن أجرب، فطلبتُ شربة ماء ثم سكبتُها على رأسه وبدنه فانقاد أسهل انقياد، فعجبتُ من ذلك، ثم سألتُها عن سبب علمها بذلك فقالت لي: (قسّته على الأير، فقلتُ يجب أن يكون كلّ شيء إذا بلّ رأسه دخل، فخرج الأمر صحيحاً).

وحكى أبو عليّ الحسين بن الحجاج^(٢٩)، الشاعر البغدادي، قال:
دعاني رئيس من جملة رؤساء بغداد إلى منزله لشراب، وكانت أوّل معرفتي به، فأحضر أطعمةً محفلةً في جملتها قَمْحِيّة^(٣٠) محكمة الطبخ فأكثرتُ منها، ثم حضر الشراب، فلما شربتُ أقداحاً يسيرة دارت بطني واحتجتُ إلى الخلاء ثم احتشمتُ أن أقوم في أوّل المجلس عند رجل لم يتقدّم لي معه انبساط، فكاسرت عسى أن يتقدّمني أحد بالقيام فلم يتقدّم. ثم حضر السماع، وكلّما سكّت المغنّي أقبل عليّ الرجل بالحديث وجماعة من الأدباء والكبراء كانوا حضوراً في المجلس، فلم يسعني إلا مراسلتهم

(٢٨) الحِجْرَة: الأنثى من الخيل، جُعِلَتْ كَمَحَرَمَةِ الرَّحِمِ إِلَّا عَلَى حِصَانٍ كَرِيمٍ.

(٢٩) ١: بن حجاج.

(٣٠) القَمْحِيّة: حلوى تعمل من القمح المسلوق المقشور والسكر وتمزج بماء الورد.

وَأَنْ أَفِيضَ مَعَهُمْ فِيمَا يَفِيضُونَ. وَفِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ تَأْخُذُ الْمَغَانِي فِي الْغَنَاءِ فَلَا يَسْعَنِي إِلَّا الْإِنْصَاتُ وَالِاسْتِمَاعُ، وَأَنَا أَقَاسِي الْجَهْدَ وَأَعَانِي الْبَلَاءَ. وَلَمْ يَقْدِرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَقُومَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْمَجْلِسِ لِلْخَلَاءِ، بَلْ كُلُّهُمْ عُصَمَاءُ.

فَلَمَّا طَالَ عَلَيَّ الْأَمْرُ وَاشْتَدَّ بِي الْأَلَمُ وَأَحْسَسْتُ فِي بَاطِنِي رِيَّاحَ الْخُرَيْفِ وَفِي جَنْبِي ضَرْبَاتُ السِّيفِ طَلَبْتُ الْإِنْصِرَافَ فَقَامَتْ قِيَامَةُ رَبِّ الْمَنْزِلِ وَالْحَاضِرِينَ، وَأَقْسَمُوا إِلَّا يَكُونَ ذَلِكَ. وَمَالُوا عَلَيَّ بِالْأَقْدَاحِ الْكِبَارِ، فَكَانَ ذَلِكَ أَشَقَّ عَلَيَّ. فَلَمَّا عَايَنْتُ الْمَوْتَ قُلْتُ: «مَا لِهَذَا الْأَمْرِ إِلَّا الْإِحْتِيَالُ عَلَيْهِ»، فَكَاسَرْتُ قَلِيلًا إِلَى أَنْ غَنَيْتُ مَغْنً بِشَعْرٍ فَأَظْهَرْتُ الطَّرِبَ وَالتَّوَجُّدَ وَشَرِبْتُ أَقْدَاحًا مُتَوَالِيَةً ثُمَّ تَخَادَعْتُ بَعْدَ ذَلِكَ وَتَسَاكَرْتُ وَالْقَيْتُ بِنَفْسِي إِلَى الْأَرْضِ فَكَلَّمُونِي فَلَمْ أَجِبْهُمْ، فَلَمْ يَشْكُوا فِي أَنِّي سَكَرْتُ فَتَرَكُونِي، فَبَقِيْتُ كَذَلِكَ شَيْئًا يَسِيرًا ثُمَّ قَمْتُ وَأَظْهَرْتُ الْحَيَاءَ مِنْهُمْ لَمَّا فَرَطَ مِنِّي بَيْنَهُمْ مِنَ السُّكْرِ. ثُمَّ نَهَضْتُ خَارِجًا فَطَمَعُونِي الْجُلُوسَ فَلَمْ أَعْرِجْ عَلَيْهِمْ وَخَرَجْتُ عَلَى أَنِّي طَافِعُ سَكْرَانٍ. فَرَكِبْتُ دَابَّتِي وَقَدَّمُ صَاحِبَ الْمَنْزِلِ بَيْنَ يَدَيَّ مَشْعَلًا بِيَدٍ مَشَاعِلِي^(٢١). فَلَمَّا أَغْلَقُوا الْبَابَ وَرَجَعُوا رَأَيْتُ أَنِّي قَدْ نُشِرْتُ مِنْ قَبْرِ. فَرَكَضْتُ الدَّابَّةَ مَلءَ فَرْوَجِهَا^(٢٢) التَّمَسَّ مَوْضِعًا أَنْزَلَ فِيهِ لِقَضَاءِ الْحَاجَةِ، فَدَفَعْتُ إِلَى خَرَابَةٍ أَعْرِفُ عَلَيْهَا رُبْعًا تَسْكُنُهُ الْقَحَابُ، فَانْزَلْتُ وَعَدَلْتُ إِلَى جِدَارٍ وَبَقِيَ صَاحِبُ الْمَشْعَلِ مَعَ دَابَّتِي نَاحِيَةً، فَحَلَلْتُ سِرَاوِيلِي ثُمَّ جَلَسْتُ فَقَضَيْتُ حَاجَتِي فَاسْتَرَحْتُ بَعْضَ الرَّاحَةِ.

فَبَيْنَمَا أَنَا كَذَلِكَ إِذَا سَطُلَ قَدْ نَزَلَ مِنْ طَاقٍ فِي الْجِدَارِ الَّذِي أَنَا تَحْتَهُ بِسُلْسُلَةٍ حَتَّى بَقِيَ عَلَى الْأَرْضِ بَيْنَ يَدَيَّ مَلَكَنُ مَاءٍ، فَعَجِبْتُ كَيْفَ تَصَوَّرَ هَذَا الْأَدَبُ الْبَارِعُ مِنْ أَهْلِ الْمَوْضِعِ. فَأَدْخَلْتُ يَدِي فِي الْإِنَاءِ وَأَخَذْتُ كَفَّ مَاءٍ وَنَضَحْتُ بِهِ مَوْضِعَ الْأَذَى وَأَمَرْتُ يَدِي الْيَسْرَى عَلَيْهِ الْمَرَّةَ الْأُولَى ثُمَّ الثَّانِيَةَ، فَلَمْ أَشْعُرْ إِلَّا وَالسُّطْلُ فِي نِصْفِ الْجِدَارِ صَاعِدًا إِلَى الطَّاقِ. فَبَهَتْ وَبَقِيْتُ حَائِرًا لَا أَدْرِي مَا أَصْنَعُ وَقَدْ تَلَطَّخْتُ يَدِي وَوَرَكَايَ وَصَرْتُ فِي صُورَةِ

(٢١) المشاعلي: حامل المشعل لانتارة الطريق.

(٢٢) أي كائن العذرسد فزوجها وملاها.

شنيعة، وسمعت الضحك من الطاق ولم أشك أنهم عرفوني بضوء المشعل، فلم أجد مفزعا إلا السراويل^(٢٣)، فمسحت يدي في الحائط ثم في السراويل ومسحت ما بين وركي، فبقي السراويل شوهة شوهاء.

ثم لففتها وأدخلته في كمّي وركبت البغلة وسقت إلى منزلي. فلم أتمالك، لسهري ومعاناة الألم أول الليل وتمام النادرة عليّ، أني القيت السراويل عند رجل السرير وصعدت فألقيت نفسي في الفراش.

وكانت لي زوجة أم بنين تدلّ عليّ لصيانتها وابتدأ لي وعفتها وفجوري، فلما رأتني أخرجت السراويل من كمّي استرابت بذلك ولم تشك أني عملت شيئاً في الطريق. فأخذته وأنا نائم ثم فتحته في ضوء السراج فوجدته على تلك الصورة فلم يختلجها شك أني نلت أمرًا وتمسخت بسراويلي، فجاءت إلى السرير فهتكت ستره ثم تناولت ثيابي، وأنا لا أشعر، فمزقتها طولاً وعرضاً ثم شقت الرداء الذي عليّ وبركت على صدري وجعلت تمسح خراء السراويل في عارضي^(٢٤) ولحيتي وشاربي وتقول: (هذه اللحية الملعونة والشوارب المنتنة أولى بالخراء من السراويل)، فاستيقظت ورمت كلامها، فكلمها ففتح فمي لأتكلم دست السراويل في فمي وحكتني^(٢٥) بخراء وقالت لي: (كله أطيب لك)، وهي ترعد قد فارقت المعقول وتقول: (فرغت من الأيمان الفاجرة والجحود والأعداء الكاذبة حتى صرت إلى هذه المطاهرة البالغة، تجيئني بخراء المرد في سراويلك فأغسله في داري!).

فعلمت أنها معذورة وقلت: «ما لهذا الأمر إلا الصبر عليه»، فصبرت إلى أن قضت غرضها مما أرادته بي، فعلاً وقولاً، وجلست ناحية تبكي وتلطم وجهها وتمزق شعرها وثيابها، فقمت وقلت: (يا هذه، إتقي الله في نفسك واعلمي أن كل شيء بلغك عنّي من يوم رايتك ورايتيني إلى هذا اليوم صحيح، وأنا الظلوم الغشوم فيه، وأما هذه النازلة فأنا والله بريء).

(٢٣) السراويل: معروف، وهو معزب (شُلّوار) بالفارسية وجمعه سراويلات.

(٢٤) العارض: صفحة الخد.

(٢٥) حنكت: دلكت حلقه.

وحكى لها صورة الحال وقلتُ لها: (إبعثي بعبدك حتى يشاهد أثر يدي في الحائط وموضع جلوسي تحته). وحلفتُ لها على ذلك حتى رضىبتُ وصدقتني فندمتُ على ما فرط منها، ثم قامتُ فسَخَّنتُ الماءَ وقَدَّمتُ إليَّ المشطَ والطَّيِّبَ، وقمتُ أغسلُ لحيَّتي واتَّبَخَّرُ واتَّعَطَّرُ، فلم أزلُ في هذا الشغلِ إلى أن طلعت الشمسُ ومضت الليلةُ كُلُّها في الخراء.

وحدَّث بعضهم قال:

كنتُ أعرف بالبصرة تاجراً متسدِّد الحال، صالح المآل، كان صديقاً لي. فسافر إلى بغداد ثم انقطع عني خبره عدَّة سنين، ثم لقيتُه وهو سيِّء الحال، قليل ذات اليد، فاستحييتُ أن أسأله عن سبب ضيق حاله، ثم صرْتُ أراه كلَّما رأى شخص امرأةً تغيَّر لونهُ وأعرض بوجهه وانقبضُ وتنقَّس الصعداءُ وغضَّ طرفه عنها ولم يزل يلعنُها حتى تغيب عنه، فسألته عن سبب ذلك فقال: كنتُ على أن أذكرك سبب سوء حالي وطول غيبيتي عنك فاستحييتُ من ذلك، وأمَّا منذ باديتني فهو ما أحدثك:

انفصلتُ عنك إلى بغداد، كما علمتُ، فلمَّا دخلتها وكنتُ أسمع عن ظرف النساء ولطافتهن بما اشتهي رؤيته عياناً، فقلتُ: «لابأس أن أخرج نصفَ ربح هذه السَّفرة في نزهتي ببغداد»، فاكتريتُ داراً واشتريتُ لها فرشاً وبعثتُ قماشِي وقبضتُ ثمنه وخرجتُ أتوقَّع زبوناً من النساء. فكان أوَّل ما وقع لي بالقضاء والقدر السابق، امرأةٌ كاملة الخلقة، بدينة، تامَّة الحسن. فأشرْتُ إليها فبادرتُ نحوي، فتقدَّمتُ أمامها حتى دخلتُ البيتَ ودخلتُ، فلمَّا صارتُ في زاوية البيت حلَّت سراويلها وأمسكتُ بوتر في الحائط وتزحزحتُ، فقلتُ لها: (ما شأنك؟)، فقالت: (أنا امرأةٌ حامل، وقد دخلتُ الحمامَ لتسهل عليَّ الولادة ثم عدتُ إلى منزلي فأدركني المخاض في الطريق، فكنتُ أضع فيه حملي فرمأك اللهُ عليَّ رحمَةً،، ألد في منزلك). فاسودَّت الدنيا بين عيني، فقلتُ لها: (أخرجي عني يا هذه، لِيدي في دارك)، فقالت: (يا سيدي، ما بقي الحال يحتمل وصولي لمنزلي، وأنا امرأةٌ

محتشمة، ولله عليّ نعمة ولي أهل وبعل أملئاً^(٣٦) ولا خسارة عليك ولا ذرّك من جهتي، ولله عليّ إن ساعدتني بالمكان لم أنقطع عنك أبداً ما بقيت في بغداد، ولا آخذ منك شيئاً من مالك إلا ما يصل إليك من هدايا وتحف والطف منّي ومن أهلي).

فظننت أن جميع قولها صحيح، وأعان على انخداعي لها أن حالها وشخصها وهياتها مناسبة لما إدّعت، فقلتُ لها: (على بركة الله)، فقالت: (بقي لي عليك شيء واحد)، فقلتُ: (وما هو؟)، فقالت: (أن تستدعي لي قابلة، فإن المرأة لا بد لها من ذلك في هذا الوقت)، فقلتُ لها: (أنا غريب ولا أعرف أحداً ببغداد)، فقالت: (أنا أصف لك موضعها).

فوصفت لي موضعاً مشهوراً وذكرتُ إسم امرأة، ورأيتها قد اشتدّ بها الأمر وقالت لي: (تداركني لئلا أموت في منزلك. وإذا جاءت القابلة ولدت وأخذت القابلة المولود وخرجنا عنك، ولك عليّ الوفاء بجميع ما ذكرتُ لك). فخرجت هائماً سكران حتى أتيتُ الموضع الذي وصفت، فوجدتُ القابلة فيه فاستدعيتها فأتت معي وجاريتان تحملان ألتها.

فدخلتُ الدار فسمعتُ في الباب صراخ مولود، فبادرتُ أمام القابلة إلى البيت فوجدنا المولود ملقى ولم نجد للمرأة أثراً ولا خبراً، فبهتُ وسقطتُ قوّتي ولم أدر ما أقول ولا ما أفعل، فقالت لي القابلة: (أين أم هذا المولود؟)، فتلجلجتُ وحرّت، ثم قلتُ لها: (لعلّ بعض الجيران أخذها، لما استبطأوك، فتولّى أمرها وترك المولود).

فكحلته^(٣٧) وقمطته وطلبتُ إيجرتها فدفعْتُ لها ما تيسر وأنا لا أصدّق بخروجها عني. فلمّا خرجتُ بقيتُ مفكراً في أمري حائراً فيما أصنعه وهممتُ بقتله ثم رافت نفسي عليه وقلتُ: «ما ذنب هذا حتى أشفي نفسي بقتله؟».

(٣٦) أملئاً: اغنياء.

(٣٧) أ: وكحلته. ب: فكحلته. ج: قال فكحلته.

وأجمعتُ رأيي على أن أقيه في قارعة الطريق، يكون من أمره ما يكون من أمر أبناء الزناء الملقوطين. وصحَّ عندي أن أمه كانت زانية محتشمة، كما ذكرت، وأنها كانت تكتم حملها، فلما أحسَّت بالمخاض خرجت تلتمس موضعاً تلد فيه فلم يتح لها إلا أنا لشقوتي.

فلما كان من الليل أخذته في قِمَطَرَةٍ^(٢٨) وخرجتُ به بعد نومه ماشياً وبعدتُ عن داري وهو تحتني صامت، فجئتُ إلى جدار فوضعتُه تحته، فلما وضعتُه صرخ باكياً فنظرت امرأة من طاق فرائتي مولياً والطفل يصرخ، فصاحت بي وأخرج نساء رؤوسهن فتصايحن فوثب حراس الدرب فأمسكوني. وعرفتهم المرأة أنها رأتني حين وضعتُ القِمَطَرَةَ، فحملتُ إلى الوالي والقِمَطَرَةَ في عنقي، فسألني عن الأمر فلم يسعني إلا أن عرَفْتَه بالقضية على جليتها فلم يصدّقني في حرف منها وقال: (هذا شيء لا يمكن، إنما أنت قتلت أم هذا ولا بد أن تعرفنا من هي)، فاقمت على قولي فجُرِدْتُ وضربتُ ضربَ الإقرار، فلم أزل على قولي الأول.

ولم يشك الوالي في أن أم المولود قد قُتِلَتْ، أو أنه ولدي منها في زنا. فسُجِنْتُ ثم احتيط على جميع مالي وأنا في السجن وانتهب، فأخذ الوالي شيئاً والعدول الذين حضروا شيئاً واشترى منه جارية ترضع الولد وفُرِضَ لها فَرَضُ^(٢٩) وأُجِرْتُ عليّ منه نفقة في السجن أربعة أعوام لأن ذلك الوالي عَزَلَ ونُسِيَتْ لغريبي ولعدم من يتكلّم في أمري^(٣٠).

ثم قُطِمَ الطفل وبيعت الجارية فأكلتُ ثمنها في السجن. وفي العام الثالث مات الطفل، ثم لم أزل في السجن أكل ممّا يتصدق به عليّ المسجونين حتى مات الخليفة ووليّ الامام المقتدر وأمر باستراء السجون فأُسرِيْتُ وخرجتُ ولا أملك درهماً، وآليت على نفسي ألا أفتح بصري في وجه امرأة حتى أموت، ولا أراها إلا وأكف بصري عنها حتى تغيب.



(٢٨) القِمَطَرَةُ: وعاء منسوج من القصب.

(٢٩) الفَرَضُ: العطية المرسومة.

(٤٠) هامش للناسخ في ج [لو كان في هذا الزمن وقدر الوالي على بيعه لباعه وأكل ثمنه].

قال ابن مُكرم: (ما على وجه الأرض أعقل من القحبة، تأكل أطيب الطعام وتشرب أجود الشراب، وتأخذ الدراهم، ويحصل لها من اللذة نظير ما يحصل للرجل وأكثر).

فقال له أبو العيناء: (فكيف كانت أمك؟).
قال: (على ما تعهده من العجوز)، يعني والددة السائل.

* * *

ملح الأشعار في هذا الباب

انشد الفرزدق سليمان بن عبد الملك قصيدته يقول فيها:

ثلاث واثنتان فهن خمس وسادسة تعميل إلى شمام^(١)
فبتن بجانبتي مصرعات وبت افض اغلاق الختام
كان مفالق الرمان فيه وجمر غصا قعدن عليه حام

فقال له سليمان: (أحلت نفسك الحد يا فرزدق! أقررت عندي بالزنا، وأنا إمام، فلا بد من إقامة الحد عليك). فقال: (بِم^(٢)) أوحيت ذلك يا أمير المؤمنين؟، قال: (بكتاب الله)، قال: (فإن كتاب الله يدرا عني، قال الله تعالى: (والشعراء يتبعهم الغاؤون. ألم تر أنهم في كل واد يهيمون. وأنهم يقولون ما لا يفعلون)^(٣)، وأنا قلت ما لم أفعل).

سألت امرأة زوجها الحج فاذن لها وبعث معها اخاه، فلما انصرفوا سأله عنها فقال:

- شعر -

ما أن علمت بها عيباً أخبره إلا اتهمني فيها صاحب الابل
كانا، نهارة، إذا ما السير جذبنا يغيران^(٤) وما بالرحل من ميل
ويخلوان كثيراً في منازلنا فلا نزال نرى آثار مغتسل
والله أعلم ما كانت سرايرهم والله أعلم بالنيات والعمل

وانشد أبو نواس فقال:

تطلب ما قد كنت عودتها وكفها في كف قواها
فقلت: هاك الاير فاستدخلي فادخلت لامي في صاها

(١) الشام: القبل والرشف.

(٢) ا: بما.

(٣) سورة الشعراء، الايات ٢٢٤ - ٢٢٥ - ٢٢٦.

(٤) يغيران: يصلحان من شأن رحلها.

تمسح^(٥) ايري بعدما نكتها
كأنه اصغر اولادها
ولغيره:

استخبري، زينب، ما قولهم
أذاك منه حسن جائز
حسبك يا زينب من هجنة
فلا تريدي جمع هذا وذا،
فاسندي الامر إلى واحد
لا يحمل المنبر ردفًا، ولا
وعادة السوء إذا استحكمت
إسف وإن كان الهوى طيباً
يحبب غيري واكون الذي
في رجل يعبد رئيس
ام ليس يرضى الله دينين؟
تسترقين الله باسمين
فالغم لا يجمع سيفين
ولا تكوني ذات بعين
يصلح ملك بين شخصين
على امرئ، شر من الذين
اقنع بالسيس على اثنين
يرضى من العنز بقروين

غيره:

الخان يعجز عن قوم إذا كثروا
في كل يوم لها خمسون تعشقهم
غيره^(٦):

ايا من ليس يكفيها محب
اظنك من بقية قوم موسى
اتيت فؤادها اشكو إليه
ولا الفا محب في نظام
فهم لا يصبرون على طعام
فلم اخلص إليه من الزحام

ابن الرومي:

يستغفر الناس بأيديهم
وهن يستغفرن بالارجل

(٥) هامش في نسخة ج: [ترضع] وهي رواية أنسب لواقع الحال.

(٦) الشعر منسوب لابي نؤاس بهذا السياق:

ومظهرة لخلق الله شعثاً وتلقاني بذل وابتسام
اتيت فؤادها اشكو إليه فلم اخلص إليه من الزحام
ايا من ليس يكفيها خليل ولا الفا خليل كل عام
اظنك من بقية قوم موسى فهم لا يصبرون على طعام

(شرح ديوان ابي نؤاس، إيليّا حاري، الشركة العالمية للكتاب، ١٩٨٧ بيروت).

فيا له من عملٍ صالحٍ يرفعه الله إلى اسفل

حدّث الرياشي قال:

بينما أنا ذات يوم خارج إلى ظاهر البصرة مع صاحب لي، فنظرتُ بين خيم الأعراب فإذا أنا بامرأة من أحسن الناس وجهاً، وعلى رأسها قلّة تسقي الماء. (قال) فدنوتُ منها وطلبتُ منها ماء فدفعت القلّة إلي فتطأطأت في الأرض لاتأملُها، ففطنت الجارية فأنشأت:

الا حيّي شخصين بسرّين اراهما وعقلهما قد حازَ فيما ابتغاهما
هما استسقى ماءً على غير ظمّة ليستمتعا باللحظِ ممّن سقاها

(قال)، فقلتُ: (والله لقد أتيت بما في أنفسنا، فهل فيك مطمع؟)، فضحكت علي وقالت: (إذن ينكسر قلب الآخر، تقود أنت ولا يقود هو)^(٧).

(٧) هامش في أ: [أي صاحبه].

الباب الخامس

في نوادر أخبار الزناة
وملح أشعارهم وحكاياتهم

كان بشار بن بُرد الشاعر من أكابر الزناة، وهو القائل:

لا يؤيسنك من مخذرة قول تُغلظه وإن جزخا
عسر النساء إلى مياسرة والصعب يُركب بعدما جفحا
ولما بلغ المهدي هذان البيتان انفذ إليه وقال له: (أنت القائل؟)،
وانشده البيتين. قال: (يا فاسق، أتحرض الناس على الزنا؟ تلك أمك
العامرة).

وكان يبلغ امراته كثرة زناه فتسببه وتلعنه، فيحلف بها بالإيمان المغلظة
إنهم يكذبون عليه. فعمدت إلى عجوز بلغها أنها تقود له، فوهبتها شيئاً
وقالت لها: (صفيني له على أنني أحببته، واجمعي بيني وبينه في بيتك حتى
أوقفه على كذبه).. فسارت القوادة إليه وقالت له: (يا أبا معاذ، وقع لي
شرطك^(١) امرأة محتشمة صفتها كئت وكئت)، فقال لها: (ويحك، عجلي علي
بها)، فقالت له: (إنها في منزلي، وهي امرأة مخبورة في النكاح ولها شهرة
فيه وبعلمها غائب. فساعة دخولك ضع يدك واقض لها ولك غرضاً ثم
اجلسا بعد ذلك وتحدثا ما شئتما).

ثم ذهبت به وسبقت امراته لمنزل القوادة وقد لبست أفخر ثيابها
وتعطرت. فلما دخل عليها لم يصبر أن واقعها ومكنته من نفسها، فلما

(١) ب، ج: غرضك.

صار في نصف الشَّغل جمعت رجليها وركلته في صدره فאלقته على قفاه وقامت وهي تقول: (وأين ايمانك الفاجرة يا فاسق؟)، فقال لها: (إذهبي، فوالله ما رأيت أبرد منك حلالاً ولا أحرَمَ منك حراماً).

ومن شعره قوله:

أودَّ من لم يئلني من مودته	إلا سلام يردُّ القلب حيرانا
يا قوم أدني لبعض الحي عاشقة	والأذن تعشق قبل العين أحياناً
قالوا: بمن لا ترى تهذي، فقلتُ لهم:	الأذن كالعين تُوفي القلب ماكانا
يا ليتني كنتُ تفاحاً مطيِّبةً	أو كنتُ من قُضْب الریحان ریحانا
حتى إذا استنشقتُ ريحي وأعجبها	وكنْتُ في خلوةٍ، حُولتُ إنسانا
لا تعذلونني فإنِّي من تذكَّرها	نشوان، هل يعدل الصالحون نشواناً؟

وله:

يا أطيِّب الناس ريقاً غير مختبر	إلا شهادة اطراف المساويك ^(٢)
قد زرتنا مرَّةً في الدهر واحدة	عودي ولا تجعلها بيضة الذئك
يا نعمة الله حلِّي في منازلنا	حسبي برائحة الفردوس من فيك

وله:

رفهي عني قليلاً واعلمي	إنني يا هند من لحم ودم
ختم الحب لها في عنقي	موضع الخاتم من اهل الذمم
وإذا قلتُ لها جودي لنا	جمعت ^(٣) بالقول من لا ونعم

ومنهم أبو نؤاس، كان مع اشتهاؤه باللواط، زناءً. وكان له جارية تُسمَّى: هاشمية، فغلبت عليه. وكانت تتبعه إذا رات عشاقه فتُنكر عليه. وكان يتخفى بذلك منها.

(٢) المساويك: جمع مساوك، العمد الذي تُنظف به الاسنان.

(٣) جمعت بالقول: لم تُبينه.

حضر يوماً مجلس راحة فقال له أصحابه: ما نظنك قط لقيت مكروهاً
اغلظ من حبس الأمير إياك، فقال: بلى، أشد من ذلك. كنت أهوى جاريةً
في دار علي بن المهدي يُقال لها: سَمْجَة، ولي فيها اشعار كثيرة أكني عنها
بالتذكير، وكانت من أملح النساء، ومن أشعاري فيها:

سماه مولاة، لاستملاحه، السَمجا	فاختال عُجْباً بما سماه وابتهاجا
ظلي كان الثريا فوق جبهته	والمشتري في بيوت السعد والسرجا
محكم الطرف يدمي سيف ناظره	إذا انتضاه لقلب قال: لا خرجا
لا فرج الله عني إن مددت يدي	اليه اساله من حبه الفرجا
ولا اطعت بك السلوان يا املي ^(٤)	ودام حبك في قلبي ولا خرجا

ولم ازل اتلطف بها إلى أن اجابتنني ووعدتها منزل صديق لي، وكانت
جاريتي هاشمية تتبعني إذا تزيتت، ولم اجد بداً من الزينة. فبكرت
ودخلت الحمام وغرت ثيابي وتطيبت واخذت خريطة^(٥) لي فوضعت فيها
دنانير، وهي تلاحظني. فلما رأتني تاهبت تلك الأهبة علمت أنني عولت على
ما لا بد منه. فلما اردت النهوض قالت لي: (هل لك في أن تطعم شيئاً؟)،
فكنت لا اخالفها فاكلت شيئاً ثم احضرت شرباً وارغبنتني فيه. فقلت لا
باس بتطيب نفسها بشرب اقداح يسيرة، فشربت واقللت. ثم داعبتنني
وحركتنني بعد الحمام والطعام واليسير من الشراب فتحركت، فجامعتها
مرتين على كره مني واستدراج منها. فلما فرغت من المرة الثانية ضربت
بيدها على كتفي وقالت: (إذهب، فما فيك بعد هذا من خير)، وكانت قد
عرفت من طبعي أنني إذا صرت إلى مثل هذه الحال لم تبق في باقية.
فخرجت من عندها أجز رجلي وقد أثر في الوهم من كلامها اضعاف أثر
العادة، فوافيت بيت الصديق وقد سبقتني سَمْجَة إليه فطلبت ما عندي
 فلم تجد في عرقاً يتحرك، فernalني من الحَصَر^(٦) والخجل ما لم يبلني مثله
قط. وتضاعف علي الحال فاعتذرت، فقالت: (لا قبل الله لي عذراً إن قبلتُ

(٤) ا: يا املي. والبيت الاخير ناقص من ب، ج.

(٥) الخريطة: وعاء من الجلد او غيره، يُشد على ما فيه.

(٦) الحصر: ضيق الصدر.

عذرَكَ)، وقامت. فخرجت وقد صرّت شهرة. ولم ابق بعد ذلك نظماً ولا نثراً استعطفها، فاذا هي بمنزلة الثريا.

وكان أبو نؤاس يعشق جنان جارية الثقيفي وله فيها اشعار كثيرة، منها ما حدث به الجمّاز، قال:

جاء رسول لجنان إلى أبي نؤاس فبشّره أنّها ذكرته وقالت: (آذاني هذا الفتى وأبرمني بحدة نظره وتهتكه^(٧))، وقد ألح عليّ حتى رحمته، فسُرّ بذلك وقال:

يا ذا الذي عن جنان ظلّ يخبرني	بالله قلّ واعد يا اطيّب الخبر
قالوا ^(٨) . اشتكتك فقالت ما ابتليت به	اراه من حيثما وجهت في اثري
ويرفع الطرف نحوي إنّ مررت به	حتى ليخجلني من شدة النظر
فإنّ وقلت له كيما يكلمني،	في الموضع الخلو، لم ينطق من الحصر
ما زال يفعل بي هذا ويدمّنه	حتى لقد صار من همّي ومن وطري

وغضبت عليه مرّة من كلام كلمها به وأرسل يعتذر اليها، فقالت للرسول: (قلّ له: لا برح الهجر زرعك، ولا بلغت املك من احبك)، فرجع الرسول. فسأله عنجوابها فلم يخبره، فأنشأ يقول:

فديك نغم عثك من كلام	نظفت به على وجه جميل
وقولك للرسول عليك غيري	فليس إلى التواصل من سبيل
لقد جاء الرسول به انكسار	وحال ما عليها من قبول
ولو ردت جنان مردّ خير	تبيّن ذاك في وجه الرسول

ويُلغّ عنها أنّها سبته وقالت: (ويّلي على الخبيث^(٩) المتكذّب في حبه)، فقال:

جنان تسبّني ذكرْتُ بخير وتزعّم انّني رجلٌ خبيثٌ

(٧) ١: وأبرمني بحدة نظرة تهتكه.

ب: وأبرمني بحدة نظره تهتكه.

ج: بكثرة اشعاره.

(٨) ١: قالت.

(٩) ب، ج: الحبيب.

وَأَنْ مَوَدَّتِي زُوِّرَ وَمَعِنَ
وما صدقت ولا ردة عليها
وَأَنْي بِالذِي اهْوَى بَثْوُ
ولكن الملول هو النكوث
وشوق بين اضلاعي حثيث
فملئتني، كذا كان الحديث
رأت كلفي بها ودوام عهدي

وله:

يا ناظراً ما اقلعت لحظاته
يا فكلت قلبي من هواك محلّة
إلا تشحط^(١٠) بينهن قتل
ما حلها المشروب والمأكول
يفحّر التشبية والتّمثيل
دون السمين، ودونها المهزول
فوق القصيرة، والطويلة فوقها،

وله:

يا قمرأ ابصرت في ماتم
يبكي فيذري الدر من نرجس
يندب شجواً بين اقتراب
ويلطم الوردة بعناب

قال بعض النّحّاسين^(١١):

كانت عندي جارية نفيسة اسمها: مُنى، فعرضناها على أبي نؤاس،
فجعلت تحدّثه ثم قالت له: (ما اسمك؟) فقال:

إسمي لوجهك يا مُنى صفة
لا تُفجعي أُمّي بواحدِها
فكّفي^(١٢) بوجهك مخبراً باسمي
لن تخلفي مثلي على أُمّي

وكان أبو نؤاس في مجلس فيه قينة فقال: (ما اسمك؟)، فقالت:
(حُسن)، فأنشد:

(١٠) تشحط: تضرّج بالدم.

(١١) النّحّاس: بائع الرقيق.

(١٢) ١: فكّنى. ج: يكفى.

إِنَّ اسْمَ حُسَيْنٍ لَوَجْهَهَا صِفَةٌ وَمَا أَرَاهُ فِي غَيْرِهَا جُمْعًا
فَهِيَ إِذَا سُمِّيَتْ فَقَدْ وَصِفَتْ فَيَجْمَعُ اللَّفْظُ مَعْنَيْنِ مَعًا
وكان كثيراً ما يتحرّش بعنان جارية الناطقي، إلا أنه لا تتم^(١٣) له معها
نادرة. وقد ذكرنا، فيما تقدم، ما يدل على ذلك.

ومنهم أبو العتاهية:

يُحْكِي أَنَّهُ دَخَلَ يَوْمًا مَنْزِلًا فِيهِ جَمَاعَةٌ مِنَ الشُّعْرَاءِ مِنْهُمْ أَبُو نُؤَاسٍ
وَالْحُسَيْنُ بْنُ الضَّحَّاكِ وَغَيْرُهُمَا. وَكَانَ مَعَهُمْ أَبُو الشَّمْقَمَقِ، وَكَانَ
أَبُو الْعَتَاهِيَةِ أَلَى الْآيِضِ وَأَيَّاهُ مَجْلِسٌ لِأَنَّهُ كَانَ يَهْجُوهُ وَيَعْبِثُ بِهِ وَيَتَنَادَرُ
عَلَيْهِ، فَلَمَّا اسْتَوْذَنَ عَلَى أَبِي الْعَتَاهِيَةِ ادْخُلُوهُ خِرَانَةً فِي الْبَيْتِ. فَلَمَّا اسْتَقَرَّ
بِهِ الْمَجْلِسُ سَمِعَ حَرَكَةً فِي الْخِرَانَةِ فَقَالَ: (مَنْ عِنْدَكُمْ؟)، فَقَالُوا: (جَارِيَةٌ
مَحْتَشِمَةٌ اسْتَحْتَتْ مِنْكَ لَمَّا سَمِعَتْ بِكَ لِأَنَّهَا غَيْرُ مَبْتَذَلَةٍ، وَمَنْ صَفَتْهَا كَثُرَتْ
وَكَثُرَتْ)، فَطَرَبَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ لَمَّا سَمِعَ الصِّفَةَ وَحَشَمَةَ الْجَارِيَةِ وَحَيَاءَهَا،
فَقَامَ وَجَلَسَ عَلَى بَابِ الْخِرَانَةِ ثُمَّ بَسَطَ كَفَّهُ وَادْخَلَ يَدَهُ مِنْ بَيْنِ الْبَابَيْنِ وَقَالَ:
مَذَذْتُ كَفِّي نَحْوَكُمْ سَائِلًا مَاذَا تَرُدُّونَ عَلَيَّ السَّائِلِ؟

فَأَقَامَ أَبُو الشَّمْقَمَقِ دُكْرَهُ وَوَضَعَهُ فِي كَفِّهِ وَأَنشَدَ:

تُرِدُّ فِيهِ فَيْشَةً^(١٤) صُلْبَةً تُشْفِي جَوِي دَائِكَ مِنْ دَاخِلِ

فَارْتَاعَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ وَقَامَ وَحَلَفَ لَا يَدْخُلُ إِلَيْهِمْ.

وكانت معشوقته عُتْبَةُ جَارِيَةُ الْمَهْدِيِّ، وَكَانَ وَعْدُهُ بِزَوَاجِهَا فَأَبَتْ مِنْ
ذَلِكَ لَكَثْرَةِ تَشْبِيهِهِ بِهَا، وَخَوْفًا مِنْ تَصْحِيحِ مَقَالَةِ السُّوءِ فِيهَا مَعَهُ. وَفِي
أَمْرِهَا يَقُولُ لِلْمَهْدِيِّ مُسْتَنْجِزًا وَعْدَهُ فِي زَوَاجِهَا:

(١٣) ب. ج. لم تتم.

(١٤) الفيشة: الذكر المنتفخ.

- شعر -

ولقد تنسّمت الرياح لحاجتي فاذا لها من راحتك نسيم
ولربما استياست ثم اقول: لا إن الذي ضمن النجاح كريم

ومنهم الفرزدق:

حكى الجاحظ في كتاب (البيان والتبيين)، قال:
إن الفرزدق كان مشتهراً بالنساء، وكان جرير عفيفاً لم يكن له بيت
واحد في التشبيب مذكور، ولم يعشق امرأة قط، ومع ذلك أغزل الناس
شعراً.

ومنهم العرجي:

حكى ابن مخارق، قال:
واعذ العرجي امرأة بشعب^(١٥) من شعاب عرج^(١٦) الطائف إذا نزل
رجالها يوم الجمعة إلى مسجد الطائف. فجاءت على أتان^(١٧) لها ومعها
جارية، وجاء على حمار ومعه غلام، فتحدثا ساعة ثم قام إليها، فلما قضى
وطره منها خرج فوجد غلامه على الجارية، ووجد الحمار قد نزا^(١٨) على
الأتان، فقال: (هذا يوم غاب عذّأله).

ومنهم أبو الطمّحان:

قيل له: (خبّرنا عن أدنا^(١٩) ذنوبك)، فقال: (ليلة الدّير)، قالوا: (وما

(١٥) الشّعب: الطريق في الجبل.

(١٦) لعرج: موضع بين مكة والمدينة، وإليه يُنسب الشاعر العرجي.

(١٧) الأتان: الحمار.

(١٨) نزا: وثب.

(١٩) أ، ج: أدنى. ب: أدني.

ليلة الدَّيْرِ؟)، قال: (نزلت على دَيْرَانِيَّة^(٢٠) فأكلت طَفَيْشَلًا^(٢١) لها بلَحْمِ خنزير، وشربت خمرها، ونكت ابنتها، وسرقت كساءها)^(٢٢).

ومنهم خَوَاتُ بن جُبَيْر الانصاري، وهو صاحبُ ذات النخيين^(٢٣) وقصتهما مشهورة لابأس بايرادها لتقديم حكاية حُبَى المدنيَّة الأخذة بثأرها.

وجَدَ خَوَاتُ امرأةً من تَيْمِ الله^(٢٤) ومعها نخيان من سَفْنٍ، ففتح أحدهما وذاقه ثم قال لها: (امسكيه)، وذلك قبل الاسلام في سوق عكاظ، والموضع خال. ثم فتح الآخر ودفعه لها، فلما اشغل كَفَّيْها كشف ثيابها وفعل بها، وهي تضطرب ولا يمكنها الخلاص شفقةً على نَحْيِها، فلما فرغ قالت له: (لا هَنَّاكَ)^(٢٥).

ومن ذلك:

كان لرجل بالمغرب من المتعيشين^(٢٦) في عصرنا هذا، ولدان. أحدهما زان متخلف، وكان اخوه يكايده، فأدخل يوماً امرأةً لبيته وقطن له اخوه، فجاء فوجد خُفَّ المرأة على باب البيت فأخذه وخرج.. فلما خرجا لم تجد

(٢٠) ديرانية: نصرانية.

(٢١) الطَفَيْشَل: نوع من المَرْق.

(٢٢) هامش للناسخ في ١ [هذه الحكاية مشهورة عن الفرزدق، والله أعلم لايهما كانت].

(٢٣) النخي: رِقُّ السم.

(٢٤) تيم الله: بطن من بطون قبيلة بكر، يقال لهم اللهازم.

(٢٥) لخوات بن جبير شعر في هذه الحادثة، يقول فيه:

وأم عيالٍ واللين بكسبها	خلجت لها جاز استها خلجت
فاخرجته رين ينطف رأسه	من الرايك المدموم، بالنفرات
شغلت يديها. إذ اردت خلاطها.	بنخيين من سَفْنٍ نوي غخرات
فكن لها الويلات من ترك نخيها	وويل لها من شدة الفكتات
فشئت على النخيين كلًا شحيحةً	على سَفْنِها، والفكت من فعلاتي

(خلجت: شغلت، جار استها: فرجها، ينطف: يقطر، الرايك: نوع من الطيب، المدموم: المظني،

خلاطها: معاشرتها، العجرات: التتوه).

(راجع الحماسة البصرية، صدرالدين البصري، طبعة الهند، ١٩٦٤).

(٢٦) المتعيش: مَنْ له بُلَغَةٌ من العيش.

المرأة خُفِّها فطلبتَه من الذي ادخلها، فتركها ومضى إلى أبيه وهو يبكي، وأبوه جالس في جماعة، فقال له: (ما شأنك؟)، قال له: (ابنك يؤذيني)، فقال له: (ما صنع بك؟)، قال: (كانت عندي حاجة في البيت، أخي سرق خُفِّها)، فظنَّ أنه كنى بحاجة كناية لم يفهمها أحد، فضحك جميع الحاضرين وقام إليه أبوه فأوجعه ضرباً وسباً.

وضد ذلك، في شطارة بعض الزناة وعياريته، ما اتفق بمصر في عصرنا هذا، ما حدثني به ثقة من الفقهاء إن صديقاً له حدثه عن غلام حائك كان يتصرف إلى دار الفقيه ويخدمه (قال)،

فجاء يوماً فرأيته يتحدث مع بعض الغلمان سرّاً وهما يتضاحكان، فخلوتُ بغلامي وسألته ماذا قال له، فقال: حدثت عن معلّم الحائك بحكاية ظريفة، وذلك أنه قال: كنتُ تحت النُّول^(٢٧) أعمل شغلي، ومعلمي أيضاً يحبك حتى عبرتُ على الباب صانعة^(٢٨) تصيح في الطريق، كما جرت العادة، فقال لي: (إدعها)، فدعوتهُ فدخلتُ وهي تظنُّ أن في البيت امرأة، ولم يكن في البيت إلا أنا وهو، فقال لها: (اجلسي حتى تجيء صاحبة البيت)، فجلست حتى فرغ ما كان بيديه من العمل ثم قام إلى الباب فأغلقه وجاء فناولها نصف درهم، فلما أخذته وصار عندها قالت له: (واين صاحبة البيت؟)، فقال لها: (ما ههنا أحد غيري، وهذا دفعته لك حتى تحلقي لي عانتني)، فقالت له: (وهذا شغل تعمله امرأة لرجل؟)، فقال لها: (هذه حاجتي، فإن لم تفعلني هاتي النصف وانصري)، فصعب عليها اخراج النصف ففكرت ساعة ثم قالت له: (هات)، فحلّ سراويله وتقدّم لها فأخرجت الموي^(٢٩) ومسكت ذكّره بيدها اليسرى لتحلق العانة فانعظ^(٣٠)،

(٢٧) النول: خشبة الحائك.

(٢٨) هامش للناسخ في ١: [هي التي تختن الاناث].

(٢٩) ١: الموي.

(٣٠) انعط (ذكّره): قام وانتشر.

فشبقت^(٢١) الصانعة ونظرت اليه، وكان أيراً كبيراً، فاضطربت وقالت له: (قم فاعمل)، فقال: (مالي حاجة، احلقي)، فجذبت ذكره وهمت بوضع الموسى^(٢٢) على عانته فقوي انعاظه وتوتر، فارتعدت يد الصانعة بالموسى ولم تملك يدها ولا نفسها فقال لها: (ما شأنك؟ احلقي)، فقالت له: (قم فاعمل)، ورمت الموسى من يدها فقال: (مالي حاجة)، فقالت: (خذ ما أعطيتني وقم)، فأبى. فلم تزل به حتى ردت له ما أعطها وأعطته ما كان معها من معاش يومها وقام اليها فناكها وأخذ الموسى فحلق عانته بيده وانصرفت.

(٢١) شبقت: اشتدت غلمتها ورغبتها.

(٢٢) ١: الموسى. والأمر نفسه حيثما ترد الكلمة الى نهاية الحكاية.

الباب السادس

في شروط اللادة
وعلامات المفاجرين



(قال):

أَوَّلُ شروطِ اللادة أن يكون له منزل لطيف فارغ لا أحد فيه ومفتاحه في يده. ثم أن تكون له فيه مقاصر حمام واقفاص فيها طيور مسموعة. وتكون فيه سُفرة شطرنج. وتكون فيه كراريس فيها اشعار واحاديث في العشق وكتب مصوِّرة فيها خرافات، وكتب العزائم والرُّقى. وتكون فيه خمر معدة لا تنقطع أبداً، فهي ملاك امره^(١). وأن تكون معه دراهم حاضرة لا تفارقه.

حُكي أن بعض اللادة سألَه صديق له: (إنِّي لأعجب من كثرة انقياد المُرد إليك وطاعتهم لك وسرعة إجابتهم، فما سبب ذلك؟)، فقال: (أنا أريك سببه عياناً)، ثم مدَّ يده إلى رأسه فأخرج من عمامته كاغدة^(٢) فيها دراهم فدفعها له. ثم ردَّ يده إلى منديل معلق على وسطه، ملآن خلواء ونَقلاً. ثم مدَّ يده إلى خريطة في هِمَيَانِه^(٣)، أخرج منها شيئاً آخر. فلَمَّا رأى الرجل

(١) أ: فهو ملاك امره.

ب: فهي ملاك.

ج: فهي ملاك.

(٢) الكاغد: القبطاس.

(٣) الهميان: كيس تُجعل فيه النفقة، ويُشدُّ على الوسط.

ذلك قال له: (امسك يا اخي لئلا تنيكني الآن).

فإن كان اللانط من اليد السفلى، كان من شروطه أن يكون شاطراً، صاحب سكين، جلدأ على السيّاط، جريئاً على العقوبة.

حكى الجاحظ في (كتاب اللصوص) أن والياً من الولاة قدّم إليه شيخ من شيوخ اللصوص وزعيم لهم، أخذ في كباثر من السرقة والقتل وقطع الطريق وغير ذلك، فسجن دهرأ طويلاً ليعترف فيقتل. ثم سجن معه غلام كان يعشقه ويفعل به، أخذ الغلام ايضاً في سرقة.

(قال) فاتفق أن أخرجا من السجن للعقوبة مع جماعة مسجونين، فضرب الغلام مائة سوط وهو حدث مراهق البلوغ في نهاية الفظاظة والبضاضة وطراوة الجسم، فلم تُسمع منه فيها كلمة واحدة، فعجب الوالي والحاضرون من ذلك. ثم قال الوالي لرجل من اكابر الدولة كان حاضراً عنده: (اعجب من جلد هذا الغلام على هذا الضرب أن هذا الشيخ يرتكب معه^(٤) الفاحشة كل يوم)، وأشار إلى شيخ ضئيل دميم، أصفر، نحيف. وهو الشيخ المذكور^(٥).

(قيل) وكان ذلك الشيخ إذا ضرب الغلام سوطاً يتلوى ويتأوه حتى تكاد روحه تتلف، والحاضرون يظنون أن ذلك منه خوفاً وجزعاً. ثم أقيم الغلام وقدّم جماعة من المسجونين فجلدوا. ثم قال الوالي: (ردوا هذا الشيخ لجلسه، فإنه ليس فيه محمل خمسة أسواط).

(قال) فنظره الشيخ نظرة الجمّل الهائج وقد احمرت عيناه، ثم قال

(٤) في أ: (يطلب منه) مع هامش يعين الصفحة (يرتكب).

ب: يرتكب معه.

ج: يرتكب هذا الفاجر.

(٥) أ: الذكور.

له: (في محمل خمسة آلاف سوط. ما أحمل بجسمي إنما أحمل بصبري وقلبي وجَلدي)، فقال الوالي: (عَرّوه)، وراموا مسكه في المِفْلَقَة^(٦) فقال^(٧): (ليست بكم حاجة لذلك)، ثم وقف وتداول عليه جماعة الضّرابين، فضربوه ظهراً وبطناً خمسمائة سوط يقيمونه تارةً ويقعدونه تارةً، وهو قد ضمّ عضديه إلى جنبيه، وقدماه لم يتحرّكا من موضعهما في الأرض كأنهما وتدان^(٨). فقال الرجل الذي في مجلس الوالي له: (هذا الذي لمت ذلك الغلام على أن ينيكه؟ واللّه لو طلب أن ينيكني ما منعت)، فضحك الوالي حتى فحّص^(٩) الأرض برجليه.

قال مؤلف الكتاب:

كان بالمغرب بعض هؤلاء المحارفين^(١٠) إذا رأى جماعة من الغلمان مجتمعين في موضع، وقف وجّر الحديث، وهو يكذب، إلى أن يقول: (أخذنا في العملة الفلانية فضرب فلان مائة سوط فغشي عليه ورفع محمولاً، وفلان لم يتجاوز السبعين حتى خرّى^(١١))، إلى أن يصل إلى نفسه فيقول: (ضربت أنا سبعمائة سوط ورحت بقيّة نهاري إلى السجن العبّ القمان)، ويكثر من هذا. فكان إذا وقف [.....]^(١٢) على الغلمان وأراد يغيظه ويكايده، يقول: (واللّه ما فلان إلّا جلد على السيّاط، ضرب مرّة سبعين سوطاً، وهي أكثر ما ضرب، فما قامت عنده ولا قعدت)، فيقول: (سبعين كانت أو سبعمائة؟)، فيقولون له: (لا تكذب، ما ضربت قط أكثر من

(٦) المفلقة: خشبة التعذيب.

(٧) ١: قال.

(٨) ١: وتد.

(٩) فحّص: خفّ.

(١٠) المحارف: المحتال.

(١١) ١: حتى حرى، وربما كانت (حتى خرّ).

ب. ج: حتى يصل.

(١٢) كلمة غير مقررة في الأصل. وردت هكذا: [تعرّك].

سبعين)، فيخرج ويقول: (ضُرِبْتُ أو ما ضُرِبْتُ، مَنْ ضُرِبَ شَيْئاً نَفَعَهُ)، ثم ينصرف.

وأما علامات الغلام المواجه^(١٣)

فإن يكون إذا مرَّ بأحدٍ فنظرَه بقي أيضاً هو ناظراً إليه لا يصرف بصره عنه. فإن تبسّم مع ذلك تبسّماً خفياً، أو رنّت عيناه كأنهما تضحكان، فهو يسبقك إلى المنزل إن اشرّت إليه.

ومن علاماتهم:

أن يكون مُعَذِّراً^(١٤) أو أرباً^(١٥) وليس في ساقيه شُعر، فإن ذلك يدل على التنوّر^(١٦) أو استعمال حَجَرِ الحَمَام.

ومن علاماتهم:

نقْثُ مَقْدَمَاتِ الشُّعْرِ من لحيته وعذاريه^(١٧).

ومن علاماتهم:

أن يكون إذا مشى ينظر في اعطافه^(١٨) ويتأمل في أطرافه. فإن نَظَرَ إلى ساقيه إذا مشى، كائنٌ ما كانت، فهي أكبر^(١٩) أمانة على التَهْتِكِ في الوجارة. وذلك أن اللاطة يقولون: (إن السَّاقَ هو الوجه الثاني)، لأنَّ الإنسان منهم إنما يلحظ الأمرَ أبدأً للحظة الأولى لوجهه، ويردّفها بالثانية لساقيه. فاعتناء الغلام بساقيه من أدلِّ الدلائل على فسادِه وتهتكِه. وإهماله لهما دليل على خلاف ذلك من التصاون.

(١٣) المواجه: الذي يبيع نفسه بأجر.

(١٤) المعذّر: الغلام الذي نبت شعر عذاره، أي جانبَي لحيته.

(١٥) الأرب: المتبصر، الناضج.

(١٦) التنوّر: استعمال حجر الكلس، النورة، لإزالة الشعر.

(١٧) العذار: جانب اللحية، أي الشُّعْر الذي يحاذي الأذن.

(١٨) عطفا الرجل: جانبيه من رأسه إلى رقبته.

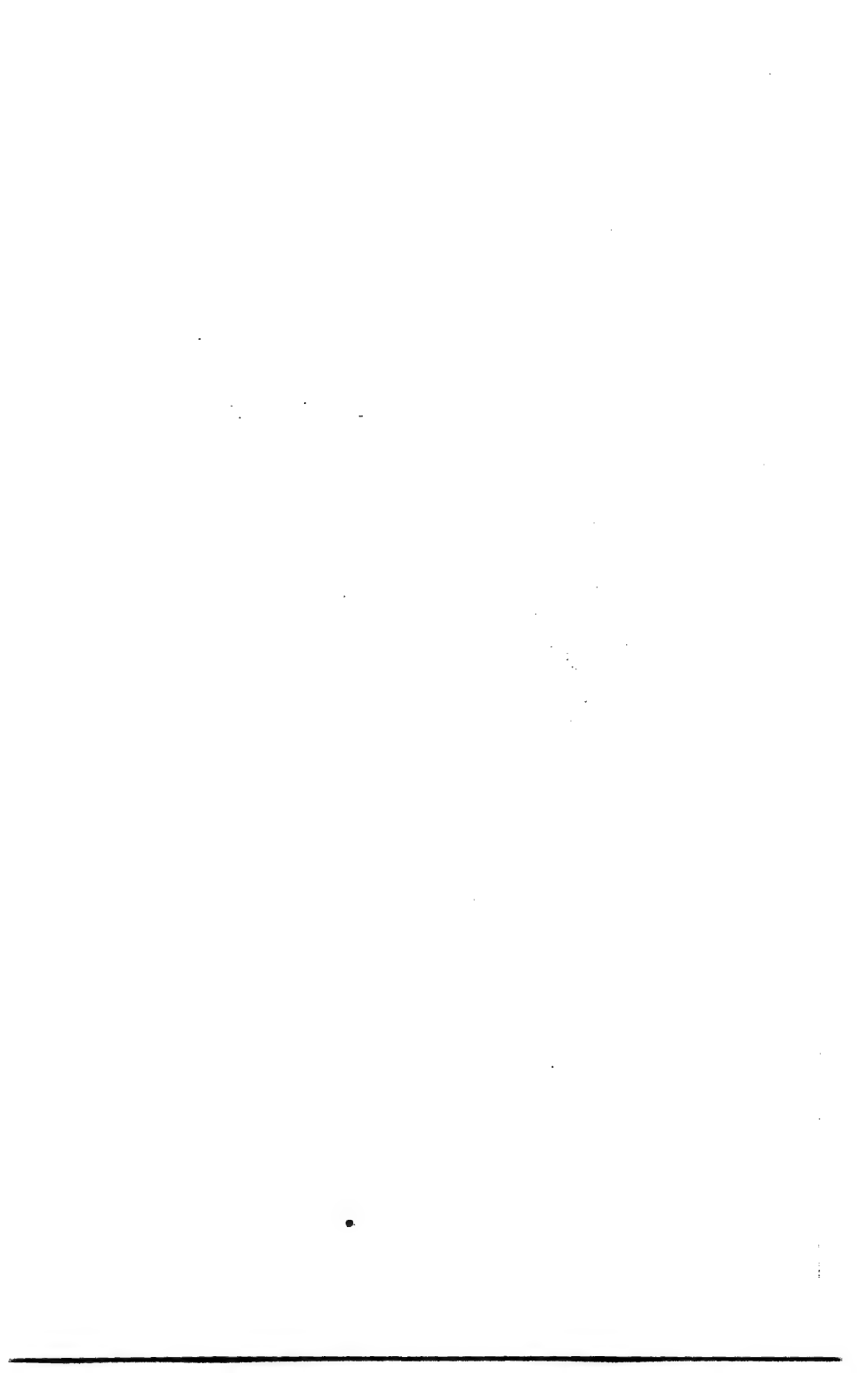
(١٩) ١: من أكبر.

ومن علاماتهم:
إن يكن في ساقه شَعْرٌ، أو كانا رقيقين، أن يلبس ثياباً طويلةً إلى
الكعب. وإن كان ساقاه غليظتين، ولا شَعْرَ فيهما، أن يلبس ثياباً قصيرة،
والله تعالى اعلم بالصواب.



الباب السابع

في نوادر أخبار
المرد المفاجرين
وملح أشعارهم



ذَكَرَ إِنَّ أبا نَوَاسٍ لَمَّا ظَهَرَ فِي حَدَاثَتِهِ وَمَلَأَ الْعَيْنُونَ جَمَالاً وَظَرْقاً، وَشَغَفَ الْقُلُوبَ أَدْباً وَلُطْفاً، خَطَبَهُ جَمِيعُ شَبَابِ الْبَصْرَةِ لِلصُّحْبَةِ وَالنَّزَاهَةِ فَقَالَ: (لَا أَصْحَبُ إِلَّا فَتَى حَسِيباً، أَدِيباً، كَرِيماً، شَجَاعاً، شَاعِراً، عَرَبِيّاً)، فَقِيلَ لَهُ: (إِنَّ هَذِهِ الْخُصَالَ لَمْ تَجْتَمِعْ إِلَّا فِي وَالْبَةِ بْنِ الْحَبَابِ)، فَقَالَ لَهُمْ: (أَنْشُدُونِي شَيْئاً مِنْ شِعْرِهِ فِي النَّسِيبِ)، فَأَنْشَدُوهُ لَهُ:

وَلَهَا وَلَا ذُنْبَ لَهَا حُبَّ كَاطِرَاتِ الرِّمَاحِ
جَرَحَتْ فُؤَادَكَ بِالْجَوَى فَالْقَلْبُ مَجْرُوحُ النَّوَاحِ

فَقَالَ: (مَا عَلَى هَذَا مَزِيدٍ فِي الرِّقَّةِ وَالْحَلَاوَةِ، فَأَنْشُدُونِي مِنْ شِعْرِهِ فِي الْوَصْفِ)، فَأَنْشَدُوهُ مِنْ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ^(١):

الْقَى بِجَانِبِ خَصْرِهِ امْضَى مِنَ الْأَجَلِ الْمُنَاحِ
وَكَاثِمًا ذُرَّ الْهَبَاءِ عَلَيْهِ انْفَاسُ الرِّيحِ

فَقَالَ: (مَا عَنْ هَذَا مُعْدِلٍ)، ثُمَّ سَارَ إِلَيْهِ حَتَّى وَصَلَ فَسَأَلَ عَنْ مَنْزِلِهِ فَقُدِّلَ عَلَيْهِ.

وَكَانَ لَوَالِبَةِ مَجْلِسِ شَرَابٍ يَجْتَمِعُ إِلَيْهِ الْفَتَيَانِ، لَا يُمْنَعُ عَنْ أَحَدٍ مِنْهُمَا، فَاتَاهُ وَأَسْتَاذُنَ فَأَذَّنَ لَهُ وَدَخَلَ فَوَجَدَ وَالْبَةَ سَكْرَاناً نَائِماً، فَقَالَ لَجَارِيَتِهِ:

(١) يُنسَبُ هَذَانِ الْبَيْتَانِ إِلَى إِسْحَاقَ بْنِ خَلْفٍ الْمَعْرُوفِ بِابْنِ الطَّبِيبِ (تَوَفَّى حَوَالِ ٢٣٠ هـ)، رَاجِعْ «دِيَوَانَ الشُّعْرِ الْعَرَبِيِّ» لِأَدُونِيس، ج ٢، مَنَشُورَاتِ الْمَكْتَبَةِ الْعَصْرِيَّةِ ١٩٦٤ بِيْرُوت.

(هل عندك من طعام؟)، قالت: (نعم)، قال: (احضره)، فأحضرت الطعام فأكل. ثم قال: (هل عندك شراب؟)، قالت: (نعم)، قال: (هاتيه)، فأحضرت الشراب وشرب حتى غلبه السكر وبقي نائماً في موضعه. فاستيقظ والبئ فرآه وسأل الجارية عنه فأخبرته، فملىء به عجباً. فاستدعى الطعام فأكل، والشراب فشرب ولم يعرض له.

ولم يزل يشرب حتى غلبه السكر فنام في مكانه. وقام أبو نؤاس فسأل الجارية عن أمر والبة، وقد رآه نائماً في مكانه، فعرفته بقيامه وما كان منه، فقام واستدعى ماءً فغسل وجهه به واستنجد^(٢) ثم رجع الى مكانه وطلب الطعام والشراب فأكل وشرب حتى نام مكانه. ثم قام والبة ففعل كفعله الأول.

فيذكر أنهما أقاما على تلك الحال أياماً، يأكلان ويشربان وهما في مجلس واحد لا يلتقيان. فلما طال ذلك على والبة قال للجارية: (إذا قام وطلب الطعام فامطليه^(٣) به حتى أقوم)، فقام أبو نؤاس كعادته وطلب الطعام فقالت له الجارية: (لم يتهياً بعد)، فقال لها: (إنني لأعلم ما تريدن، فقد قال لك إمطليه بالطعام حتى أقوم)، فقالت له: (ما اظنك إلا شيطان).

ثم قام والبة فسلم عليه وسأله عن أمره فعرفته بجميع حاله وإنه اتاه ليتأدب عليه. فاستطير به طرباً وبعث إلى جماعة من الفتیان كانوا يعاشره وصنع لهم طعاماً وشراباً.

ولم يزل معه بقية سنته، ثم سأله أن يخرج به إلى البادية ليسمع كلام العرب بها وينقل عنهم اللغة ويروي من اشعارهم، ففعل ثم عاد إليه. وكانت مدة صحبته له عشرين شهراً.

ويحكى أنه لما خلا به أول خلوة هابه والبة أن يكلمه، وفهم عنه أبو نؤاس، فأنشده:

(٢) استنجد: غسل موضع النجو، أي الفضلات.

(٣) إمطليه: سولي بوعد الوفاء مرة بعد أخرى، أي أخريه.

فيما تلاحظني به امرُ تحمحمُ دون ذكره
وعلى المحبِّ علامة يبدو بها مكنون سره
وانا المطيعُ كما يطيب مع العبدِ مولى عند امره
فادخل بنا بيتَ المقيِّل^(٤) وولني إسمال ستره

فعند ذلك قام اليه والبةً وأضجعه وكشف عن أسننه فرأى شيئاً راعه
بباضه وحسنه ونعومته، فلم يتمالك أن انكبَّ على أسننه فقبَّلها، فضرط
أبو نؤاس على الفور ضرطه عاليةً فارتاع والبة، فظنَّ أنه جاهله وبأينته^(٥)،
ووثب على سكّين كانت في بيته فاخترطها، وأبو نؤاس مضطجع لم يتغيّر
عن موضعه، فرفع رأسه اليه وقال له: (لا تفزع، إنّما سمعت الناس
يقولون: جزاء من قبَّلَ الأسنَّ ضرطه، فأحببتُ أن لا يضيع المثل)، فعظم
في عين والبة وعلم أن سيكون له شأن. وسنذكر في آخر هذا الباب كيف
كانت مفارقتة له.

وحدّث أبو السّمّاح، قال:

قلتُ لوالبة، وكنتُ أرى عنده أبو نؤاس وهو غلام حسنُ الوجه
فيُعجبني: (أنا واللهِ اشتهي أن أحتلي بـغلامكِ)، فقال لي: (ويحك، أما
تستحي؟ هو غلامي)، فقلت له: (هو ما قلتُ لك)، قال: (فلا تبرح حتى
يجيء)، فجاء أبو نؤاس فقال له والبة: (إنَّ أبا السّمّاح يشتهيكَ)، فقال
له أبو نؤاس: (جعلتُ فداك، أتاُمُرني بحُسن التبعّلِ^(٦) وتقضي بي حوائج
أخوانك؟).

قال أبو السّمّاح:

فقلتُ لوالبة: (ويحك إحدِرْ هذا، فإنّه إن بقي كان داهيةً).

(٤) المقيِّل: النوم أو الاستراحة في الظهيرة.

(٥) بآينته: هاجزته.

(٦) هامش للناسخ في ١: [أصل التبعّل طاعة البعل واستعمالها في طاعة النكاح].

وحدّث أبو سعید الجہنی، قال:

كان لي اخ يُقال له: بدر، وكان يتغنّى ويألف الغلمان، وكان أبو نؤاس معه. ثم تنسّك وفارقه أبو نؤاس مدّة. (قال) فحدّثني أخي، قال:

رأيتُ أبا نؤاس ببغداد ومعني أولاد لي وهو على بزّون^(٧) أشهب، فعرفني ولم أعرفه فسلم عليّ فأنكرته، فقال: (ويحك يا بدر، أما تعرفني؟)، فقلتُ: (لا)، قال: (أبو نؤاس)، فسألته عن حاله فقال لي: (مَنْ هؤلاء الصبيان الذين معك؟)، قلتُ: (أولادي)، قال: (فلا إله إلاّ الله، كاد هؤلاء الصبيان يكونون منّي لو بقيتُ معك قليلاً أو أواجر)، فقلتُ: (إذهب قبحك الله وقبح ما جئت به)، فقال: (هو ما قلتُ)، ومضى وهو يضحك.

وحدّث رجلٌ من فتيان البصرة وأدبائها، قال:

أتى أبا نؤاس، وهو غلام مليح، رجلٌ لائط فغمزته، فقال: (كنّ امامي)، ثم لقيه آخر، فغمزته فقال: (كنّ من ورائي)، ثم اجتاز عليّ، وأنا في الطاق، فغمزته ليصعد فقال: (أصعدُ ومعني اثنان، وقد سبقك ذاك المتقدمان)، وأشار إلى الرجلين فقلتُ: (أتواجر بإعراب؟)، فقال: (وهل ينقص الإعراب لذّة؟)، فعجبتُ من إعرابه في تلك الحال.

ورأيتُ رجلٌ من أصحاب الحديث غلاماً عن نفسه، فقال: (ما تعطيني؟)، فقال: (استغفرُ الله لك ما دمتَ حيّاً، وأقرأ على قبرك إذا متُ)، فقال الغلام: (فأقرأ بالعاجل على أيرك: (وردّ الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً)^(٨)).)

(٧) البرزون: دابة الحمل الثقيل.

(٨) سورة الأحزاب - آية ٢٥.

فَسَقَ رَجُلٌ بَغْلَامَ، فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: (إِنْزِعْ حُفَّكَ)، فَقَالَ: (أَخَافُ أَنْ يَنْتَقِضَ وَضُوءِي).

قِيلَ لَغْلَامٍ: (إِنَّ مَوْلَاكَ فِي إِضَاقَةٍ^(٩)) وَأَنْتَ تَلْبَسُ مِثْلَ هَذِهِ الثِّيَابِ السَّرِيَّةِ^(١٠)، فَمَنْ أَيْنَ لَكَ هَذَا؟، فَقَالَ: (أَتَنَكِّرُونَ هَذَا وَدَارَ الضَّرْبِ^(١١)) فِي سِرْوَالِي؟).

نَظِمَ هَذَا الْمَعْنَى ابْنُ الرَّومِيِّ، فَقَالَ:
وَمُؤَاجِرٌ عَجِبَ الْإِنَامُ، وَقَدْ رَاوَا مِنْ بَعْدِ عَشْرَتِهِ، غَزَارَةُ مَالِهِ
فَاجِبَتُهُمْ: مُمْ التَّعَجُّبُ، كَيْفَ لَا يَثْرَى وَدَارُ الضَّرْبِ فِي سِرْوَالِهِ؟

قَدِمَ غْلَامٌ جَمُصِيٌّ بَغْدَادَ فَوَاجَرَ بِهَا حَتَّى حَسَنَتْ حَالَهُ، وَقَدِمَ عَلَيْهِ بَلَدِيٌّ^(١٢) فَسَأَلَهُ عَنْ خَبَرِهِ، فَقَالَ: (يَا مَوْلَايَ، إِسْتُ نَقِيَّةٌ بِبَغْدَادَ خَيْرٌ مِنْ طَاحُونٍ بِجُمُصَ).

حَدَّثَ طَاهِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْكَاتِبُ، قَالَ:
كَانَ لِي غْلَامٌ يَبْطِئُ إِذَا أَرْسَلْتُهُ فِي حَاجَةٍ، فَبَلَغَنِي^(١٣) أَنَّهُ يُوَاجِرُ، فَقُلْتُ لَهُ: (وَيْحَكَ، أَشْتَرِيكَ لِتَخْدُمَ أَوْ لَتُوَاجِرَ؟)، فَقَالَ: (يَا مَوْلَايَ، مَا عَلَيْكَ، إِذَا سَعَيْتُ فِي حَوَائِجِكَ وَلَمْ أَقْصِرْ فِي خِدْمَتِكَ، أَنْ أَنْفَعُ نَفْسِي مِنْ حَيْثُ لَا أَضْرُكَ؟).

(٩) الإضاقة: الفقر.

(١٠) السرية: البياضة.

(١١) دار الضرب: الموضع الذي تُضرب فيه الدراهم، أي تُسَكَّ.

(١٢) أي من أهل بلده.

(١٣) ١: يبلغني.

وقال سعيد بن وهب:

غضبتُ على غلامٍ لي فبطحته وكشفتُ أسنته لأضربه عليها وقلتُ له: يا ابن الصانعة، غرتك إسنك هذه حتى اجترأتُ عليّ هذه الجراءة، وسأريك هوانها عليّ، فقال: (طالما غرتك هذه الأسنّة حتى اجترأتُ على زُبك، وسوف ترى هوانك عليه^(١٤)).

(قال):

فورّد عليّ من قوله ما حيرني وأسقط السوط من يدي.

أمر بعضُ الأمراء خادماً له أن يحضر غلاماً سمّاه، من مماليكه. فمرّ الخادم ليحضره فإذا هو قد أكل تسقيّة كثيرة الثوم، فقال له: (قم فإنّ الأمير يدعوك وهو في الخيش^(١٥))، فنهض الغلامُ فقال له الخادم: (اغسل يدك)، قال: (يا كُشخان^(١٦))، فإنك ترى بعد ساعةٍ من رائحة الخراء ما تصير معه رائحة الثوم ندأ^(١٧) وعنبراً).

قال بعضهم:

غمزتُ غلاماً، فلما حصّلتُهُ وأعطيتُهُ الفضة نام على قفاه وضَمَّ فخذه، فقلت: (ما هذا، لِمَ لا تدور؟)، فقال: (زُدني قطعةً أخرى حتى أدور)، ففعلتُ. فلَمّا استويتُ على ظهره قال: (زُدني قطعةً أخرى حتى أفعل شيئاً أطيب من هذا كلّهُ)، قلتُ: (وما هو؟)، قال: (أستلقي على ظهري وأرفع^(١٨) رجليّ من قدام)، ففعلتُ ورفع رجليه. فلَمّا مكنّتُ منه قال: (هل لك في شيءٍ هو أطيب من هذا كلّهُ؟)، قلتُ: (وما هو؟)، قال: (زُدني قطعةً أخرى حتى

(١٤) ب: عليها.

(١٥) الخيش: ثياب في نسجها تخلخلٌ وخيوطها غلاظ من الكتّان.

(١٦) الكُشخان: القوّاد الذي لا غيرة له.

(١٧) النَّد: عود يُتبخَّر به.

(١٨) أ: وأفعل.

ب، ج: وأرفع.

أَنُومَكَ وَأَقِيمُ أَيْرَكَ بِيَدِي وَأَقْعِدْ عَلَيْهِ وَأَنْتَ نَائِمٌ لَا يَمْسُكَ تَعَبٌ وَلَا نَصَبٌ^(١٩).

(قال):

فَفَعَلْتُ، فَلَمَّا اسْتَوَى فَوْقَهُ تَحَرَّكَ ثُمَّ قَالَ: (تَزِدْنِي قِطْعَةً أُخْرَى حَتَّى أُخَرِّي لَكَ عَلَيْهِ؟). (قال): فَقُلْتُ: (لَا يَا ابْنَ الْمُؤَاجِرَةِ، قُمْ لَا أَصْخَبُكَ اللَّهُ بِسَلَامَةٍ).

سَأَلَ بَعْضُهُمْ غَلَامًا وَشَارَطَهُ عَلَى أَنَّهُ إِنْ عَمَلَ بَيْنَ الْفَخْذَيْنِ بِدَرْهَمٍ، فَإِنْ دَخَلَ الْبَيْتَ فَبِدَرْهَمَيْنِ، فَدَخَلَ الْبَيْتَ. فَلَمَّا كَانَ وَقْتُ الْوِزْنِ أَعْطَاهُ دَرْهَمًا وَاحِدًا فَقَالَ لَهُ الْغَلَامُ: (لَا أَخْذُ إِلَّا دَرْهَمَيْنِ)، قَالَ الرَّجُلُ: (لَا أَزِيدُ)، قَالَ الْغَلَامُ: (فَبَيْنِي وَبَيْنَكَ الْقَاضِي)، قَالَ: (وَمَا تَقُولُ لِلْقَاضِي؟)، قَالَ: (السَّاعَةُ تَسْمَعُ)، ثُمَّ حَمَلَهُ إِلَى الْقَاضِي. فَلَمَّا جَلَسَ بَيْنَ يَدَيْهِ قَالَ الْغَلَامُ: (أَعَزَّ اللَّهُ الْقَاضِي، إِنِّي أَكْرَيْتُ هَذَا الرَّجُلَ حِمَارًا إِلَى بَابِ الْمَدِينَةِ بِدَرْهَمٍ، وَإِنْ دَخَلَ الْمَدِينَةَ فَبِدَرْهَمَيْنِ. فَدَخَلَ الْمَدِينَةَ وَسَارَ فِيهَا وَلَمْ يَوْفِنِي حَقِّي)، قَالَ الرَّجُلُ: (أَعَزَّ اللَّهُ الْقَاضِي، دَفَعَ إِلَيَّ حِمَارًا لَمْ أَضْبِطْهُ، حَمَلَنِي وَدَخَلَ فِي الْمَدِينَةِ).

(قال):

فَفَكَّرَ الْقَاضِي سَاعَةً ثُمَّ قَالَ لَهُ: (زِنْ لَهُ دَرْهَمًا وَنِصْفَ، فَإِنْ خَيْرَ الْأُمُورِ أَوْسَطُهَا).

وَنَظَرَ أَمْرَدٌ فِي مِرَاةٍ فَرَأَى الشُّعْرَ قَدْ تَكَامَلَ فِي عَارِضِيهِ فَتَلَا: (فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ. فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ)^(٢٠)، فَقَالَ لَهُ قَوَادُهُ: (فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مَدْبِرِينَ)^(٢١).

(١٩) النَّصَبُ: الْعَنَاءُ، أَيْ إِنْ الْإِنْسَانُ لَا يَزَالُ مُنْتَصِبًا حَتَّى يُعْيِي.

(٢٠) سُورَةُ الصَّافَّاتِ، الْآيَتَانِ ٨٨ - ٨٩.

(٢١) الْمَصْدَرُ نَفْسَهُ، الْآيَةُ ٩٠.

وسأل عبادة غلاماً، وكان بالغاً يصلح للأميرين، فأعطاه عشرة دراهم وناكه. ثم دعاه الى نفسه فامتنع عليه، فقال له عبادة: (ما تريد؟ ألم أعطك عشرة دراهم؟) فقال: (بلى، ولكن لصنف واحد)، وكان عنده في البيت مِقْنَعَةٌ^(٢٢) صفراء لأم عبادة فقال: (أعطني هذه المِقْنَعَةَ)، فقال عبادة: (هي لأمي، وأخشى أن تفطن)، فقال الغلام: (فقلْ لأمك تنيكك). فما زال حتى أخذ المِقْنَعَةَ وناكه.



قال مؤلف الكتاب:

كنتُ في تأريخ تأليف هذا الكتاب بدمشق ذات يوم ماراً بجسر نهر بردى، وإذا أنا بغلام رائق المنظر، صغير السن، دون البلوغ، عريان لا يواريه شيء أصلاً. وهو جالس في شطّ الجسر يبكي أحزاً بكاء والغلمان يسبحون في النهر تحته، والناس يعزّون به يميناً وشمالاً ولا يكلمونه. فأدركتني عليه شفقة وأردتُ أعرف حديثه فقلتُ له: (ما شأنك؟)، فلم يكلمني وزاد في البكاء والضجيج وصار يقول: (اليومُ أموتُ، اليومُ تقتلني)، وإذا بغلام في سنّه واقف بحذاءه، فقال لي ذلك الغلام: (يا سيدي، هذا الغلام جاء يسبح في النهر ووضع ثيابه على الحجر فسُرقت، وله أم عجوز صالحة، لها تغزلُ له فيها مدّة كبيرة. وهي تقتله اليوم إن رجع لها عريان، وقد تعصّب^(٢٣) الناسُ يجمعون له شيئاً يخلف به بعض قماشه)، فأخرجتُ المنديل من كُمّي وفتحتّه على أن أدفع له منه شيئاً، فأشار إليّ شابٌ على بُعد الآأ فعل. فسرتُ إليه وسألته عن السبب فقال لي: (هذا علق^(٢٤) مقامرُ ابنِ قحبةٍ قوادةٍ، عادتهُ يفعل كذا، ويأخذ الذي يحصل له، يقامر به ويقسمه مع ذلك الغلام الآخر، وهو قوادة. والناس

(٢٢) المِقْنَعَةُ: ما تغطّي المرأة رأسها به، وهو أصغر من القناع.

(٢٣) تعصّب (له): مال إليه رجداً في نصرته.

(٢٤) العلق: الشاذ جنسياً، ولعله تصحيف (علج).

يعرفون ذلك منه، وإنما يصطاد الغرباء، وأنت يظهر أنك رجل غريب، فوفر عليك رحلك^(٢٥)، فجزيته خيراً وانصرف^{٢٦}.

ونظر رجل إلى غلام وضيء الوجه وبوجهه أثر، فقال وقد أدمن النظر إليه: (يسألك الله عن سوء ظنك)، فقال الرجل: (بل يسألك الله عن سوء صرعك^(٢٧)).

قال بعض اللاطة:
رفعت^(٢٧) غلاماً صوفياً، فكنت كلما أولجته فيه قال: (استغفر الله)، فإذا أخرجته يقول كذلك إلى أن فرغنا، فقلت له: (لم تفعل ذلك؟)، فقال: (إدخالك إياه سيئة، وإخراجك إياه سيئة. وقولي «استغفر الله» حسنة، وقد قال الله تعالى: (إن الحسنات يذهبن السيئات)^(٢٨)). فأقوم وليس عليّ ذنب).

(قال):

فقلت له: (هذا العلم أخبرت عنه، أو لقنته؟)، فقال: (شيخي ذكر لي ذلك).

حدث أبو نؤاس عن نفسه، قال:

أول شعر قلته أنني مررت وأنا غلام، وقد كنت تأذبت بمربد^(٢٩) البصرة، فإذا أنا بأعرابي قد باع إبلاً له وهو جالس يمين^(٣٠) أثمانها. فأعجبني

(٢٥) الزحل: متاع المسافر.

(٢٦) الصرع: الطرح بالأرض.

(٢٧) رفعت هنا بمعنى (أخذ).

(٢٨) سورة هود، آية ١١٤.

(٢٩) المربد: المكان الذي تحبس فيه الإبل وغيرها، ومربد البصرة مكان مشهور بذلك.

(٣٠) يمين: يفرز.

فصاحته حين تكلم، فجلستُ بالقرب منه فجعل ينظر إليّ فقلتُ: (مالك تنظر إليّ؟)، فقال: (إني وأيتك^(٣١))، فقلتُ: (انشدني من قولك)، فأنشد قصيدةً تصف الطلول والابل على قافية النون، فقلتُ: (انا اقول احسن من هذا)، قال: (هاتِ)، فلم ازل أفكر وأجهد نفسي حتى قلتُ:

احسنُ مما تضمّنُ الفطنُ وبلدةٌ قد ابادها الزمنُ
ومن طلولٍ طال الزمانُ بها يحسنُ فيها البكاء والحرنُ
ظليّ اعازَ الظباء مقلتهُ كانه من جماله وسنُ
شمسُ ضياءٍ على كتيبِ نقا يعدله عند ميله الغصنُ

فقال لي: (هذه صورتك فداك ابي وامّي، ولم اعلم بأنك على هذا الظرف)، وضرب بيده في الدراهم فأعطاني منها كفاً، فأخذتها واحببت قول الشعر.

وحدث أبو نؤاس ايضاً عن نفسه، قال:

كنتُ وأنا حدثُ أحبُّ غلاماً بالبصرة واتمناه، فلقيته بالمزبد فسألتُهُ أن يجيئني فقال: (إن كنتَ تحبّ ذلك فانتظر لي مغنيّةً متظرّفةً فعدها لي)، فمرّت بنا امرأةٌ في الحال فقال لي: (هذه الشرطّة^(٣٢) دونك إن أحببت)، فقمّت ولم اتمالك أن وضعتُ يدي في المرأة فصاحتُ واستغاثت ووافقتني الأيدي، وتنحّى الغلامُ جانباً يضحك. فاحتلتُ حتى تخلّصتُ منهم.

وحكى الجمان وهو أبو عبد الله محمد بن عمرو بن حماد بن عطاء بن ياسر، وكان مصاحباً لأبي نؤاس وللجاحظ، وكانت أبياتهم^(٣٣) متقاربة، قال:

(٣١) الراي: الريم أو الظن.

(٣٢) الشرطّة: ما اشترطته.

(٣٣) ب، ج: انسابهم.

كنتُ أنا وأبو نؤاس ونحن أحداث، قاعدين بباب عثمان إذ مرَّ بنا
أحمد بن عبد الوهاب الثَّقَفي، وهو غلام حَسَن الوجه، فقال له أبو نؤاس:
(قَبِّلْنِي قَبْلَةً)، فقال: (أُمدحني ببيت حتى أفعَل)، فقال:

حُبِّكَ يَا أَحْمَدُ اضْنَانِي يَا قَمْرًا فِي شَخْصِ إِنْسَانٍ
فَقَبِّلْهُ قَبْلَةً، فَقُلْتُ: (مَا شَأْنِي أَنَا؟)، فقال: (أُمدحُني)، فقلتُ:
بَذَلْتُ لِلأَوَّلِ مَا يَشْتَهِي فَايْذُلْ أَبَا الْعَبَّاسِ لِلثَّانِي
فَقَبِّلْنِي، فقال له أبو نؤاس: (وهذا البيت يبقى عندك أيضاً^(٢٤)) وهو:
يَا وَرْدَةً اعْجَلْهَا قَاطِفٌ مَرَّتْ بِنَا فِي بَابِ عُثْمَانَ

وكان سبب مفارقة أبي نؤاس لوالبة أنه كان ذات يوم يفعل به فأنشده،
وهو على ظهره، يقول:

يَا عَجَبًا مِنْ شَاعِرٍ مُفْلِقٍ^(٢٥) يَنْيِكُهُ وَالبَةُ بَنَ الْخَبَابِ
فَفَزَعَ وَالبَةُ مِنْهُ وَوَثَبَ قَائِمًا عَنْهُ وَقَالَ لَهُ: (تَنْحَ عَنِّي) خوفاً من لسانه،
ففارقته.

وكتب رجل من اللأطة لأبي نؤاس شعراً، وهو أمرد، يستعطفه به.
فكتب إليه أبو نؤاس يجيبه:

إِنَّ أَمْتَدَاخَكَ لَنِي بِلَا وَرَقٍ مِثْلَ الْجِدَارِ بَنَى عَلَى جِصٍّ
خَيْرٌ لِعَمْرِكَ مِنْ مَدِيحِكَ فِي سَوْدِ النِّعَالِ وَلَيْنَ الْقُمْصِ
فَدَعِ الْمَدِيحَ وَاهْدِ فِي وَرَقًا فَإِذَا فَعَلْتَ فَلَسْتُ اسْتَعْصِي

(٢٤) ج: دِينًا.

(٢٥) المفلق: الحاذق.

وَذَكَرَ أَنَّ مُصْعَبًا كَتَبَ إِلَى غَلامٍ يَحِبُّهُ :

يا حَسَنًا وَجْهَهُ وَمُثَرَّةً وَمَنْ يَرُوقُ لِلْعَيُونِ مَنْظَرُهُ
زَيْنًا لَتَحْيَا بِكَ النَفُوسُ فَمَا يَطِيبُ عَيْشَ وَلَسْتُ تَحْضُرُهُ
فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْغَلامُ يَقُولُ :

دَغْنِي مِنَ الْمَدْحِ وَالْهَجَاءِ وَمَا أَصْبَحْتَ تَطْوِيهِ وَتَنْفُثُهُ
وَاهِدٌ لِي إِنْ أَرَدْتَنِي وَرَقًّا فَذَاكَ شَيْءٌ يَطِيبُ مَخْبَرُهُ
لَوْ وَضِعَ الدَّرْهَمُ الصَّحِيحُ عَلَى الْفُولَانِ عِنْدِي لَذَابَ أَكْثَرُهُ

وَذَكَرَ عَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّهُ كَتَبَ إِلَى غَلامٍ يَحِبُّهُ يَعْاقِبُهُ فِي تَأْيِيهِ^(٣٦) عَلَيْهِ
وَهَجَرَهُ إِيَّاهُ :

- شعر -

يا حَبِيبًا إِلَى الْقُلُوبِ وَيَا مَنْ هُوَ مَنِّي بِمَا أَكَاثِمُ عَالَمُ
لَيْتَ شَعْرِي كَمْ اسْتَمِيلُكَ بِالصَّبْرِ عَلَى الْهَجْرِ مِنْكَ مَعَ مَا أَكَاثِمُ
وَلِعَمْرِي لَقَدْ تَمَلَّادَى إِلَى الْعَلَفِ بِيَاءَ الْآوُكِ^(٣٧) الْكَرَامِ الْخُضَارُمُ
فَاثْنَلْنِي الْوَصَالَ مِنْكَ، فَمَا الصَّدَّ مِنْ فَعْلٍ أَهْلُ الْمَكَارِمِ
فَأَجَابَهُ الْغَلامُ :

أَنْتَ تَبْغِي شَيْئًا، وَتَاتِيهِ مِنْ بـ أَبِ سَوَى بَابِهِ، كَأَنَّكَ نَائِمُ
حِينَ تَبْغِي وَصَالَنَا بِمَدِيحٍ فِيهِ نُعْزِي إِلَى الْغُلَى وَالْمَكَارِمِ
وَلَأَجِدِي مِنَ الْمَدَائِحِ نَفْعًا وَاضْحَاتِ مِثْلَ النُّجُومِ الْعَوَائِمِ
فَاسْتَمْلَنِي بِهَا تَجِدْنِي مَطِيعًا مَا اسْتَمَالَ النُّفُوسَ مِثْلَ الدَّرَاهِمِ

وَاللَّيْلُ يَنْدُبُ زَمَانَ صَبَاهُ :

- شعر -

سَقَى اللَّهُ أَيَّامَ الصَّبَا وَعَصَابَةَ مِنَ الْمُرْدِ نَلْهَوْ كُلَّ يَوْمٍ وَنَقْصَفُ
زَمَانَ لَنَا فِي كُلِّ لَحْظٍ إِشَارَةٌ وَمِنْ كُلِّ قَلْبٍ رَقَّةٌ وَتَحْطَفُ

(٣٦) تَأْيِي: امْتَنَعَ.

(٣٧) الْآوُكُ: النَّعْمُ.

وكَلَّ الوري في فتنة من لحاظنا [وانفسهم من شدة الوجد تتلف
فلما التحينا اعرضوا عن وصالنا]^(٣٨) فصرنا لهم من شهوة النيك ننتف

وهذه حكاية غريبة تشتمل على دعاء ظريف رايتُ أن أختم به هذا
الباب:

كان قاض يعظ فأقبل إليه جماعة من المزد للوقوف على حلقة، فلما
رأهم مقبلين قال: (يا قوم آمنوا)^(٣٩) على دعائي فإن العدو قد كثر). وقال:

(اللهم امنحنا اكتافهم، اللهم كبهم)^(٤٠) على وجوههم، وولنا
أديارهم)^(٤١)، وأرنا عوراتهم، وسلط رماحنا)^(٤٢) عليهم).

والناس يؤمنون على دعائه، ولا يدرون ما عنى بدعائه، لأنه عندهم
يدعو على المشركين.

(٣٨) ما بين القوسين ساقط من أ، وهو في ب، ج.

(٣٩) آمن: قال أمين.

(٤٠) كبهم: أكلهم.

(٤١) أديارهم: مؤخراتهم.

(٤٢) التورية واضحة هنا، فذكر الرجل هو: رُمِيحه (لسان العرب).



الباب الثامن

في نوادر أخبار اللاطة
ومُلح أشعارهم



قد ذكرنا جُملةً من اخبار الرّناة واشعارهم بذكر اسمائهم، مع شرط الاختصار والاقْتصار على مُلَحّ الاشعار والاخبار. فأمّا هذا الباب فاعلم أنّ جمهور الادب ومعظم ذوي الرتب منسوبون اليه، ولذلك خشينا أن نُصرّح بأسمائهم فيه خوفاً من التنديد^(١) عليهم. على أن منهم مَنْ كان يذهب فيه مذهب التّظرف والعشق الروحانيّ، لا البهيمي، ويجعله رياضةً للنفس وتهذيباً للاخلاق وشحذاً للفكر وجلاءً للبصيرة والبصر، مع التّنزّه عمّا رآه العامة من الفجّر.

* * *

فمنهم ابو حاتم السّجستانيّ.

ثبّت عنه أنّه كان من أفضل أهل زمانه علماً وورعاً، وأنّه بلغ من ورعه وفضله أنّه كان يتصدّق كلّ يوم بدينار ويختم القرآن في كلّ أسبوع، ومع ذلك فكان اطرف أهل زمانه واطيبهم خلوةً وأكثرهم فكاهةً. وكان مولعاً بالغلمان يذهب فيهم مذهب الاستمتاع بالنظر لا قضاء الوطر. ويُذكر أنّ المُبرّد كان يحضر حلقة يقرأ عليه، وكان المُبرّد من أجمل أهل زمانه، فقال فيه أبو حاتم:

(١) التنديد: التصريح بالعيوب.

- شعر -

ماذا لقيت اليوم من
وقف الجمال بوجهه
حركاته وسكونه
فإذا خلوت بمثله
لم أعد أفعال العفاف
نفسى فداؤك يا أبا العـ
فارجم أخاك فإنه
وانله ما دون الحرام

مستحسن^(١) خنت الكلام
فسمت له حديق الأنام
يجنى بها ثمر الأثام
وعزمت فيه على اعتزام
وذاك أوكد للغرام
جاس حل بك اعتصامي^(٢)
نزر الكرى بادي السقام
فليس يطمع في الحرام

وذكر أن أبا العباس بن سريج الشافعي وأبا بكر بن داود العباسي
اجتمعا في مجلس الوزير أبي الحسن علي بن عيسى الجراح، فتناظرا في
الإيلاء^(٣). فقال ابن سريج لأبي بكر: (أنت بقولك «من كثرت لحظاته دامت
حسراته» أبصر منك بالكلام في الإيلاء)، فقال أبو بكر: لأن قلت ذلك فإني
أنشدت:

انزّه في روض المحاسن مقلتي
واحمل من ثقل الهوى ما لوأته
وينطق طرقي عن مترجم خاطري
رايت الهوى دعوى من الناس كلهم

وامنع نفسي أن تنال محرما
يصب على الصخر الأصم تهذما
فلولا احتلامي ربه، لتكلما
فلسن أرى حيا، صحيحا، مسلما

فقال أبو العباس: لم تفتخر علي، ولو شئت لقلت^(٤):

ومطاعم لي الشهد من نغماته
قد بث أمنعه لذيذ سناته

(٢) ١: مستحسن.

ب، ج: مستطلع.

(٣) ١، ب، ج: اعتصام.

(٤) الإيلاء (في اللغة): الإمتناع باليمين.

(في الشرع): الإمتناع باليمين عن وطء الزوجة.

(٥) ترد الأبيات في نسخة ج هكذا:

ومطعم لي الشهد من نغماته
أهلو لصدق حديثه وكلامه
حتى إذا ما الصبح لاح عموده

قمر جفا جفني لذيذ سناته
وأكرر اللحظات في وجناته
ولم يخاتم ربه وبرائه

صَبَأَ يَحَنُّ حَدِيثَهُ وَكَلَامَهُ وَاكْزَرَ اللَّحْظَاتِ فِي وَجَنَاتِهِ
حَتَّى إِذَا مَا الصَّبِيحُ لَاحَ عَمُودُهُ وَلَّى بِخَاتَمِ رِيَّةٍ وَبِرَاتِهِ^(١)

فقال أبو بكر: (أصلح الله الوزير، يحفظ عليه قوله حتى يقيم شاهدين عدلين أنه: وَلَّى بِخَاتَمِ رِيَّةٍ وَبِرَاتِهِ)، فقال أبو العباس: (يلزمني في هذا ما يلزمك في قولك: أَنْزَهَ في روض المحاسن مقلتي)، فضحك الوزير وقال: (لقد جمعتما ظرفاً ولطفاً وفهماً وعلماً).

قال مؤلف الكتاب:

فهكذا ينبغي أن يكون الناس مثل هؤلاء الأذكاء الظرفاء، لا كمثل الأخلاف الأجلاف.

وحَدَّثَنِي بعض الفضلاء من أهل الأدب في هذا العصر، قال:

أخبرني رجل كان يخدم إماماً من أئمة العلم والفضل والدين ببغداد، قال: كنت يوماً سائراً خلفه حتى لقي غلاماً حسن الصورة، بارع الجمال، فلَحَظَهُ ثم التفت إليّ فقال: (كم معك من نفقتنا؟)، فقلتُ له: (ثمانية دنانير)، فقال: (إدفعها لهذا الغلام والحقني به في الدار)، ففعلتُ ووافيته بالغلام فأدخلته وهو جالس في صدر الأيوان، فلما رآه مقبلاً استدعاني ثم قال لي: (ويحك، أخرجْه عني، واتركْ له ما أخذَ)، فأخرجته ثم عدتُ إليه فسألته عن السبب في ذلك فقال: (رأيتُ صورته الحسنة فارتاحت نفسي لمحاسنه والأنس به والاستمتاع بالنظر إلى حرَمَاتِ وجهه ومحاسنه، ورياضة النفس بمشاهدته ومفاكهته. فلما دخل عليّ رأيتُ شَعْرَهُ منتفشاً على أذنيه، وسمعتُ في نعله حسَّ مسامير، فقلتُ: (هذا جِلْفٌ عامي، تؤلم قلبي معاشرته، ولا تفي راحة نظري منه بلذة صيري معه، فصرفتُ).

(١) خاتم رِيَّةٍ: بكارته. براته: براعته.

قال رجل:

رأيتُ شُريحاً القاضي يجول في بعض الطرق فقلت: (ما عدا^(٧) بك؟)،
فقال: (عسيبتُ أنْ أنظر صورةً حسنة).

فأما ما عدا هذه الطبقة، ممَّن يجري في هذا الباب مجرى ممَّن ذكرناه
من الرِّثَاة، فإنَّنا نذكر منهم من اشتهر بهذا الفنِّ وأكثر منه حتى عُرف به
فلم ينكزُ نسبه إليه، أو نذكر مُلَحَّ الحكايات الواقعة لمن اشتهر بذلك دون
أنْ نذكر إسمه، صيانةً لذكره من الابتذال:

قال بعضُ النخَّاسين:

كان أبو نؤاس يوماً قاعداً عندنا في سوق الرقيق ونحن نعرض
الجواري، فاشترينا عدَّةً وبعنا عدَّةً، وكُنَّ حسان المنظر كواعب، أحداق
العيون منهن سود، فقلتُ له: (يا أبا عليٍّ جُعِلْتُ فداك، تترك مثل هؤلاء
وترهد فيهنَّ وترغب في الغلمان؟)، فقال:

مَنْ كان تعجبه الأنثى ويعجبها	من الرجال، فإني شقني نكزُ
فوق الخماسي ^(٨) لما طرَّ شاريه	خصَّ ^(٩) النبات خلا من جلده الشَّعرُ
لم يخفٍ من كِبَرٍ عمَّا يُراد به	من الامور، ولا أرى به الصَّغرُ

وأنشد بعضهم:

الا يا عاشق النسوان جهلاً	رضيتَ بأنْ تكون ابا البعول
اترضى عن هوى مَنْ ليس ترضى	على ضيقِ الهوى، الفى خليل؟

(٧) عدا: أحضر.

(٨) الخماسي: الغلام الذي يبلغ طوله خمسة اشبار، وهو دون المرامق.

(٩) الخصَّ: ذهاب الشعر. وربما كانت الجملة هنا [خصَّ الثياب] كاحتمال ضعيف.

ولأبي نؤاس مثله:

لا اركب البحر ولكنتني اطلب رزق الله في الساحل

وله:

ولائمة تلوم على هوائي
الاختار البحر على البراري
دعيني لا تلوميني فإني
بذا اوصى كتاب الله فينا
لامرء اجرد مثل المهة
وحيثاناً على ظبي الفلاة؟
على ما تكرهين إلى الممات
بتفضيل البنين على البنات

وله:

ولست براكب للبحر حتى
ولا والله اركبه حراماً
فما نكح القحاب فتى كريم
سوى سفل واشرار رذال
ايزني من له أم واخت؟
الا قبح الزناة الله ربي
واسكن في جنان الخلد قوماً
وتاتي المرء في الافخاذ منهم
زواة يوسف وابو عبيد
وحدثنا به التيمي ايضاً
أوسد بين اطباق التراب
ولا حلاً إلى يوم الحساب
ولا كهل تعصى بالخطاب
وعند العجز مكسور النصاب
الا هذا من العجب العجائب
وردهم إلى شر المآب
راوا ترك الزناء من الصواب
فهذا اللغو ليس بذي ارباب
وشيخ القوم والبئة الخباب^(١)
واخبرنا به عمرو بن ذاب

ومن بديع شعر أبي نؤاس وجيده وصحيحه في هذا الباب، وهو:

كان ثيابه اطلع
يزيدك وجهه حسناً
بعين خالط التفتير
من اجفانها الحورا
من من ازراره قمراً
إذا ما زدته نظراً

(١٠) ١. ب: زيد بن الحباب. ج: والبئة الحباب.

وله:

الحمد لله، ليس لي مثل
مائي مدامي ونفلي القبل
حتى إذا ما عيونهم هدأت
وحان نومي، فمفرشي كفل^(١١)

وله:

غنيت عن الكواعب بالغلام
وعن سبل الرشاد بسبل غي
وعن شرب الموق بالمدام
قطعت مقاودي وركبت رأسي
وعن طلب التحلل بالحرام
هويت لشقوتي ظنيا غريرا
وامكنت الجسارة من زمامي
كان جبينه قمر تلالا
رخيم الدل ممشوق القوام
غداة الدجن^(١٢) من خلل الغمام
وعن لعب الديوك مع الحمام
غنى عن لعب شطرنج ونرد
وركض الخيل في طلب النعام
وليس الطيلسان من الأثام
اشبهها لجهلي بالغلام
وتنتج طفلة في كل عام
يزينك في النعوت وفي المقام
بلا خوف المؤذن والإمام
تكلمه بما تهوى جهارا

ولغيره:

إذا لأم على الفرد
ولا والله، لا والله
نصيح زادني حزنا
لا اقلع أو أخصي

ولحمد بن هانيء المغربي:

لا تلجنني يا عاذلي^(١٣) أنسي
لكفني اصبر إلى شادن
لم تضبني هند ولا زينب
فيه خصال ثلاثة ترغب

(١١) الكفل: العجز أو الردف.

(١٢) الدجن: الظلام. والغداة: البكرة، أو ما بين صلاة الفجر وطلوع الشمس.

(١٣) أ. ب: يا عذولي. ج: يا عذول. وقد حوَرناها لتقويم الوزن.

لا يرهب الطمئ ولا يشتكي الـ خَفَلْ ولا عن ناظري يُحجبُ

كان لاسماعيل بن ينحب خادم مليح، وكان أبو نؤاس عنده يوماً، فقام إلى المُستراح^(١٤) فوضع له الخادم ماءً فقبله أبو نؤاس خلسةً فمحاها بيده، فقال:

يا ماسخ القبلة من خذَه من بعد ما قد كان اعطاها
خشيت أن يعرف آثارها مولك في الخدْ ويقراها
ولو علمنا أنه هكذا يا امليح الناس، محوناها

وحدث علي بن الحسين الراسبي، قال:

دخل أبو نؤاس إلى صديق له، وأنا معه، فشربنا عنده. وكان لصديقه غلام يسمى: بدر، حسن الوجه، وكان يسقينا ويخدمنا. فأبطأ في شيء فشتمه مولاه، فقال أبو نؤاس:

أيها الخادم الذي لَو في الامـ رُ لكان المملِك المخدوما
ألم القلب والجوارح متني ان اراك المهان والمشتوما

ثم استأذن مولاه في ممازحته فأذن له، وقال: (قل ما شئت فإنه صلفٌ مستصعب)، فقال: (سأروضه لك)، ثم قال:

تتبه علينا أن رزقت ملاحه وحسنأ، فهلا بعض تبهك يا بدر
فقد طالما كنا ملاحاً، فطالما صددنا وتهنا، ثم غيّرنا الدهر
فكم من صديق قد ترهّرت تحته فاعجبه مني الترهّز والعصر
فطبت له نفساً بما لا يضرتني وبادرت إمكاني فعاد له شكر

ثم قال لمولاه: (قد، واللّه، أصلحتك لك باقية الدهر)^(١٥).

(١٤) المستراح: بيت الخلاه.

(١٥) في ج حكاية اضافية تنفرد بها المخطوطة تلي هذه الحكاية:

[وحكي أن عناناً، جارية الناطفي، كانت تحب غلاماً من اولاد التجار وتعرض له فلا يلتفت اليها، وتراسله فلا يجيبها، فأضربت عن ذكره. ثم اجتازت به مدة، وقد التحى، ففش اليها وتعرض لها فلم تكلمه ومضت الى منزلها وكتبت له:

قال المنصور لوالية بن الحباب: (إدخُلْ إلى المهديّ فجالسْهُ وحادثْهُ)،
فدخُلْ إليه، فكان أوّل ما أنشده:

قولا لعفرو لا تكن ناسيا وسقني، لا تحبّس كاسيا
وقلّ لساقينا على خلوة ادنْ كذا رأسك من راسيا
ونمّ على وجهك لي ساعة إني امرؤ انكح جلاسيا

فبلغ المنصور، فقال: (لا تعيدوه إليه، اردنا أن يصلحه فإذا هو
يفسده).

قال أبو هفان:

فحدّثتُ الحُسين بن الضحّاك بهذا الحديث، فحدّثني أنّ
إسماعيل بن صبيح^(١٦) قال لأبي نؤاس: (يا أبا عليّ، إدخُلْ لابنك
محمّد بن اسماعيل، فحدّثْهُ وأنشده)، فدخُلْ عليه، فكان أوّل ما أنشده
شعراً شيطانياً.

(قال):

فبلغ ذلك إسماعيلَ فلغّنه، فقال: (يا أبا عليّ، سبحان الله! بمثل هذا
يُشاهد الأحداث!)، قال: (كذا رزقَ ابنك على لساني).

حكى الجَمّاز، قال:

كنتُ يوماً على باب عدي الدّرّاع فمرّ بي أبو نؤاس شبيهاً بالمجنون،
وإذا خلفه غلام كأنه مُهر عربيّ، فقلتُ: ماله^(١٧)؟، فقال:

إن الرزّة، لا رزّة مثلها عورُ المكان وقد تهيّا المطرب^(١٨)

= هلا وانت بماء وجهك تشتتي روذ الشباب وانت ممنوح الصفا
فالان لملك الزمان بلحية ما كن أحوجها إل ان تُنظفا
قد كنت وجهاً مقبلاً ومولياً فالان وجهك، حيث يرت به فلان

(١٦) أ: بن صلح. ب: بن اصبح. ج: بن صبح.

(١٧) ب، ج: فقلت له مالك يا أبا نؤاس.

(١٨) هامش في [الأمرد] ولعله توضيح لقصد أبي نؤاس بقوله (المطرب) من قبل الناسخ.

فقلت: (هَيَّا^(١٩) إِلَيَّ، والجدرُ عليّ)، فقال: (لا اجمعهما عليكُ وحسبي المنزل)، فعدلتُ بهما، فأقاما عندي يومهما.

ولما زار أبو نؤاس الخصيبَ بمصر، اجتاز على حمص وبها علي بن عنان الملقَّب بديك الجنِّ، الشاعر، قاطناً. (قال) فسمعتُ به فأُحْبِيتُ أَنْ أَحْضِيَ بِإِنْزَالِهِ، فعمدتُ نحو خانٍ ذُكر لي أَنَّ الرِفْقَةَ التي هوفيها نزلتْ به، ومعِي ولد لي حَسَنُ الصَّوْرَةِ، مَراهِقُ للبلوغ. فدخلتُ الخان فإذا برجل نظيف الهيئَةِ، حَسَنُ الشِّمَائِلِ، على درج الخان جالِساً يَسْتَاكُ^(٢٠)، فقلتُ له: (يا معلِّم، جاء أبو نؤاس؟)، فقال: (نعم)، قلتُ: (فأين نزل؟)، قال: (ما تعطي لمن يَدُلُّكَ عليه؟)، قلتُ: (مهما أراد)، فقال: (قبلة من هذا الرِّشَاءِ)، فقلتُ: (إِنَّكَ اللَّهُ فَإِنَّهُ وَلَدِي، وَأَظُنُّكَ وَاللَّهِ هُوَ)، فتابَسَّمْ ثم قال: (وإذا كان؟)، هذا^(٢١) آدم عند الله أفضل منك وأبناؤه يُفْتَكُونُ وَيُنَاكُونُ).

(قال):

فحملتُ رَحْلَهُ، ولم ازل معه في فكاكةٍ مَدَّةَ مقامه بحمص وشيعتُهُ^(٢٢) مراحل.

وقال الجَمَّانُ:

سمعتُ أبا نؤاس يقول: (اشتَهي شيئاً لا أجده في دنيا ولا آخرة)، قلتُ: (ويحك، في الجنَّة ما تشتهيهِ الأنفس ويلدُّ الأعينُ)، قال: (هو ما أقول لك، اشتَهي غلاماً حلالاً)، قلتُ: (لن تفلحَ واللَّهِ أبداً).

(١٩) ١: هَيَّا/ في (ديوان ديك الجن - تحقيق مظهر الحجي - سوريا ١٩٨٧)، هو: عبد السلام بن رغبان.

(٢٠) يستاك: يَدُلُّكَ اسنانُه بالسواك.

(٢١) ١: ماذا. ب، ج: هذا.

(٢٢) شيع: خرج معه ليوذعه.

قال مؤلف الكتاب :

وعلى ذِكْر هذه الحكاية ، حَدَّثني بعض ظرفاء هذا العصر ، قال : كان لي صديق صوفي بدمشق في مدة الملك المعظم ، قدس الله روحه ، متعفف . فكان يقول لي : (اشتهدني من الله لو بعث إلي هذا الملك المهاب المروء السطوة فيحضرني بين يديه ويحضر السيف والنطع^(٢٢) وغلماً بارع الحسن وقنينة نبيد ، ويقسم علي يميناً لا يمكنه الانفكاك عنها : «إن لم تشرب هذه ، وتفتك بهذا ، لأضربن عنقك» . فأبلغ غرضي منهما ولا وِزْد علي) . ولعمري إن هذه الحيلة لم يهتد لها أبو نؤاس^(٢٣) .

كان يحيى بن اكثم يقول : (قد أكرم الله أهل الجنة بأن أطاف عليهم الولدان ، ففضلهم في الخدمة على الجواري ، فما الذي يخرجني عاجلاً عن هذه الكرامة المخصوص بها أهل الزلفى^(٢٤) لديه؟)^(٢٥) .

وقال بعضهم : (لو لم يكن للمرد فضيلة إلا أن الله ، سبحانه ، جعل ملائكته مُرداً وأهل الجنة مُرداً) .

وقال آخر : (الحمد لله الذي طهرنا من النساء ، ولم يجعل من نسلنا البعولة ، ولم يجعلنا ممن ينفر منه الاخوان ويسخر منه الجيران ، وعجل لنا في الدنيا الولدان) .

(٢٢) النطع : بساط من الجلد يُفرش تحت المحكوم عليه بقطع الرأس .
(٢٤) تعليق للناسخ في ١ : [أقول : هي حيلة في الوهن كبيت العنكبوت ، وذلك أن نفي الإثم منوط بتحقيق الإكراه ، وهو يقول اشتهدني من الله كذا ، فلا إكراه إلا في الصورة ، ولا تجدي شيئاً عند الله] .
(٢٥) الزلفى : القريب ، المنزلة .
(٢٦) تعليق آخر للناسخ في ١ : [والدار على ما ينفع عنده . اللهم اجرنا من تسويل الشيطان لنا قبائح الاعمال ، واجرنا من منكرات الاحوال بمنك] . وربما كان هذا التعليق استكمالاً للتعليق السابق .

وقالوا: (الغلام هو الرقيق في السفر، والصديق في الحَضَر^(٢٧))، والمعين على الشغل، والنديم عند الشرب، وهو سبب الأنس).

وكان أبو نؤاس يقول: (تزودوا من لذّة لا توجد في الجنّة)، يريد نيك المرء.

وكان الجَمَّاز يقول: (مُواجِرٌ في محلّةٍ خيرٌ من حوضٍ سبيلٍ فيها).

قال الجاحظ:

كان عبد العزيز ذا مال، وكان إذا جاء وقت الزكاة اتاه القوّاد بغلام^(٢٨) فقال له: (يا بُنَي، ألك أخوات؟ ألك خالات؟ ألك عمّات؟)، فيقول: (نعم)، فيقول: (خذْ) هذه العشرة دراهم، أو خذْ هذا الدينار، من زكاة مالي فأوصله اليهم. ثم إن شئت أن تتركني أنيك على جهة المكارمة فافعل، وإن شئت أن تنصرف فانصرف)، يقول ذلك وهو واثق بأن الغلام يُمكنه من نفسه، فعرف أن ليس له زكاة إلّا على أمّهات المُواجرين وخالاتهم.

وحدّث السّهروردي، قال:

ظهرتُ بقزوين حُمْرَةً في السماء وريح عاصف، فتغادى^(٢٩) الناس إلى المساجد للصلاة والدعاء. فدخلتُ مسجداً خالياً، فإذا أنا برجل على ظهر غلام، فقلتُ: (ويحك، قمّ قامت القيامة)، فقال لي بلسانٍ مُنكرٍ: (أترى إنّ قمّتْ قعدَ زمْنِ القيامة؟)، وما زال في شغله حتى فرغ.

(٢٧) الحضر: القرب.

(٢٨) ١: قال له.

(٢٩) تغادى: انطلق.

ودخل بعض المؤذنين مسجده، فإذا هو بشيخ على ظهر غلام، فصاح به وقال: (يا عدوّ الله، ما وجدت موضعاً تفسق فيه غير بيت الله؟)، فقال الشيخ: (أوجدني موضعاً على ظهر الأرض ليس هو لله تعالى حتى أعمل فيه هذا العمل)، فانقطع المؤذن وخرج حتى فرغ الشيخ من شغله.

ووجد رجل من الغزاة على ظهر علج^(٣٠) من علوج الروم، فقيل له: (اتفعل هذا وانت غاف؟)، فقال: (اليس يقول الله تعالى: (ولا يطأون موطناً يغيظ الكفار ولا ينالون من عدوّ نيلاً إلا كتب لهم به عمل صالح)^(٣١) وأي غيظ هو أكبر من هذا؟).

ودخل أبو نؤاس بعض الخرابات فرأى شيخاً قد علا غلاماً، فقال له أبو نؤاس: (ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون)^(٣٢). فقال الشيخ: (وجدنا آبائنا كذلك يفعلون)^(٣٣). فقال أبو نؤاس: (نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا)^(٣٤). قال الشيخ: (فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير)^(٣٥). فقال الغلام من تحته: (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون)^(٣٦). فقال أبو نؤاس: (هذا ما لديّ عتيد)^(٣٧).

(٣٠) العلج: الرجل الضخم القوي من كفّار العجم، وبعضهم يطلقه على الكافر عموماً.

(٣١) سورة التوبة، آية ١٢٠.

(٣٢) سورة الأنبياء، آية ٥٢.

(٣٣) سورة الشعراء، آية ٧٤، وفي ١: إنّنا وجدنا.

(٣٤) سورة المائدة، آية ١١٢.

(٣٥) سورة الحج، آية ٢٨.

(٣٦) سورة آل عمران، آية ٩٢.

(٣٧) سورة ق، آية ٢٢، وهامش للناسخ في ١: [قاموس - العتيد: الحاضر المهيأ].

سأل^(٢٨) فقيه، من أهل هذا العصر بالأندلس بمدينة أشبيلية، غلاماً فأدخله دهليز الدار فناكه، ثم دخل الدار ليخرج له صرقاً^(٢٩). فدخل ولده فوجد الغلام في الدهليز فناكه. فخرج الشيخ وهو عليه، فقال: (أخطأت يا مدير. قال الله عز وجل: «ولا تنكحوا ما نكح آبؤكم»^(٣٠))، فقال له، وهو على ظهره: ((من النساء)^(٣١) يا شيخ السوء).

قال الأخفش:

مرّبي مُدْرِكُ الشّاعر ومعه غلام آخر، فدعوته الى الذي معي، فقال:
إدْعُ غَيْرِي إِلَى عِبَادَةِ رَاسِيْنِ فَأَنِّي بِوَاحِدٍ مَشْغُولُ

قال:

وبعث اليه صديق له غلاماً حسن الوجه، ليس له بَدَن، فكتب اليه:
ظَبْيُكَ هَذَا حَسَنٌ وَجْهُهُ وما سوى ذلك جميعاً يُعَابُ
فأفهم كلامي يا ابا مالك لا يشبه العنوان ما في الكتاب

وقيل لأبي نؤاس: (لَمْ تدفع إلى الغلام درهمين وإلى الخصى درهماً واحداً؟)، فقال: (لأنّ مع الغلام بيدقين وسط الرقعة يدفع بهما الشاة).

وقال العباس^(٣٢) بن رستم: (الغلامُ إستِطَاعَةُ الْمُعْتَزَلَةِ^(٣٣))، لأنّ

(٢٨) (سأل) هنا بمعنى: استدعى.

(٢٩) صرقاً: نقوداً.

(٤٠) سورة النساء - آية ٢٢.

(٤١) إكمال للآية السابقة: سورة النساء ٢٢.

(٤٢) ١: للعباس.

(٤٣) المعتزلة: فئة اسلامية قدرية تجحد القدر. فيقول اصحابها إن كلّ انسان خالق لفعله، متمكّن من عمله أو تركه بآرادته.

الاستطاعة تصلح للشيثين، والمرأة استطاعةُ المُجَبَّرَةِ^(٤٤)، لأنها لا تصلح إلا لشيء واحد).

وقال بعضُ الرّناة للوطي يعرض به ويكايد: (أرايت أنّ رجلاً اشترى جاريةً وغلماً، على أنّ جميعهم ملكه، أيهما كان للجماع حلالاً؟)، قال اللوطي: (كلاهما واحد، إلا أنّ الجارية تُسْتَبْرَأُ^(٤٥) بالحیضة والغلام لا يُسْتَبْرَأُ، وهذه فضيلة).

وجد شيخ مع صبيّ في درب يفعل به، فقليل له: (يا شيخ، ما تستحي وأنت رجلٌ كبير وعاقِل؟ لم لا تحصن^(٤٦) نفسك؟)، فأخرج من فيه قطعة فيها قِراط^(٤٧)، فقال: (والله ما أملك غير هذا، وقد رضي به هذا الصبيّ. فهل فيكم من يزوّجني بها حتى أتحصن كما تقولون؟)، فانصرفوا وتركوه.

وجد شيخ مع غلام فرّقعاً إلى الوالي، فلما مثلاً بين يديه بدّر الشيخ فقال: (سلامٌ عليكم، أمّا أنا فلا أعود، ولكن أحسن أدب هذا الصبيّ)، وولى. فضحك منه الوالي ومن حضره وخلاً سبيلهم.

قال بعضهم:

دخلت الحمّام فإذا فيه غلام مليح رشيق القدّ، فقلت: (كلّما رقّ القصبُ كان أحلّ)، قال الغلام: (إكسر وكُلّ)، فأدخلته البيت الحارّ، فلما

(٤٤) المجبرة (الجبرية): وهي فرقة إسلامية تقول بالجبر، أي الإنسان لا قدرة له على أن يفعل الشيء أو يتركه بإرادته، بل هو مجبر على أحد الأمرين.

(٤٥) الاستبراء: أن يشتري الرجل جاريةً، فلا يطؤها حتى تحيض عنده حيضةً ثم تطهر.

(٤٦) حصن (الرجل): تنزّج.

(٤٧) القِراط: ربع سدّس الدينار، وقيل نصف عُشر الدينار.

استويث عليه إذا بشيخ قد دخل فقال: (يا عدو الله، كيف تورق الأشجار؟ كيف تحمل الثمار؟ كيف يرضى الجبار؟)، ثم قال: (يا غلام، ردّ عليه ما أخذت منه)، فردّ عليّ القطع^(٤٨) وخرجت، فلبث في البيت الحارّ نصف ساعة. ثم افتقدت الصبي فلم أره ولا الشيخ، فدخلت إلى البيت الحارّ فإذا بالشيخ على ظهر الغلام، فقلت: (يا شيخ، كيف تورق الأشجار؟ كيف تحمل الثمار؟ كيف يرضى الجبار؟)، فرفع رأسه إليّ وهو على الغلام وقال: (يا عدو الله، أنت تعمل عمل قوم لوط، وأنا أعمل عمل أهل السنة).

ن لمسلم الأصغر: (ما لذة العيش؟)، قال: (طبيخ أغبر، وشراب وغلّام أخور)، فقليل له: (لِمَ فضّلت الغلام على الجارية؟)، قال: في السّفر صاحب، ومع الأخوان نديم، وفي الخلوة أهل).

سئل ابنُ شبيبة عن مؤاجر، فقال: (باطنه فيه الرحمة^(٤٩) وظاهره من بيّله العذاب^(٥٠)).

وجاء قوَاد بمؤاجر إلى لوطي، وكان قد التحى، فقال له اللّوطي: (كم جدّره؟)، فقال: (كان في العام الماضي مائة درهم)، فقال: (إنّما سألتك عن هذه السنة لا عن العام الماضي، فقد كانت جدّتي مهرها عشرة آلاف درهم، ثم نُقلت إلى المقابر، لمّا ماتت، بعشرين درهم. وموت هذا طلوع لحيته).

وخرج لوطي إلى السوق ومعه درهمان يشتري بهما نقلاً^(٥١) وفاكهة

(٤٨) القطع: الدراهم.

(٤٩) فيه الرحمة: ساقطة من أ.

(٥٠) سورة الحديد - آية ١٣.

(٥١) النّقل: ما يُنقل به على الشراب، من فسق وتفاخ ونحوهما.

يَقْدَمُهُمَا إِلَى قَوْمٍ عِنْدَهُ، فَاسْتَقْبَلَ غُلَاماً فَغَمَزَهُ وَأَعْطَاهُ دَرهماً فَلَمْ يَجِبْهُ،
وَسَأَلَهُ أَنْ يَفْعَلَ وَعَرَّفَهُ أَنْ لَيْسَ مَعَهُ إِلَّا دَرهماً وَعِنْدَهُ قَوْمٌ يَرِيدُ أَنْ يَشْتَرِيَ
لَهُمْ بِدَرهمٍ نَقْلاً، فَأَبَى عَلَيْهِ وَتَصَعَّبَ، فَأَعْطَاهُ الدَرهمَيْنِ. فَلَمَّا تَمَكَّنَ مِنْهُ
رَافَعَهُ وَسَدَّ مَجَارِيَ أَنْفَاسِهِ، فَصَاحَ الْغُلَامُ: (الموت! الموت!)، فَقَالَ
اللوْطِيُّ: (يَا ابْنَ الْفَاعِلَةِ، لَوْ أَرَدْتَ الْحَيَاةَ لَأَقْتَصَرْتَ عَلَى دَرهمٍ وَاحِدٍ).

وَدَخَلَ لَوْطِيُّ حَمَّاماً فَوَجَدَ وَاحِداً فَوْقَ غُلَامٍ، فَسَلَّمَ فَلَمْ يُرِدْ عَلَيْهِ
السَّلَامَ، فَقَالَ: (سُبْحَانَ اللَّهِ، قَوْمٌ عَلَى مَائِدَةٍ يَأْكُلُونَ، نَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ، لَا
يَرُدُّونَ عَلَيْنَا السَّلَامَ)، فَقَالَ الرَّاكِبُ: (يَا عَبْدَ اللَّهِ، هَذِهِ مَائِدَةٌ لَا يَأْكُلُ
عَلَيْهَا أَكْثَرُ مِنْ وَاحِدٍ، فَارْفُقْ وَاصْبِرْ حَتَّى يَخْلُوكَ الْمَكَانَ).

وقال بعضهم:

مَرَرْتُ بِلَوْطِي يُضْرِبُ غُلَامَهُ ضَرْباً عَنيفاً، فَقُلْتُ لَهُ: (عَافَاكَ اللَّهُ، مَا هَذَا
الضَّرْبَ الْعَنِيفَ؟)، قَالَ: (دَعْنِي، فَلَيْسَ قَلْبُهُ فِي عَمَلِهِ، ابْنُ الْفَاعِلَةِ. أَنَا مَعَهُ
الْبَارِحَةُ طَوِيلَ لَيْلَتِي فِي عَذَابٍ قَدْ أَشْهَرُ لِي. مَا زِلْتُ أَنْيَكُهُ وَأَيِّرُهُ قَائِمٌ، الْوَقْحُ
الْصَلْبُ الْوَجْهَ).

وَسَأَلَ لَوْطِي مَدَبَّرَ غُلَاماً، وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ قِطْعَةٌ وَلَا فِي يَدِهِ شَيْءٌ يَعْطِيهِ، وَلَا
فِي بَيْتِهِ فَأَعْطَاهُ مَقْدَحَةً زَنَابٍ، وَكَانَتْ هُنَاكَ، فَقَنَعَ بِهَا الْغُلَامَ وَقَضَى حَاجَتَهُ
وَقَامَ لِيُخْرِجَ، فَقَالَ: (إِلَى أَيْنَ عَافَاكَ اللَّهُ؟)، قَالَ الْغُلَامُ: (وَمَا تَرِيدُ؟ أَلَاكَ
حَاجَةٌ أُخْرَى؟)، قَالَ: (نَعَمْ، الْحَدِيدُ)، فَقَالَ الْغُلَامُ: (يَا خَسِيسٌ، بَعْتُكَ
نَاطِفاً^(٥٢)) خَدَمْتَنِي نَقْصَانِ أَوْقِيَةٍ. أَيُّمَا أَحَبَّ إِلَيْكَ أَنْ تَخْلِيَنِي، أَوْ أَنَادِي
عَلَيْكَ إِنَّ هَذَا نَاكُنِي بِمَقْدَحَةٍ؟)، فَتَرَكَهُ وَخَرَجَ.

(٥٢) النطف: العيب.

تحاكمَ لوطيٌّ ومؤاجر الى قاضي الفتيان، فقال اللّوطي: (أيها القاضي، دخلتُ الحمامَ فأصببتُ فيه هذا الغلامَ المؤاجر، فدفعْتُ اليه درهماً، فلما استويتُ عليه تحركَ البابُ فافترقنا من غير قضاء حاجة. وأنا اطلبُ منه ردّاً ما أخذَ مِنِّي)، قال القاضي للغلام: (ما تقول أنت؟)، قال: (اعزَّ اللهُ القاضي، قد نمت تحتَه ومكنتُهُ من نفسي واستوفيتُ الأجرة)، فقال القاضي: (أهلُ الفتوةِ أهلُ الصدق، فإن كان حينَ تحركِ البابِ قمتَ من تحتَه، فلا يجب أن تأخذَ منه شيئاً. وإن كان هو قادم من فوقك، فلا يجب عليك ردّاً ما أخذت. وإن قمتما معاً فلكَ النصفُ ممّا أخذت).

وسأل بعضهم غلاماً وأعطاه درهمين، فلما تمكَّن منه أراد أن يرافعه فامتنع الغلام، فقال: (إعمل بين الفخذين)، فقال الرجل: (يا ابنَ الفاعلة، هو بين فخذَي أربعين سنة وما معي درهمين).

ولج أبو نؤاس غلاماً جميلاً في مجلس فقال معرضاً له: (لولا انتم لكنا مؤمنين)^(٥٣).

فقال الغلام: (لن تنالوا البرَّ حتّى تنفقوا مما تحبّون)^(٥٤).

فقال أبو نؤاس: (فإنّي مرسله اليهم بهدية. فناظره بم يرجع المرسلون)^(٥٥).

فكشف الغلامُ عن ساقه وقال: (لمثل هذا فليعمل العاملون)^(٥٦).

فقال أبو نؤاس: (انطلقوا إلى ظلّ ذي ثلاث شُعَبٍ)^(٥٧)، فصار إلى منزله.

(٥٣) سورة سبأ، آية ٢١.

(٥٤) سورة آل عمران، آية ٩٢.

(٥٥) سورة النمل، آية ٢٥.

(٥٦) سورة الصافات، آية ٦١.

(٥٧) سورة المرسلات، آية ٣٠.

وقيل لبعض اللاطة الكبار من المياسير منهم: (لو اشتريت جارية غلامية^(٥٨) تعففت بها، ألم تكن اصلح لك واقلل لإثمك؟)، فقال: (يا جهال، نسيتم الطيبة، فأيش^(٥٩) امرس بيدي؟)، يعني ذكر الغلام.

كان بسجستان رجل يُعرف بأبي الفضل الشروطي، وكان لا يقول إلا بالمدركين الكبار. فأراه في بعض الأوقات وهو يحوم حول الصبيان الصغار، فقليل له في ذلك، فقال: (قد وقع ههنا وباء وفشا الموت في الصبيان، وأخاف أن يموتوا قبل بلوغهم، فيفوتني ما أريد).

وكان ترافق اثنان من اللاطة، أحدهما يقول بالصبيان الصغار، والآخر بالبالغين الكبار. وكل واحد منهما يعيب صاحبه ويلومه على ذلك ويعتفه، حتى إذا كان في بعض الأيام أخذ صاحب الصغار ورُفع مع صبي، فضرِب وحُمِل الصبي على عاتقه وطيف به في البلد، فلقبه رفيقه وهو في تلك الحال فقال له: (قد كنت أنهارك عن ذلك حذراً عليك من هذا، ولو كان هذا كبيراً لم ينكر عليك أحد كونه معك في البيت)، فقال مجيباً له: (اسكت يا أحمق، فلو منك كان مكان الصغير ذلك الكبير، وكان قد دق عنقي).

وسأل لانت أحذب قصير، وذلك في هذا العصر في بلاد المغرب بمدينة أندلس، غلاماً جافياً^(٦٠) طويلاً، فكُبِسَ معه وجُلِدَ. ثم راموا حمل الغلام على عنق الأحذب فلم يتهياً ذلك لطول الغلام وقصر الأحذب، فحملوا الأحذب على عنق الغلام ثم جَرَسُوهُمَا^(٦١) وقد اجتمع الناس عليهما. فصار الأحذب يقول، وهو على عنق الغلام، إذا نودي عليهما: (يا قوم، أنا

(٥٨) الجارية الغلامية: هي الجارية التي تتزنا بزني الغلمان وتتصرف مثلهم.

(٥٩) أيش: أي شيء؟.

(٦٠) الجاني: الغليظ.

(٦١) جَرَسَ: سَمِعَ بهم ونَدَّ.

الذي كنتُ من فوق. لا تغلطوا، فإنَّ الفاعلَ مرفوع) ^(٦٢)، حذراً من أن يُظنَّ به أنه بغي وإنَّ الغلام كان هو الفاعل به.

وقال الجاحظ:

قلتُ لأبي عبدالله المدعي: (أما تستحي نكتَ فلانَ المؤاجر؟)، فقال: (والله ما نكتُهُ إلا في وقتٍ تحل لي فيه المنيّة).

وقال الجاحظ أيضاً:

رأى أبو سعيد الحديثي غلاماً في الحمّام، فراوده فامتنع فضربته، فخرج الغلام باكياً وشكى إلى الحمّامي والناس، فدخلوا فوجدوا أبا سعيد خارجاً في أثر الغلام عرياناً وأیره قائم، فقالوا له: (لِمَ ضربتَ الغلام؟)، قال: (لأنّه صبَّ عليّ ماءً حارّاً)، قالوا: (فلمَ أيرك قائم؟)، قال: (من الحرْد) ^(٦٣).

نظر رجلٌ الى رجلٍ يحثُ النظر الى غلامٍ مليح، فقال له ذلك الرجل: (لا تظنَّ إلاّ خيراً)، قال: (وكيف أظنَّ الخير وأنتَ لوطي وهذا مؤاجر؟).

ووجدَ بعضهم مع غلامٍ في منارةٍ مسجدٍ وسراويلهما محلولان، فقبل له: (ما هذا؟)، فقال: (إنّي أردتُ أن أبدل تكتي بتكته).

وقيل لبعض الخُراسانيّة: (كيف تنبّك غلامك؟)، قال: (ما دام هذا الشّعْر داخلًا أنيكه خارجاً، فإذا خرجَ الشّعْر نكتُهُ داخلًا).

(٦٢) الاضافة من ج. وفي ا: (يا قوم وانا ايضاً من فوق لا تغلطوا).

(٦٣) الحرْد: الغيظ.

وحَصَلَ أبو سعيد الحديثي غلاماً في منزله، فقال: (يا أبا سعيد، حَدَّثْنِي بشيءٍ من أحاديث الفرسان: عامر بن الطفيل وعمرو بن مَعْدٍ يَكْرِبُ)، فقال أبو سعيد: (تسألني عن الفرسان وأنا راجل؟)، وقام فبسطه وركبه، فلما علاه قال: (الآن إسأل عما بدا لك).

وكان بعض اللاطة له أُمٌ عجوز تتشيع، وكان يحتشمها ولا يُظهر لها فعله. وكان يعشق غلاماً، فلم يجد بداً من الاحتيال في إحضاره في منزله، فجاء به الى منزله وقال لأمه: (يا أُمي، هذا غلام يذكر أنه غُلَوِيٌّ وقد زارني)، فقامت العجوز وجعلت تُصلح له كل ما يحتاج اليه من مأكول وغيره. ثم إنها اطلعت^(٦٤) في البيت على غفلة، فإذا هو على ظهر الغلام، فقالت: (يا عدو الله، ما هذا؟)، فقال: (يا أُمي باحثتي في تحقيق نسبتي، فإذا هو من ولد معاوية)، فقالت: (شأنك به إسته، ابن الفاعلة).

وسأل بعضهم غلاماً ورافعه، فقال: (أخرجني، وإلا خَرَيْتُ)، فقال: (لست أعرف لك مَخْرَجاً للخراء والضراط غير هذا، وقد سددته فلا يخرج منه شيء)، فحجل الغلام واستسلم.

نظر الجمّاز يوماً إلى غلام فقال: (هذا من المطففين^(٦٥))، فقيل له: (وكيف ذلك؟)، قال: (كان إذا نأكه أحد فبلغ وقت الفراغ، فرج ما بين فخذه^(٦٦)).

وحكي أنّ أبا العالية رفع رجلاً وصبيّاً إلى الحاكم وذكر أنّه وجده يلوط

(٦٤) اطلعت: ظهرت.

(٦٥) المطفف: الذي يُنقص المكيال، وهي اشارة واضحة إلى سورة المطففين: (ويل للمطففين * الذين

إذا اكلتوا على الناس يستوفون * وإذا كالوهم أو وزنوهم يُخسرون) الآيات ١ - ٣.

(٦٦) إضافة في ب، ج: (فيكبه الفاعل خارجاً).

به، وقد اجتمع الناس عليهم. فلما حضروا بين يدي القاضي، قال له القاضي: (كيف تشهد؟)، فقال: (رايتُ هذا بطحَ هذا الغلام فقلتُ ينومه، ثم كشف عن ثيابه فقلتُ يروّحه، ثم جلس عليه فقلتُ^(٦٧) يكبسه، ثم أخرج شيئاً، فلا إله إلا الله)، فضحك القاضي وكلُّ مَنْ حضر المجلس.

ومنْ هذه الطائفة مَنْ لا يعجبه من الغلمان إلاّ الملتحون، وأكثر هؤلاء فلا يفلحون ولا ينجحون، ويسْمَوْنَ: قصار الأعمار، وذلك أنّهم كثيراً ما يُقتلون. فإنّه ربّما كان المَعْدَرُ^(٦٨) لصاً أو شاطرأ، فيحتال على بعض التجّار بالوجارة ويطمعه في نفسه، فإذا دخل معه موضعاً خالياً، ولا سيّما على شراب، قتله وأخذ ما معه.

وربما فعل ذلك أيضاً الصغار إذا باتوا على شراب، يواعدون لصوصاً هم لهم أصدقاء، فيفتحون لهم الباب، وصاحب البيت نائم، فيدخلون ويتحكّمون في مال الرجل ونفسه كيف شاؤوا، إلاّ أنّ ذلك قليل، وأكثر ما يفعله الكبار.

حدّث بعض التجّار الشطّار، قال:

ولفتُ^(٦٩) غلاماً أمرد، دون البلوغ، لم أكن أظنّ فيه سوءاً، فرأيتُهُ ينظر في أركان البيت ويتأمّل موضع مفتاح الصندوق ويلحظ السيف معلقاً ويتولّى السقيّ فيترع لي، فاسترَبْتُهُ وساء ظنّي به جدّاً، ولم أشرب إلاّ يسيراً وعجَلْتُ النوم وأظهرتُ السكر. وكنتُ في غرفة مشرفة فيها طاق على الطريق، فلما كان نصف الليل سمعتُ صغيراً لم أشكّ أنه لشّر، فتناومتُ وقام الغلام منسلّاً فأخرج رأسه من الطاق، فقامتُ ووقفتُ خلفه فسمعتُ قائلاً يقول له: (إنزل افتح)، فقال له: (إصبر)، فلما سمعتُ ذلك شلتُ ساقيه ودفعته من الطاق على رأسه وأخرجتُ رأسي فوجدتُ ستّة رجال،

(٦٧) ١: قلتُ.

(٦٨) المَعْدَر: الغلام الملتحي.

(٦٩) ١: لفت. اتصل به.

فقلتُ لهم: (ما يحتاج أن يُتعب نفسه في الدرج، قد نزل اليكم من قرب)،
فرفعوهم بينهم حطاماً وانصرفوا.

وَأَمَّا قَتْلَةُ الْكِبَارِ مِنَ التَّجَارِ وَغَيْرِهِمْ، فَلَا يُحْصَى لَهُمْ عَدَدٌ.

ومن غرائب هذا الباب ما أخبرني به عَدْلٌ^(٧٠) من العُدول بدمشق، قال:
كان بهذه المدينة قاض من جَلَّةِ القضاة وأكابر الأعيان، وَلِيَ القضاء
بَحَمَاةٍ ثُمَّ عَزَلَ من غير جَرْحَةٍ^(٧١) وبقي بحشمته ورياسته، وقد سَمَّاهُ لي،
وهو مشهور الاسم عظيم الذِّكْرِ، إِلَّا أَنِّي آثَرْتُ ترك تسميته في هذا
الموضع.

(قال):

فعرض له أَنَّهُ سافر إلى حلب في بعض أغراضه في أيام الملك الظاهر.
(قال) فاقبل عليه الملك الظاهر وأكرم مثواه وهُم بتوليته القضاء بحلب،
فاتَّفَقَ ذلك الحال أَنَّهُ اشترى مملوكاً تُرْكِيّاً بِسِتَّةِ آلاف درهم ناصرية، وقد
كان له عِدَّةٌ ممالك غيره. فدخل ذات يوم الحَمَّامَ ومعه ممالিকে فخلَّيْتُ له
خَلْوَةً، كما جرت عادة أمثاله من الرؤساء، فدخلها ولم يكن للخلوة باب،
فنُصِبَتْ عليه ستارة وأقام بها وصرف ممالিকে وخلا بالمملوك المُشْتَرَى.
فاتَّفَقَ، لما أراد الله تعالى من القضاء والقدر، أن استدعى المملوكَ وجَرَّدَهُ
وتجرَّد هو أيضاً حتى لم يبق عليهما شيء. وقد كان المملوك غسل رأسه
وجسده بالخطْمِيَّةِ^(٧٢)، وهو في الأصالة ناعم الجسم، وزادته الخطْمِيَّةُ
نعومةً فبقي كالزُّبُقِ، ورخام الحَمَّامِ ناعم، وهو منصوب إلى خارجٍ
لضرورة خروج الماء منه. فمدَّ الغلامَ وجعل رأسه ممّا يلي الستَر، ليكون
يرى أحداً إِنْ هُمُ بالدخول، فيتنحنح ويوهمه أَنَّهُ متكشِّفٌ للطَّهَرِ. ثم

(٧٠) العَدْلُ: المرَضِيُّ قَوْلُهُ وحكمه.

(٧١) الْجَرْحَةُ: ما تُجرح به شهادة الخصم وحجته.

(٧٢) الخطْمِيَّةُ: زهر من فصيلة الخبازيات، يُستعمل كملين.

صعد على ظهره وقد أنعظ فأمسك بأكتافه ودفع عليه فزهق^(٧٢) الغلام وهو على ظهره، بنعومة جسده وأثر الخطمية على رخام الحمام، ومراً كالسهم حتى نطحا براسيهما الستر وخرجا. فلم يشعرا بأنفسهما إلا في وسط الحمام وهو مشحون بالناس يُنظر اليهم وقد حار كيف يصنع؟ إن قام كشف ذكره للخلائق في است الغلام عياناً، وإن بقي منحنيًا عليه حتى يستر ذلك فقس^(٧٣) في وجوههم، إلا أنه لم يجد بداً من القيام. فقام وسئل ذكره من الغلام، والخلائق يشاهدونه وقد قامت القيامة في الحمام واجتمع العالم عليه، فقفز ودخل الخلوة عرياناً منعظاً ومعه الغلام.

واشتهرت النازلة، فلم يبق بحلب صغير ولا كبير ولا خاص ولا عام إلا وبلغته، فكان ذلك سبب سقوط جاهه، وذهاب حرمة، وحرمانه ولاية الأحكام باقي مدة حياته.

* * *

(٧٢) زهق: ذهب، تقدم.

(٧٣) فقس: مات.

مُلَحّ الأشعار في هذا الباب



فمن ذلك قول مَنْ يقول بالصغار، عفا الله عنه:

لا تطلبنَّ من الظَّبا إلا صغارا كاللَّبا^(١)
إنَّ الطَّيِّب يقول لي: نيك الصَّغار من الشُّفا

لغيره، ممَّن يقول بالسُّودان:

أقولُ لمنَّ عابَ السُّوداءَ سفاهةً وللِسودِ قومٌ عائبون وحسدُ
أعيبُ سوادَ اللَّيلِ إنَّ قِيلَ حالِكُ وإنَّ ذكيَّ المسكِ ويحك، اسودُ^(٢)؟
وهذا سوادُ الرِّكنِ يُسمى بمَسِه ويهوى إليه بالاكفِّ ويُسجدُ
قضى الله أنَّ السُّودَ والسُّفَرَ همَّتِي وهنَّ المني والقلب مني مقصدُ
فلو علمَ المهديُّ لوناً يفوقه لالزمتُ راياته حين تُعقدُ

ولغيره:

يكونُ الخالُ في خدِّ نقيٍّ فيكسوه الملاحَّة والجمالا
ككيف يَلام إنسانٌ على مَنْ يراه، كلَّه، في العينِ خالا

لغيره، في البيض:

شَرَطِي البياضَ فما ابغى بهِ بدلاً ممَّن يرى خَلقه كالغصنِ مجدولا
لا اعشقُ الاسمرَ المنفوخَ من سمنٍ لكنني اعشقُ البيضَ المهازيلا

(١) هكذا في الأصل.

(٢) البيت مكرَّر في ١ هكذا:

وإن ركيَّ المسكِ ويحك اسود) (وهذا سواد الليل إن قيل حالِك

وقال أبو تمام في الملتحين^(٢):

قال الوشاة: بدا في الخد عارضه
الحسن عندي على ما كنت أعهده
ابهي وأجمل ما كانت محاسنه
وصار من كان يلحي في مودته

فقلت: لا تنكروا، ما ذاك عائبه
والشعر جزأ له ممن يطالبه
إذ لاح عارضه واخضر شاربته
إن سيل عني وعنه، قال: صاحبه

وله:

لما استقل بارداً تجاذبه
واقسم الورد أيماناً مغلظه
كلمته بجفون غير ناطقة

واخضر فوق حجاب الدر شاربته
أن لا تفارق خديه عجائبه
فكان من رده ما قال حاجبه

لأبي نؤاس:

ونرجس قد خف بالورد
راودته عن نفسه خالياً
فقال: مهلاً قد بذت لحيتي
فقلت: هذا نرجس طالع
وليس من شاني إلا لمن
اسأله: كم لك من نسوة
فذاك من شاني ومن لدتي

في خد من قد لج في الصد
وقلت: من ذا ليس من بد
وإنني في طلب المرد
والورد في العارض والخد
قد جاوز الخمسين في العد
وكم صبي لك في المهدي
حتى أوارى بثرى اللحد

(٢) ترد الأبيات السبعة التالية في ديوان أبي تمام بهذا الترتيب:

قال الوشاة: بدا في الخد عارضه
لما استقل بارداً تجاذبه
واقسم الورد أيماناً مغلظه
وكلمته بجفون غير ناطقة
الحسن منه على ما كنت أعهده
أجل والحسن ما كانت شمائله
وصار من كان يلحي في مودته

فقلت: لا تنكروا ماذا عائبه
واخضر فوق جمان الدر شاربته
أن لا تفارق خديه عجائبه
فكان من رده ما قال حاجبه
والشعر جزأ له ممن يطالبه
إذ لاح عارضه واسود شاربته
إن سيل عني وعنه قال: صاحبه

يلحي: يعيب، يعذل.

(راجع ديوان أبي تمام، شرح وتعليق شاهين عطية، مكتبة الطلاب وشركة الكتاب اللبناني، ١٩٦٨) والشعر منسوب إلى أبي نؤاس أيضاً.

وله

إشرب الخمر المداما واصحب الغر الكراما
لا تعفن عن النيد ك إذا ما الأير قاما
قال لي لما تمد دت عليه حين ناما
ما ترى طولي وعرضي قلت: دغ عنك الكلاما
لا نصيد الدهر إلا حفر وحش ونعاما

وله:

ولا تأسفن على ناسك وإن كان ذو طرب فابكه
ونك من رأيت من العالمين فإن الندامة في تركه

ولبعضهم:

ادخلت ايري في استه، ولسائه ادخلته من بعد ذلك في فمي
هذا بذاك فلا عليه ولا له العدل من شيم الاعر الاكرم

يحكون أن إبليس جمع المردان ورفعهم في غرفة عالية بسلم طويل ثم
ازال السلم، وقال لهم: (لا اردّه لكم، بل اترككم تموتون جوعاً وعطشاً إلا
أن آخذ عليكم عهداً وثيقاً لا تنكثونه)، فقالوا: (وما هو؟)، قال: (أن تنفروا
عمن طلبكم وتتبعوا من نفر عنكم)، فعاهدوه على ذلك ووفوا به.

ومن مثال اللأطة المرد: حيّان، وذلك حق وصدق، فإن أحدهم ربما طلبه
طالب وبذل له الرغائب فامتنع عليه غاية الامتناع، ثم جاءه من تلقاء
نفسه بلا كلفة. وسأحكي لك ما اتفق في عصرنا هذا، ممّا يوضح عندك ما
ذكرناه:

حدّثني بعض الظرفاء من أهل الأدب بدمشق، أنّه ورد عليها في زمن
الملك المعظم، رحمه الله، غلام كان ابناً لوالي بعلبك لم ير في وقته أتم منه

جمالاً ولا أحسن كمالاً، فدخلها بحشمة عظيمة لا يكاد ينصرف من داره إلا إلى الجامع راكباً مع عدة مماليك. وهو مع ذلك في نفسه في شدة التصاون والانتفة والحماسة وسوء الخلق. ما ينظره أحد من القضاة والفقهاء نظرة عين إلا أهانه. ولا يتعرض إليه أحد بالسّلام من الأمراء والأجناد إلا انتهره.

وقد حام حول الوصول إليه جماعة من أكابر الدولة بالحمل الكبار ولم يتفق وصولهم إليه. وكان يجلس في مقصورة من مقاصير الجامع مع فقهاء من معارف أبيه، يأنس بهم ويتحدث معهم.

وبدمشق رجلاً من أهلها، رأيته في تأريخ وضع هذا الكتاب، يُقال عنه إنه لائط، فحكى لي عنه أنه كان يجلس في المقصورة التي كان يجلس فيها ذلك الغلام، فكان معاشرراً لأولئك الفقهاء، يحكي لهم عن نفسه ما يتفق له مع ما ينتابه^(٤)، من المرد الذين هم ممن يأتيه، وغاية بذله لأحدهم نصف درهم. فكان يحدث أنه يقول: (مُد وكُف)، يعني أنه يمد إحدى رجليه ويكف الأخرى ليكون أمكن للاستعمال، ويقول له: (قبّل هذا العضو الذي شرقك)، إذا فرغ منه. ويحكي أشياء كثيرة من هذا الجنس. فكان ربما حضر والغلام جالس، فيسأله أصحابه فيتحدث بهذا الحديث بحضرته، فيصفعه الغلام ويعبث به وينتف من شعر ذقنه، وهو يستطيع هذا ويرى أنه نهاية الأمل الذي يقوم له مقام العمل.

فذكر أنه كان يوماً خارجاً من بيته حتى لقيه هذا الغلام، وكان موضعه قريباً من موضعه، ماشياً وهو في غلالة لطيفة وبيده قوس بُنْدُق^(٥) ومعه خادم ومملوكان وهو يتصيد العصافير في حائط داره. فلما رآه استدعاه ليعبث به، ففر منه هارباً من أذاه فعدا خلفه ورماه بالبندق ليقف، فوقف وهو في غاية الخوف منه وأتقائه من شره. فلما وصل إليه جذبته ورمى عمامته في عنقه، وقال له: (من أين جئت يا فاعل، يا صانع؟)، فقال له:

(٤) ينتابه: يأتيه مرة بعد أخرى.

(٥) قوس البندق: معرب (فَنْدُق) بالفارسية، وهو طين مدور يُرمى به. يقال له (الجلامق).

(مِنْ موضعي)، فسأله عنه فأراه إيَّاه، وكان قريباً، فقال له: (مَنْ كان عندك؟)، فقال له: (لم يكن عندي أحد)، فقال: (إدْخُلْ حتى أرى موضعك)، فامتنع عن ذلك غاية الامتناع وقامت عليه القيامة لعلمه أنَّه إنَّما يعبث به. فلم يقبله وجَّره إلى موضعه قسراً وأمر غلمانَه بالوقوف على الباب. ثم صعد معه إلى غرفة كان يسكن فيها، فتناول أنية فكسرها وأخرى فهرقها وجذب بلحيته فأقعده، ثم قال له: (إحْك لي الآن كيف تصنع بالعلوق؟)، فقال له: (لا أفعل)، وهو في ذلك يقسم عليه أن يخرج عنه، وهو يضحك ويرغبه أن يحكي له كيف يصنع.

فلما كثر ذلك بينهما أخرَجَ رأسه من الطاق وجعل يكلم غلمانَه وانبسط على وجهه، ثم قال له: (قُمْ أرني كيف تصنع بهم؟)، فشاهد المنية ولم يشك أنه يروم قتله إنْ مَدَّ يده إليه، فقام قاراً من البيت فعدا وأمسكه وأدخله واستوثقَ مَنْ غلق الباب وأدخل يده تحت ذيله واختلط سراويله وأقام ذكَّره بيده، ثم نزع سراويل نفسه ونام وتكشَّف، ثم قال له: (بقي لك شيء، قم أرني كيف تصنع؟ واعملْ لي كما تعمل بأولئك، سواءً).

(قال):

فقمْتُ وفعلْتُ ما قال، وهو في أثناء العمل يردُّ يده فيصفعني، ويقول: (قُلْ لي كما تقول لهم)، وأنا أقول له جميع ذلك وأفعله به وهو يفعل لي فيها ويساعدني عليها إلى أن فرغت. ثم جلس يعبث بي ساعةً وطلب المعاودة، فعاودت مرَّةً أخرى وانصرف. واشتهرت القضية بدمشق، فكان ذلك سبب فساد الغلام والجسارة عليه ممَّن كان يطمع فيه ويهابه^(٦).

ومن ذلك ما اتَّفَق ببغداد في هذا التاريخ أيضاً، وذلك أنَّه كان فيها

(٦) هامش في بخط غير خط الناسخ [أقول: وهذه القصة أوَّل دليل لما ذكره صاحب الكتاب من فضيلة الصفع ويكنه محموداً وزايد النفع، وما اظنُّ أن أحداً يقف على هذه (القصة؟) إلَّا ويتمنى أن يكون صفعاناً]. وتحت هامش بخط آخر ولعله لمالك الكتاب، كُتِب بخط شبه معصو، يُخطئ فيه كاتب الهامش الأول.

غلام مولد من التُّرك والعرب لم يُرَ في عصره مثله، وكان اكابر الدولة وعظماء المدينة يرومونه فلا يصل اليه احد بغير المائتين^(٧) من الدنانير. فاتفق أنّه عشقه فقير صوفي، كما جرت عادة الفقراء من العشق بالنظر. فكان يقف في طريقه إذا ركب يلحظه لحظةً يلعلل بها حُشاشته^(٨). وكان هذا الفقير صنّعتة مُطرز وله قُويعة^(٩) نظيفة يسكنها، يجلس في عتبة بابها يطرز. فاتفق أنّه كان ذات يوم في عتبة بابهِ، والشارع منقطع وليس فيه احد، وإذا هو بالغلام المذكور ومعه جارية بارعة الجمال محتشمة كان يعشقها قد خرجت من الحَمّام، وكان قد علم بدخولها فوقف لها على الطريق، فلمّا اجتمعا راما الحديث في الطريق فلم يمكن لهما ذلك فحارا كيف يصنعان، وفي اثناء حيرتهما نظر الغلام فرأى الفقير فاحتشمه^(١٠)، وهما بالافتراق.

(قال) فلمّا رأيتُ ذلك هملتُ عيناى بالدموع وانكبتُ على أرجلها، وقلتُ له: (يا مولاي، هذا موضع عبدك وليس فيه أحد).

(قال) فكأنّما خيّرتُ لهما الدنيا بحذافيرها، فدخلوا فوجدوا قاعةً نظيفةً مرشوشةً خاليةً، وفيها فراش نظيف مختصر، كأنّها أعدتُ لهما مجلساً.

(قال) فلمّا استقرا ونظرتُ اليه في بيتي اعتراني رَمَعٌ^(١١) عظيم واختلاطٌ عقلٍ فظننتُ أنّي في حلم أو الذي دخل عليّ خيال من الجان، وذهب مَنيزي^(١٢) بالجملة حتى ما بقيتُ أعقل. ثم راجعتُ فكري ومسحتُ وجهي وأطبقتُ عيني وفتحتُها وقرأتُ المعوذات وعضضتُ اصبعي حتى أدميته ونظرتُ وإذا به جالس فتحققتُ أنّي يقظان. فلمّا تحققتُ ذلك غشي عليّ من شدّة الفرح ثم أفقتُ ووقع عليّ البكاء لافراط السرور، فلم أملك نفسي

(٧) المائتين: المئات.

(٨) الحُشاشة: بقية الروح في المريض أو الجريح.

(٩) قُويعة: مصفرقاعة.

(١٠) احتشمه: خجل منه.

(١١) الرَمَع: الدهشة، الرعدة التي تعترى الانسان إذا هم بالامر.

(١٢) المنيز: التمييز بين الاشياء.

فيه وخررت مغشياً عليّ. ثم أفقتُ فسجدتُ شكراً لله وأنا أبكي، فلما سمعا البكاء بادرتِ الجارية بالخروج فالتقتني ووجهي على الأرض وأدمعي قد بلّت التراب، فقالت لي: (ويحك، ما قصتك؟).

(قال):

فرفعتُ رأسي وانكبتُ على أقدامها وقلتُ لها: (يا سيدتي، أشهد الله وملائكته وحَمَلَةُ عرشه إن رقيبتي رِقٌّ لك ما بقيتِ الدنيا. أنا أعشق هذا كذا كذا سنة، ولم أفز منه قطّ إلا بالنظر في الطريق راكباً يوماً في أيام، وقد كنتُ ميتاً فأحييتيني)، فلما سمعتُ ذلك قالتُ له: (خَفَّفْ عنك وأبشِرْ)، وفي أثناء ذلك خرج الغلام فقال: (فيمَ أنتم؟)، فقالتُ له: (هذا المسكين ميتٌ من عَشَقِكَ).

(قال):

فعضّ على شفته لي في الخفية كالمنكر عليّ ولحظني شزراً، وقال: (بالله إن تحرّك^(١٣) لسانك في هذا بحرفٍ أخرج فلا أعود لهذا الموضع أبداً). (قال) فقطعتُ ثم دخل. وخرجتُ فاشتريتُ فاكهةً يمكن مثلي شراءها، وما خَفَّ ولطف من الطعام والشراب. ثم جئتُ فوضعتُ بين أيديهما وخرجتُ فأغلقتُ عليهما الباب الوسطاني وجلستُ في العتبة أطرز، كما جرتُ عادتي، وأنا لا أدري هل أنا في الأرض أو في السماء.

(قال):

فسمعتُ بينهما جَلْبَةً عظيمةً وعتباً ومنازعةً شديدة وتَمَنعاً من الجارية عليه وإيماناً مغلظة أن لا يمسهما بيد. فعظم عليّ ما وقع بينهما وقمتُ لأنظر ما سبب ذلك، ووقفتُ فأسمع بحيث لا يعلمان بمكاني، فوجدتها تنازعه في أمري وتقول: (هذا المسكين الفقير له يعشَقك كذا وكذا سنة، لم يصل قطّ منك إلا إلى النظر في الرزاق، وقد كان سبباً في إيصالك إليّ، ولولاه لم يمكن

(١٣) أ: لا تحرك.

ب، ج: ان حركت.

لك مني غير كلمة إن أدركتها، وأنتَ غير ممتنع عن هذا الفعل. قد وهبك فلان الأمير كذا وكذا من الدنانير والقماش والخيل، فرحتَ إليه)، وأقبلتَ تعدد عليه ما وصل اليهم ومن وصل اليه من الكبراء، وتقول: (إنما احتقرتَ هذا لفقره، فافعل معه ما فعلتَ مع غيره لأجلي وبشفاعتي وحرمتي، فأَيُّما أحضى عندك: أنا أو ما وهبك هؤلاء؟)، فيقول: (والله، لا كانَ هذا أبداً)، فتقوم عنه وتلبس إزارها وخُفَّها، فإذا رآته سمحتَ نفسه بتركها والصبر عنها رجعتَ اليه فترامتَ في عنقه وبَسَطَته بأنواع من القول والفعل لم يَر ولم يسمع قطُّ بأحسن منها حتى ينحلَّ غضبه وتستحكم شهوته ويمدَّ يده اليها فتكفَّه وتنازعه في أمري، فإذا أبى وتشدَّد عليها قامتَ ورامتَ الخروج. فلم يزل كذلك إلى أن قال لها: (استدعيه)، فاستدعيتني وقالت لي: (ادخل فنلَّ منه غاية بُغيته)، ثم خرجتَ وأغلقتَ الباب فقال لي: (إقنع، ويحك، بتكبيس رجلي ولا تطلب غير ذلك لنلَّا تعدمني البتَّة).

(قال):

فأنعمتُ له بذلك، ومن لي به عند نفسي؟، ثم أكببتُ على رجليه أمرغ وجهي عليهما وأترشفهما ساعة، وهي تنظر من خلل الباب ونحن لا نشعر، ثم خرجتُ فقلتُ لها: (قد قضيتُ أربي)، فقالت: (لا شيء، وكلَّ يمين منزلة في عنقي، إن رأني أبداً كما يريد، ولا نالَ مني غرضاً لو أقام ما أقام الدهر، ولا جمعةً معي سقف بيت بعد هذا اليوم، إلَّا أن تنالَ منه بعيني ومحضري غاية أملك).

فلما رأى تصمّمها على ذلك وتحقّق جُرم نيتها فيه، استسلم وأمرها فخرجتُ وتجرّد وقال لي (دونك وما قَسَم الله لك)، فنلتُ منه فوق الأمل، ثم دخلتُ فمكّنته من نفسها. ولما كان عند الانفصال في آخر النهار استدعيتني وجزمتُ عليّ في المعاودة، وقالت: (إنك كنتَ داهشاً مضطرباً في الأول)، فلم يسغه خلافها وعادتُ، ثم قالت لي: (نحن عندك في كلِّ شهر مرتين، وذلك أوان خروجي إلى الحمام).

(قال) فأقمتُ على ذلك أجمع بينهما في كل شهر مرتين، أباشره في كل يوم مرتين، كذلك ثلاثة أعوام، وليس ببغداد من ذوي المال والجاه العريض من لم يتقطّع عليه حسرات، وهو لا يناله.

ومن أمثالهم: «من سعادة اللايط أن يُسمّى بغي»، والسبب عندهم في ذلك أنهم إذا اشتهر أحدهم بهذا لم تنفر منه الغلمان، فيتمكّن له فيهم ما يريد.

ومن الحكايات في هذا الباب:
إن رجلاً تعرّض لغلام حسن الصورة، فنفر منه. فأوهمه أنّه بغي، فلمّا رأى الغلام ذلك ساعده، فصار به الى منزله. فلمّا خلا به طلب الغلام من الرجل تمام ما كان بينهما، فكشف له الأمر وعرفه أنّه إنّما حصله ليقتضي غرضه عنه، فامتنع الغلام من ذلك وقام فرأى في الدهليز رداءً فاحتال حتى أخذه. فلما رجع صاحب المنزل التمس الرداء فلم يجده، فصار الى منزل الغلام فقرع الباب فخرج اليه فقال له: (يا ولدي، رفعتك على أنّك علّق فخرجت، بحمد الله، حرّاً. وجئت معي على أنّي بغي فخرجت، والشكر لله، فحلاً. الرداء بيننا في أي شيء يخرج؟)، ولم يزل حتى أخذ الرداء.

ومن هؤلاء من يحتال على الغلمان، فإذا حصل الغلام معه اضطرّج له وكشف عن أسنّته. فإذا جرّد الغلام سراويله وجلس على فخذه أمسك خصيتي الغلام وعصرهما عصرًا قويًّا فلا يستطيع لنفسه دفعاً ولا منعاً. ثم يستدير عليه فيقتضي غرضه منه، وخصيتاه في يده يعصرهما وهو لا يستطيع كلاماً.

وقد اتّفق في هذه المعافصة^(١٤) قصة غريبة لم يُسمع بأحسن منها،

(١٤) المعافصة: المصارعة.

وذلك أَنَّهُ حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ، قَالَ:

كَانَ لِي رَفِيقٌ عَشَقَ غُلَاماً مِنْ أَبْنَاءِ الْمُحْتَشِمِينَ بِهَا، وَتَبِعَهُ سَنِينَ عَدَّةً فَلَمْ يَزِدْهُ عَلَى السَّبَبِ وَالتُّلْبِ^(١٥) وَالْوَعِيدِ، فَدَسَّ عَلَيْهِ مِنْ ذِكْرِ أَنَّهُ بَغَى وَأَنَّ غَرَضَهُ مِنْهُ أَنْ يَفْعَلَ بِهِ، فَانْحَلَّتْ عَقْدَةُ الْغُلَامِ لِسَمَاعِ ذَلِكَ ثُمَّ الْحَ عَلَيْهِ فِي الطَّلَبِ وَشَافَهُ بِذَلِكَ فَلَانَ لَهُ. وَلَمْ يَزَلْ يُوَاعِدُهُ يَوْماً يُخْرِجَانِ فِيهِ إِلَى الرَّمْلِ، وَهَذَا مَوْضِعُ بَظَاهِرِ الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ مُشْرِفٌ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ فِيهِ مَغَارَاتٌ نَدِيَّةٌ ذَاتُ رَمْلٍ كَثِيرٍ يُخْرِجُ إِلَيْهَا شَبَابُ الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ يَتَنَزَّهُونَ، فَخَرَجَ الْغُلَامُ مَعَهُ وَخَرَجَ الرَّجُلُ بِسُفْرَةِ طَعَامٍ وَإِنَاءٍ فِيهِ مَاءٌ، فَإِنَّ الْمَاءَ الْحُلُوَّ مَعْدُومٌ هُنَاكَ.

(قَالَ):

وَوَصَفَ لِي الْغَارَ الَّذِي يَدْخُلَانِ فِيهِ وَقَالَ: (تَعَالَى إِلَيْهِ حَتَّى تَقْضِيَ غَرَضَكَ مِنْهُ)، فَقُلْتُ لَهُ: (وَكَيْفَ يَتَصَوَّرُ ذَلِكَ؟)، فَقَالَ: (لَا عَلَيْكَ)، فَخَرَجَا وَتَبِعْتُهُمَا مِنْ بَعْدٍ إِلَى أَنْ دَخَلَا الْغَارَ فَجِئْتُ وَجِلِسْتُ نَاحِيَةً مِنْ بَابِ الْغَارِ، فَلَمْ أَمْكُثْ إِلَّا يَسِيراً وَالرَّجُلُ خَرَجَ مَنْزِعِجاً فَقَالَ لِي: (ادْخُلْ فَاقْضِ غَرَضَكَ مِنْهُ قَبْلَ أَنْ يَرِدَ)، وَوَلَّى فَارَاً. فَلَمْ أَدْرِ مَعْنَى قَوْلِهِ، فَدَخَلْتُ الْغَارَ فَوَجَدْتُ الْغُلَامَ مُلْقَى مَكْشُوفاً لَا نَفْسَ فِيهِ، فَدَنَوْتُ مِنْهُ فَلَمْ أَشْكُ فِي مَوْتِهِ فَسَقَطْتُ قَوْتِي وَلَمْ أَدْرِ مَا أَصْنَعُ، غَيْرَ أَنِّي قُلْتُ: (قَدْ كُنْتُ جَالِساً بِالْقَرْبِ مِنْ هَذَا الْمَوْضِعِ وَرَيْمًا يَكُونُ أَحَدُ أَبْصَرِ الْغُلَامِ لَمَّا دَخَلَ الْمَغَارَةَ وَرَأَيْتَنِي هُنَا. فَإِنْ وَجَدَ مَيِّتاً فَأَلْقَيْتُهَا بِهَ لَا مُحَالَةً)، وَمَعَ ذَلِكَ فَلَا أَدْرِي مَا سَبَبُ مَوْتِ هَذَا الْغُلَامِ، وَلَا مَا اتَّفَقَ بَيْنَهُمَا.

فَبَادَرْتُ وَتَجَرَّدْتُ مِنْ ثِيَابِي وَحَفَرْتُ فِي الرَّمْلِ حَفِيراً عَظِيماً عَلَى هَيْئَةِ الْقَبْرِ، ثُمَّ عَمَدْتُ إِلَى الْغُلَامِ فَجَرَرْتُهُ وَالْقَيْتَهُ فِي الْحَفِيرَةِ، ثُمَّ أَخَذْتُ السُّفْرَةَ بِطَعَامِهَا فَأَلْقَيْتُهَا فِي الْقَبْرِ، ثُمَّ أَخَذْتُ الْإِنَاءَ الْمَاءَ وَالْقَيْتَهُ عَلَى السُّفْرَةِ، فَلَمَّا سَقَطَ الْإِنَاءُ عَلَى صَدْرِ الْغُلَامِ إِفْرِيقَ مَاؤُهَا فَأَصَابَ وَجْهَهُ، فَلَمْ أَشْعُرْ بِهِ

(١٥) التُّلْبُ: الْإِمَانَةُ.

إلّا جالساً في القبر. فلما رأيته قام سقطت مغشياً عليّ لا أدري أين أنا ولا ما أنا فيه. فقام الغلام وتحامل حتى طلع من القبر، ثم شال رأسي وكلمني ولم يزل يلطف بي حتى تراجعت روحي اليّ، ثم قال لي: (كيف وجدتني؟ ومن أنزلني في هذا القبر؟)، فحكيت له صورة الحال لم أغادر منها شيئاً، ثم سألته كيف اتفق له فقال: (دخلتُ معه الى الغار فطعمتُ يسيراً، ثم قام فنزع سراويله وانبطح، ثم نزعْتُ سراويلي وجلستُ عليه لأفعل به فأدخل يده من بين فخذه وفرجهما وقبض على انثيائي^(١٦) وعصرهما عصراً عظيمة بيده الواحدة، ثم ضربهما باليد الأخرى ضربة لم أشعر إلّا بروحي قد خرجت معها، ولم أدر ما كان بعد ذلك حتى أحسستُ ببرد الماء على وجهي، وأبنتُ كنتُ السبب في حياتي بعد، فلا ترع.

ثم دخل المدينة فطلب الرجل فلم يجده، وأقام ذلك الرجل أربعة أعوام لم يدخل الاسكندرية.

ومن اكبر حيل اللأطة على الغلمان التحيل عليهم بالنساء، وذلك أن الغلام عند البلوغ لا بد أن تطمح نفسه للنساء. فإن لم تكن لوليّه مكنة لعصمته بزوجة أو سرية نظر في الرّنا لا محالة، لا سيما إن كان طبعه مائلاً إلى النساء. فإن كان أبوه من الجهل بحيث يظنّ به العصمة في هذا السنّ، أو من البخل بحيث يضيق عليه ويسوّف به في الزواج ووقع عليه من تحيل له بصورة امرأة، ملك قياده وبلغ منه مراده.

كان بالمغرب رجل لائط عشق امرء وتعرّض له غير مرة فلم يزد به على السبّ والشتّم والتهدّد والتوعد. وكان الغلام ينتمي إلى الفتوة والشطارة ويأنف بنفسه عما يُطلب منه. فلما بالغ في سبّ الرجل وتنقيصه والاشارة بتقبيح إسمه وشتّمه، لم يجد وسيلة إلّا أخته، وكانت بارعة الجمال

(١٦) الانثيان: الخصيتان.

موصوفة بالصيانة، فتطارح عليها وعرفها أنه ميت من عشق ذلك الغلام وأن غرضه الاستمتاع بالنظر إليه والقرب منه، في غير حرام. وعرفها أنه ميت إن لم ينل ذلك، فوعدته بتحصيله.

ثم لبست أفخر ثيابها وأخذت معها عجوزة وتعرضت له، فرأى ما أذهله فتبعها وتحدث معها، فواعدته يوماً معلوماً في موضع معلوم وواطأت أخاها عليه. فذهب أخوها في ذلك اليوم فواعد خمسة عشر رجلاً من أنحس ما يكون في المدينة، من مشاعلية^(١٧) وكتافة^(١٨) وسودان مرقصين القروء، وأدخلهم الدار في اليوم الموعد وأخته لا تشعر. ثم خرجت من بيتها وتعرضت للغلام فتبعها والعجوز معه حتى دخلت به وخرجت هي لما حصل في البيت كأنها تقضي شغلاً، فخرجت عن الدار ودخل أخوها ومعه الجماعة ففتكوا بالغلام جميعهم بأسرهم، وهتكوه أقبح هتك، وأشهر أمره في المدينة، فلزمه عار لا ينفصل مدى الدهر.

وأما ما حصل منهم بالنساء على وجه الطيبة والرضى فما نحصيلهم بعدد، وإنما ذكرنا هذه الحكاية الشنيعة ليتحفظ الغلمان المؤثرون الصيانة من الوقوع في هذا الباب. كما يجب أن يتحفظوا من المتحيلين عليهم بباب البغي المستفعل، المتقدم ذكره.

وبالمغرب^(١٩) مدينة تسمى تونس لها ثمانية أبواب، وفي هذه المدينة شيوخ ثمانية لاطة يُعرفون بشيوخ الطريق. ليس منهم إلا طاعن في السن، بيض اللحي، لكل واحد منهم باب من أبواب المدينة معلوم، فإذا طلع الفجر بكر كل واحد منهم فخرج من الباب ثم بعد قليلاً وقعد على قارعة الطريق من حيث يعبر الرفاق المدينة، فلا بد أن تعبر رفقة أوفراق

(١٧) المشاعلية: حاملو المشاعل.

(١٨) ج: وسياس.

(١٩) ١: بالمغرب.

كل يوم جايئة للمدينة، من أي جهة كانت من الجهات القريبة أو البعيدة.

فإن كان في الرفقة غلام، وقلما تخلو رفقة من ذلك، نظر في وجهه نظر متوسم فيه أو مشبه له ثم سألته عن بلده ونسبه، فإذا عرفه به قال له: (الك أب أو أخ؟) فإذا قال: (نعم)، قال له: (هذا الحق، ما خفي عني الدم، فإني لما رأيته شبهته بك به، ذاك أخي وأعر الناس علي)، إن كان أباه. وإن كان أخاه قال له: (ذلك ولدي، أنا رأيته)، وقد يكون لم ير ذلك الرجل قط، وقد يكون رآه مرة في الطريق أو في السوق، وإن اتفق ذلك حتى يذكر بعض صفته، استسلم إليه على الفور.

ثم يسأله عما أتى به، فإن كان الغلام تاجراً ومعه قماش دخل معه المدينة وانزله في أجودها خاناً وأوصى عليه الخاني، وأتاه من الحمالين بمن يدخل له قماشه بكماء مستصلح، ووقف معه عند صاحب الزكاة، وهو يعرف الشيخ، فإراعي الغلام بسببه ويذكر^(٢٠) أنه ابن قريبه، أو صديقه. ثم يجتمع ببعض الدالين ويقول لهم: (هذا قماش كثير، لا بد أن يخدم صاحبه)، فيجعل الدال يصنع طعاماً. فلا يستقر الغلام حتى يظهر له ظهوراً لا يستريب فيه أن الشيخ قد نفعه منفعة كثيرة واستصلح عليه جملة كبيرة. فإذا استقر قدم له الطعام وأوهمه أنه من عنده، وفي الحقيقة لولاه ما صنع. ثم يرجع إلى أمر البيع والشراء، فيأخذه ويمضي به إلى السوق فيجمع بينه وبين الأمين والعدول ويوصيهم عليه ويحذره من البيع على مفلسي الأسواق، ويعرفه من يلد ومن يمطل منهم، ويوضح له جميع وجوه مصالحه ويحذره عن جميع مضاره، فيرى الغلام أنه قد رجم به وما يدري أنه رجم به، ولا يبقى يخالفه في دقيق ولا جليل.

فإذا استقر به القرار إستدعاه لمنزله وأحضر غداه الخاص به ولا يزيد عليه شيئاً، وكذلك من الشراب، فأكل معه وشرب ووضع يده في الغلام، فلا يزال يستمتع به مدة مقامه في المدينة. وإن كان الغلام لم

(٢٠) وذكر.

يصل بتجارة كان الأمر عليه فيه أهون، فلا يحتاج إلا أن يأخذ بيده ويمضي به إلى منزله.

وبين هؤلاء الشيوخ شروط منها:

أن لا سبيل لأحد منهم أن يدفع للامرد درهماً واحداً، ولا ينفق عليه شيئاً، ولا يزيد، إذا حضر عنده، على طعامه وشرابه المعتاد إلا ما لا يخرج من كيسه. بل إن أمكنهم أن يستفيدوا من جهته شيئاً استفادوه، مثل أن يقسموا مع الدالّين الأجرة على بيع قماشه، أو أن يكون غراً فيواطئوا على صاحب دكان في البيع والشراء ويقتسمون معه الفائدة، أو غير ذلك من الوجوه التي تُهيأ لهم بحسب الأحوال. فهم إذا لم يستفيدوا من جهة الغلمان فلا يخسرون شيئاً أصلاً.

ومن شروطهم:

إن أحدهم لا يستبدّ على الآخر بالغلام ولا بالفائدة الحاصلة من جهته، بل إذا حصل الغلام في منزل أحدهم جاء كل واحد منهم بطعامه وشرابه المعلوم، لكفايته خاصة، ونقله وقدحه وجميع ما يحتاج إليه بلا زيادة ولا نقصان، فيجتمع من ذلك مقام، ويتذاكرون أبا الغلام أو أخاه، فيقول أحدهم: (هوفلان الذي بتنا معه في الموضع الفلاني وأتفق له كَيْت وكَيْت)، كأنهم كلهم، أو أكثرهم، كانوا أصحابه. ولا يظنّ الغلام ولا يخطر بباله أن مثل أولئك الجماعة من الشيوخ يتواطئون على الكذب والبهتان. وقد حَدَّثَتْ عنهم أنهم تجري بينهم على الشراب عجائب من المصارفة في الطعام والشراب والنقل، حتى أن القدح الذي يشربون به له طوق معلوم ينتهي الشراب إليه لا يتعدّاه. ولا يشرب أحد في غير دوره أصلاً، ولا يمكن أن يتناول من النقل إلا قدرأ معلوماً عند آخر القدح. ويتقاسمون قطع اللحم والعصافير وغير ذلك، مما يمكن أن تقع فيه العين، بالقُرعة، ومؤونة الغلام بينهم على الرؤوس. ولا تقع بينهم مسامحة في شيء من الأشياء أصلاً إلا في الغلام خاصة، فإنه بينهم كالفريسة بين الأسود، ومن شاء منهم انتهشه، وكلّ مَنْ بسط يده إليه افترسه.

وبهذه المدينة جماعة آخرون من اللاطة يُسمّون: الأمشاطيين. وهؤلاء يستعمل أحدهم من الأمشاط الطرائحية جُملة كبيرة، مما يُباع منها العشرين والأكثر بينهم بدرهم واحد، فيجعلها في سلة عندهم ثم يأخذ جملة من طين الحمام، وليس هو الطين المغربي وإنما عندهم طين يشبه الأندلسي ويغش به يُباع منه حمل حمار بربع درهم، فيأخذ منه سلة أخرى ثم يخرج بعد العتمة يتصيد الغلمان المؤاجرين، فإذا وقع له أحدهم حمّله إلى منزله على غير طعام ولا شراب، فإن الوقت يكون ممسياً جداً ويكون الغلام ضرورة قد تعشى، ولا يترك في بيته شيئاً يدور عليه الضرس. ويعتذر للغلام أنه جاء في غير وقت طعام ولا شراب ولا وقت متسع لإعداد ذلك.

ثم يلبث به الليل كلّه ويعدّه أن يصطبغ معه على حالة عظيمة يخلف عليه فيها جميع ما فاتته في ليلته، فإذا سمع النداء للفجر وهو عنده وقت قد عوّد نفسه القيام فيه ضرورة، فيقوم ويقول له: (عادتي أن لا تفوتني صلاة الغداة، لكن هلّم بنا إلى الحمام ونرجع إلى البيت في الظلام)، ثم يدفع له مشطاً وصرّة فيها طين ويقول له: (تقدّم إلى^(٢١) الحمام الفلاني حتى أبادل ثيابي والحقك)، فيسبق الغلام للحمام ويدخله فيكون آخر عهده بالرجل. ومن أعظم المصائب على الغلام أجرة الحمامي، فبعضهم يعطي من كيسه، ومن لا يكون معه شيء فيرهق فيها بعض قماشه.

* * *

وهذا تقليد^(٢٢) من قاضي الفسقة

لنائبه بالاسكندرية، نسباً: الوهراني^(٢٣)، تجاوز الله عنه،

فيه ملّح متعلّق بهذا الباب رأيت أن أختمه به

الحمد لله الذي تجاوز عن كلّ غيٍّ، ووعد بالمغفرة كلّ حيٍّ، وقال:

(٢١) إلى: ناقصة من أ، وهي في ب، ج.

(٢٢) التقليد: ما يكتبه السلطان أو الأمير للحاكم مصرحاً له به تقليده الحكم.

(٢٣) أ: [إسا الوهراني].

ب، ج: [إنساناً يسمّى الوهراني].

(ورحمتي وسعت كلّ شيء) ^(٢٤)، احمّده حمّد الثّرى للمطر، والمحبّ على بلوغ الوطر، وأشهد أنّ لا إله إلّا الله، وحده لا شريك له، شهادة تُوصل إلى وصل الولدان، وتجمعي في الجنّة مع المُرّدان، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله، الويّ بزمّته، والشفيع للمذنبين من أمّته، صلّى الله عليه وعلى عترته.

هذا ما عهدده قاضي قضاة الفاسقين، وناصر دينّ العاشقين، وإمام العصاة والمنافقين، جمال البرود والدّساكر ^(٢٥)، زين الخرابات والمّاجر، فخر العلوق والمساخر، ذو القرنين الحاضر، مسخرة غلام نغاز أمير المؤمنين، أبقاء الله للقيادة يتلو صُحفها، ويصطفي تحفها، وللاّطة يطفي علوقها، ويفتح مغلوقها، وللسدود يغري قحابها، ويحيي رحابها، وهو يومئذ متولّي قضاء الفسق بالاسلام، نافذ القول في الاعسام ^(٢٦)، قاضي الحُكم في المغرب والعراق والشام.

إليك أيّها القاضي الأحمّ ^(٢٧)، فخر القضاة وتاجها، وطيب المعاصي وسراجها، عزّ العلوق وعمادها، زُكن اللّاطة وزنادها، جمال الفسقة وعينها، شرف الرّناة وزينها، أدام الله سرورك وأفراحك، وكثّر في المعصية مراحك، وسخّر لك علوقك وراحك، ولا زالت همّتك مصروفة للمحّاب، واكتافك مصطبة لأقدام القحاب، ومنزلك مغموراً بالعلوق، وعارضك مصفراً بالخلوق ^(٢٨)، تقضي في الحقوق، وتنهي عن العقوق، إلى يوم يُنفخ في البوق.

ولما انتهى إلينا، أيها القاضي، أطال الله قرونك، وعلّق في الخمر رهوتك، ما أنت عليه من سوء الخلائق، ودميم الطرائق، وإنهماك في المعاصي،

(٢٤) سورة الاعراف - آية ١٥٦.

(٢٥) الدساكر: بيوت يكون فيها الشراب والملاهي.

(٢٦) الاعسام: الجسم والخلفة.

(٢٧) الأحمّ: الأخصّ والأقرب.

(٢٨) الخلوق: ضرب من الطيب، أعظم أجزاءه الزعفران.

وضربك بالمخاصي، وفسقك في الأداني والأقاصي، وأنك من أكذب الناس لهجة، وأبعدهم في المعرفة حساً، وأبخلهم على المال نفساً، تتلو صحف الأكاذيب، وتدأب في المعاصي مثل الذيب، استخرتُ الله تعالى وقدمتك على القضايا السرية، بثغر الأسكندرية، فإحذر من الاضطهاد، وشمر عن ساق الاجتهاد، ولا تترك شيئاً من أمور الفسق مطلقاً، ولا باباً من أبواب المعاصي مغلقاً.

فأول ما أذكر لك، أيها القاضي، تقوى الله تعالى، الذي إن دخلت فيه بالأتيا، استعجلت العذاب في الحياة الدنيا، وحطك وهدمك^(٢٩)، وقطع لذاتك وحرملك، فجانبه^(٣٠) بجانب الأسد الكاسر، واجعله بمنزلة العدو الناسر، ولا تلم به إلا من بعيد، ولا تبصره ولو في يوم عيد، وحسن ظنك بالله العظيم، وثق بعبو الغفور الرحيم، فإنه لا وصول لجنته، إلا بمنته، ولا مخلص من عذابه، إلا برحمته وثوابه، وإذا أراد الله أمراً يسره، وإذا كره شيئاً عسره، فصل من المعاصي ما قطعت، وحمل شفاعت نبيك ما استطعت، وإن كنت لا بد لك من التقوى، فاجعل التوبة، آخر النوبة.

(بيت مفرد):

وكنّز ما استطعت من الخطايا إذا كان القدم على كريم
وأول ما أمرك به ان تنظر في أبواب الخمر، فمن صرقها^(٣١) صرقه^(٣٢) في أعمالك، ومن قبلها فاقبله تبعاً لك، ومن دلس^(٣٣) في جزئيه^(٣٤)، أو نقص في مكياه، فافس في سبيله^(٣٥)، واحمل الكلب على عياله.

(٢٩) ١: وحطل وهديتك. والتصحيح من ج.

(٣٠) فجانبه: ساقطة من أ.

(٣١) صرقها: شربها صرقاً، أي لم يمزجها.

(٣٢) صرقه: فوّض الأمر إليه.

(٣٣) دلس: خادع.

(٣٤) الجريال: الخمر.

(٣٥) الفسوّ معروف، والسبال: ما على الشارب من الشعر.

وَأَمْرُ أَنْ تَحْكُمَ فِي الشَّرْبِ بِهَوَاكَ، وَلَا تَتَّكِلَ فِيهِ عَلَى سِوَاكَ، وَلَا تَتَنَادَمَ
الْمَعْرِبِدِينَ وَالْأَثْقَالَ، وَلَا تَسَامُحْ فِي فِعْلٍ مِنَ الْأَفْعَالِ، وَتَلْقُ رَجِيعٌ^(٣٦)
السَّكْرَانَ بِكُمُكَ، وَقَدْ هَ بِأَبْيِكَ وَأَمُكَ، وَلَا تَوَاضَعْ نَدِيمَكَ بِتَجَافِيهِ، وَلَا تَعَوَّلْ فِي
السَّكْرِ عَلَى تَصَافِيهِ، وَأَطْوِ بِسَاطِ الْخَمْرِ بِمَا فِيهِ.

وَأَمْرُكَ أَنْ تَنْظُرَ فِي الْوُلْدَانِ، وَالصِّغَارِ مِنَ الْمُرْدَانِ، فَمَنْ بَلَغَكَ إِلَيْهِ مَقْصَرٌ،
أَوْ أَعْمَى لَا يَبْصُرُ، فَخُذْهُ بِالْمَلَاطِفَةِ، وَاحْذَرْ عَلَيْهِ مِنَ الْمَخَالَفَةِ، وَصَبِّغْهُ^(٣٧)
بِالْخَنْصَرِ، وَدَرِّجْهُ بِالْبِنْصَرِ، فَإِذَا ارْتَقَى إِلَى التَّرْوِيسِ، وَانْتَهَى إِلَى دَرَجَةِ
التَّلْبِيسِ، فَالزِّقْهُ بِالْحَصَى، وَادْخُلْهُ عَلَيْهِ إِلَى الْخُصَى.

وَأَمْرُكَ أَنْ تَجْمَعَ بَيْنَ الصِّغَارِ وَالْكُوَاوِسِ، وَأَنْ تَطْرُقَهُمْ إِلَى دُخُولِ الْقِيَاسِ،
وَأَنْزِجُهُمْ عَنِ الْجِدَالِ، وَاعْصِبُهُمْ عَنِ الْبِذَالِ، وَعَرِّفَهُمْ أَنَّهُمْ مِنَ الْوَجَارَةِ،
يَرْتَقُونَ إِلَى التَّجَارَةِ، وَفِي الْبَغَايَةِ، نَيْلُ الْغَايَةِ، لِأَنَّهَا دَابُّ الْمُلُوكِ، وَشَأْنُ
أَرْبَابِ السُّلُوكِ^(٣٨).

وَأَمْرُكَ أَنْ تَنْظُرَ فِي أَمْرِ الْأَحَارِيشِ^(٣٩)، وَالْعُلُوقِ النَّكَارِيشِ^(٤٠)، فَمَنْ نَتَفَ
عَنْ سَاقِي شَعْرِهِ، أَوْ رَفَعَ عَلَى اللَّاطَةِ سَعْرَهُ، أَوْ حَلَقَ بِالزَّجَاجَةِ خَدَّهُ، أَوْ
تَجَاوَزَ عَنِ الْمَعْلُومِ حَدَّهُ، فَحَذَّرْ مِنْهُ الْعَاشِقِينَ، وَافْضَحْهُ فِي مَلَأَ مِنَ
الْفَاسِقِينَ، وَاكْتَبْهُ فِي دِيْوَانِ الْمُنَافِقِينَ.

وَأَمْرُكَ أَنْ تَنْظُرَ فِي أَعْدَاءِ الدِّينِ، مِنْ فُقَهَاءِ الْقَوَادِينِ، فَمَنْ بَلَغَكَ أَنَّهُ
يُشْرِخُ دِرْهَمًا مِنْ عَاشِقٍ، أَوْ تَأْخِي بِرَجُلٍ فَاسِقٍ، فَشْهَدْ لَهُ بِزُورٍ، أَوْ دَلَّاهُ
بِغُرُورٍ، فَاصْصَفْ قَفَاهُ، وَانْزِلْ بِهِ مِنَ التَّنْكِيلِ أَوْفَاهُ.

وَأَمْرُكَ أَنْ تَنْظُرَ فِي بَابِ الصِّفَافِ، وَتَذَكَّرْ مَا فِيهِ مِنَ الْإِنْتِفَاعِ، فَإِنَّهُ مُحَلَّلٌ

(٣٦) الرَجِيعُ: الْعَرَقُ.

(٣٧) صَبَّغَ (الشَّيْءَ): ادْخَلَ فِيهِ أَصْبَغَهُ.

(٣٨) وَشَأْنُ أَرْبَابِ السُّلُوكِ: نَاقِصَةٌ فِي الْوَبْدَلِهَا: (وَعَلَّةُ الْكِتَابِ).

ب: (وَعَلَّةُ الْكِبَارِ). وَهِيَ إِضَافَةٌ مِنْ ج.

(٣٩) حَرْشٌ: جَامِعُهُ مُسْتَقْلِيًّا.

(٤٠) النَّكَارِيشُ: جَمْعُ نَكَارِيشٍ وَهِيَ مِنَ الْفَارْسِيَّةِ (نِيكَ: جَمِيلٌ، رِيَشٌ: اللَّحْيَةُ) أَيِ بِمَعْنَى ذِي اللَّحْيَةِ

الْجَمِيلَةِ أَوْ جَمِيلِ اللَّحْيَةِ.

للأخلاق، ومسهّل للظراط، فقدّم إلى أصحابك باستعماله، وحضّ الرعية على احتماله، وانظر في مشكلات نوائله، وترتيب منازلها، واحكم في التخيير والتخير، وفي التعمير والتعمّر، ولا تهيت^(٤١) في اللحمية بالملطنة، ولا في المكشوفة بالمفطنة، ولا تأمر في استيفاء البغاوية إلا في مكانها، ولا في التعانقية إلا في أعكانها، وبعد هذا فلا تأمن الجهال بهذه المسألة، وأنت بحمد الله من ذوي الالباب، في هذا الباب، فمشّه بفقهك وحكمك، فتتظر فيه بفضل علمك.

وأمرك ان تنظر في المساحقات، وفي القحاب المتعاشقات، فإنهنّ إذا تُركن كذلك، إكتفى بعضهنّ ببعض، واشتغلنّ بالنافلة^(٤٢) عن الفرض، فيكون ذلك سبباً للفساد، وداعية إلى الكساد، فاردعهم بالتنكيل، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

(٤١) هيّت: صاح به. ومن هنا الى (في أعكانها) اجتهد من عندنا لان النص غير واضح في ا ومختلة في ب. ج. (م).

(٤٢) النافلة: ما تفعله ممّا لم يُفرض ولم يجب عليك فعله.

الباب التاسع

في أدب الدب
ونوادر أخباره
وملح أشعاره



أول شروط الداب: أن يكون صغير الأير، فإن كبر الأير والدب لا يجتمعان. فإن دب كبير الأير عرض نفسه إلى صفع القذال^(١) ونتف السبال.

ومما حكي في ذلك:

ان رجلاً عظيم الأير دب على امرء ظريف فاستيقظ لعظم ما أحس فأمسكه واستغاث، فجيء بالسراج وأير الرجل في يده قائم كأير الحمار، فقال لهم: (يا أصحابنا، نشدتكم الله، هذا أير من يدب؟ وهل^(٢) أنا وغيري يحتمل هذا وهو يقظان؟ فكيف من يكون نائماً؟)، فتناولته الأكف من كل جانب.

* * *

ثم يجب على الدباب بعد ذلك الاستعداد بعشرة أشياء، وهي^(٣):

[١] سنارة فيها خيط طويل

[٢] ودرج ورق

[٣] وثلاث حصيات

(١) القذال: ما بين الأذنين من مؤخرة الرأس.

(٢) أ: وما أنا.

(٣) الترقيم التالي وما سبيله من عندنا (المؤلف).

- [٤] وتراب لين
[٥] ونقّ صغير
[٦] ومقراض
[٧] وجعفة فيها دهن
[٨] وكلوتة^(٤) فرو
[٩] ودرهم زُيُوف
[١٠] وبيضة نيئة.

[١] فأما السّارة والخيط

ففائدتهما ان العادة جرت إذا نام غلام مع قوم واستراب منهم تركهم إلى ان يناموا ويطفأ السّراج، قام من الموضع الذي هو فيه إلى موضع آخر ونام^(٥) فيه. فإذا أُلْتَمَس في موضعه لم يوجد، وريّما وقع المُلْتَمِس له على غيره فافتضح وسلم الغلام، فيستعد الدّاب بأن يجعل السّنّارة في ذيل الغلام ويكون طرف الخيط في يده. فإذا قام إلى موضع آخر بقي الخيط دلالة له، فيقوم ويتبع الخيط حتى يهديه عليه، ثم إذا وصل إليه قصر الخيط وشبك السّنّارة في الحصير أو في البساط، فإذا استيقظ وقام يتبعه عاقه الخيط عنه إلى ان يصير إلى مأمنه.

[٢] وأما درج الورق

فإنه يمدّه كالقصبه ويطفىء به السراج إذا نام اهل المجلس.

[٣] وأما الثلاث خصيّات

فإنه يرمي بإحداهن على آنية نحاس أو غير ذلك، كأنها سقطت من

(٤) الكلوتة: قُبعة.

(٥) ١: نام. ب: فنام.

السقف، فيختبر هل نام الناس. فإن رفع أحد رأسه تناوم ساعة وإلا^(٦) فيعلم أنهم ناموا.

[٤] وأما التراب اللين

فإنه إذا وصل الغلام قريباً وجده مستلقياً على قفاه أو على جائبه، فيذُرُّ على عينيه من التراب فيظنُّ أنه سقط من السقف، فيمسح وجهه وينفتل^(٧)، فيتمكّن منه.

[٥] وأما الزق الصغير^(٨)

فإنه إذا كان المدبوب عليه ملاصقاً لجانب شخص آخر فيجعل الزق بينهما وينفخ فيه إلى أن يتسع له موضعاً.

[٦] وأما المقرض

فإنه يقطع به التكة أوي فتح به مقعدة^(٩) السراويل.

[٧] وأما الجفبة التي فيها الدهن

فإنه ربما يجفّ ريقه في فمه من الخوف والدهش، فيستعين الدهن.

[٨] وأما كلوته الفرو

فإنه يتعرّى من ثيابه ويلبسها على رأسه مقلوبة والصوف ظاهره. وقد جرت عادة الغلمان إذا قام أحدهم للدابّ يمسكه بثيابه فلا يجد ثوباً

(٦) وإلا: ناقصة من أ، وهي إضافة من ب.

(٧) ينفتل: يستدير.

(٨) هذا الفصل ساقط بكامله من أ، و(فإنه) إضافة من عندنا اقتضاها سياق الأسلوب.

(٩) المقعدة - مكان القعود، أي أسفل السروال.

يتشبّث به، فيبادر إلى رأسه ليمسك شعره، فتقع يده في الصوف فيظنّه شعراً فيقبض عليه، فيملص الدابّ من يده وتبقى الكلوثة في يد الغلام، ويسلم.

[٩] وأما الدراهم الزئوف

فإنه تكون مُعدّة معه، فإذا استيقظ الغلام بادر بوضعها في يده. فإن رضي فاستقرّ قضيّ أربه منه، ثم لا يحصل بالغداة^(١٠) على شيء.

[١٠] وأما البيضة النينة

فإنه يبادر ويستلقي على وجهه ويكشف أسنّته ويضع شيئاً من بياض البيضة^(١١) بين فخذه ويتناوم. فإذا جاء السراج ووجد على تلك الحالة قيل: (وهذا أيضاً ممن دُبّ عليه)، فسلم بذلك من أن يُتّهم بالدبّ.

(١٠) الغداة: أوّل النهار.

(١١) إضافة لي ج: (إذا تنبه له).

النوادير في هذا الباب

دبّ غلام على آخر ففطن له، فقال: (ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً)^(١).

فانتظره حتى نام ودبّ له ثانية فأولج فيه وقال: (ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها)^(٢).

دبّ انسان على آخر فانتبه وأيره في استه، فقال: (ما هذا؟) فقال: (والله الذي لا إله إلا هو، ما علمتُ)، فقال: (يا ابن الفاعلة، إخرجه)، فقال: الآن، تمّ النعمة واجعلها يداً^(٣).

نام الجمّاز مع قوم فدبّ إليه انسان غلطاً، فانتبه الجمّاز فأخذ شيئاً من ريقه وقال: (يا سيدي، استعن بهذا في سفرك)، فحجل صاحبه وانصرف عنه.

وحكى السّجستاني، قال:

كان أبو بكر بسجستان مضحكاً للامير ومنادماً له. وكان إذا سكر ونام أهل المجلس دبّ حيث كان ولم يُبق على أحد. وكان كثيراً ما يبيت في دار الامير، فيقوم على رسمه^(٤) وربما وقع على الامير، فقال له الامير يوماً: (ويحك، أنا رجل شيخ، وفي داري من الغلمان ما ترى، فدبّ على مَنْ شئت منهم ودغني)، قال: (ايها الامير، إني لا اتعمّد ولكنني من أين أميّرك من

(١) سورة الاحزاب، آية ٢٥.

(٢) سورة القصص - آية ١٥.

(٣) اليد: النعمة والاحسان.

(٤) الرسم: الامر.

غيرك في تلك الحال؟ فقال الحسين، نديم آخر كان للأمير: (مرّ غلامك ان يجعل عند رجلك سيفاً مسلولاً، حتى إذا وقع عليك عرفك وعدل عنك). فاتفقوا على هذا.

فلما نام الأمير في بعض الليالي والسيف مسلول حيث اتفقوا عليه، قام الحسين وأخذ السيف ونحاه، وجاء أبو بكر فأخذ في العمل فانتبه الأمير ولم يحرده^(٥)، وقال: (ويحك، أنا الأمير)، قال: (فأين العلامة التي كانت بيننا؟) فضحك الأمير وعلم أن الحسين نحى السيف.

وقال الجاحظ:

نزل بي ضيف فنوّمته في الدار فوجدته في بعض الليالي معي على السرير ينيكني فقلت: (ويحك، ما هذا؟ ولم دخلت هنا؟) فقال: (وجدت البرد)، فقلت: (فلم طلعت على السرير؟) فقال: (من البراغيث)، فقلت: (فلم تنيكني؟) فقال: (ليس هذا موضع المسألة).

وحدّث محمد بن موسى، وكان شيخاً من أبناء تسعين سنة، قال: كنّا في مجلس فيه جماعة وعندنا مغنّ أمرد، فلم نزل نشرب إلى ان امسينا وأخذ كلّ واحد منا مضجعه وفي قلبي أنّي أدب إلى المغني. فجاءني واحد ليحل سراويلي فأخذت يده فجعلتها على لحيتي فتركني وذهب. ثم جاء آخر فتخوّفت أن لا يدعوني أنام ويفوتني المغني، فتناومت حتى ناكني وقام.

فلما قام جاء آخر وتغافلت له أيضاً، ثم جاء صاحب البيت. فلما طال عليّ قلت: (ويحكم، أنا أناك إلى الغداة)، فقال صاحب البيت: (هذا أنت يا أبا جعفر؟) وقام إلى المغني وقال: (أنا كافرٌ إن تركتُك أو ينيكك أبو

(٥) يحرده: يغضب.

جعفر، فقد ناكوه بسبيك، وبيننا وبينه مودة منذ سبعين سنة).

وحدث بعضهم، قال:

دبّ واحد إلى غلام فانتبه الغلام وأخذ حجراً ورماه به فشجّه وجرى الدم، فلما أصبح قيل له: (استعد^(١) عليه)، فقال: (يا قوم، أنيكم من غير أن استأذنهم واستعدي عليهم إذا ضربوني؟ هذا لا يجوز).

وشرب أبو سعيد الحديثي عند قوم وعندهم غلام حسن الوجه ومعه أبوه، فقام أبو سعيد في جوف الليل يدبّ على الغلام فوقع على الأب، فقال: (من هذا؟) فقال أبو سعيد: (اليس قلت لك إذهب إلى السوق؟ لم لا تذهب؟) فقال: (يا سيدي، فمنّ يقال له إذهب إلى السوق وما يذهب، ينيكوه؟).

اجتمع قوم على شراب ومعهم مغنّ أمرد، وكل واحد منهم قد وضع عينه عليه، وكان الغلام عياراً. فلما ناموا وأطفأوا السراج قام الغلام من موضعه إلى موضع آخر فنام، وكان شيخ نام عند موضع الغلام فدبّ عليه واحد من القوم فانتبه الشيخ وعلى ظهره رجل وأیره في أسسته، فقال: (يجب أن يكون هذا غلط). فأخذ يده فوضعتها على لحيته، فلما مسّها، وقد قارب الفراغ، جعل يجيء ويذهب ويقول: (يا سيدي، أنت أولى من قبل العذر. فوالله ما علمت أنك هو؟) فقال الشيخ: (يا أخي أيرك في أسستي، عافاك الله، وأنت تجيء وتذهب وأنت تعتذر، فكيف أعذر؟).

ودبّ الصّخري إلى غلام فانتبه الغلام وقبض على أير الصّخري، وقال:

(١) استعدّ عليه: استنصر بفريك عليه.

(مَنْ ذَا؟) قال الصَّخري: (ليس أنا)، قال الغلام: (فهذا في يدي حتى يجيء صاحبه الكُشْخَان).

قال مؤلف الكتاب:

جرى يوماً ذكر العجائز وعُلِّمَتْهُنَّ^(٧) بيني وبين صديق لي بالاسكندرية، فقال: (سأحدِّثُك بما شاهدته في ذلك مما يكون لك فيه أعظم بصيرة. كنت في ريعان شببيتي أبيتُ في دار صديق لي شاب، وكان يبيتُ عندي يشرب تارة ويلعب الشطرنج تارة. وله أم عجوز ولي أيضاً أمٌ كذلك. فجنَّته ذات ليلة لأبيت عنده على العادة، فوجدته قد دعاه صديق له وأمسكه ليبيت عنده. فجلست انتظره إلى أن مضى صدر من الليل، وكانت ليلة ذات شتاء ومطر ولم يمكنني العود إلى منزلي، فبتُ في الدار والعجوز إلى زاوية البيت، وهي عندي بمنزلة والدتي.

فلما جنَّ الليل ودفنْتُ في الفراش تحرك عليّ ساكن ووقفتُ على صدق قول الصَّادق الأمين: «لا يخلون رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما»، فخطر ببالي نيك العجوز ثم لعنتُ الشيطان وصرفتُ هذا خاطر عني وطبِيتُ^(٨) نفسي بالنوم فامتنع عليّ واهتجتُ وحركني لذلك نفسُها معي في البيت وخلو الموضع، ولا يلمني اللائمُ حركةً لم أملك معها نفسي، فقمْتُ ودنوتُ منها ومددتُ يدي إليها وكشفتُ ذيلها ووضعتُ يدي على كسِّها وإذا به كقنفذ ملتقٍ في شوكة من الشعر، فلعنتُ نفسي ورجع العقل إلى رأسي فتركتها وأردت النوم فلم أستطع، وحصل إنعاظ شديد وأجبر الخاطر فتركتها وأردت النوم فلم أستطع، فاستيقظتُ وعاد الخاطر الأول أشد ما كان اضعافاً مضاعفة، فتقدَّمتُ ومددتُ يدي وحركتها، فقمْتُ إليها على نية غشيانها على تلك الحالة، فمددتُ يدي إلى كسِّها فإذا به أنقى من الرَّاحة، ليس فيه زغب ولا شعر. وعلمتُ أنها أحسَّت بي أولاً

(٧) الغلظة: استحكام الشهوة.

(٨) ج: وطمعت.

وعلمت ان رجوعي كان استقذاراً لها بالشعر فما أعلم كيف أزالته في تلك اللحظة كأنه لم يكن فيه قطّ نبت شعر، فوقعتُ عليها بشهوة مستحكمة وعزيمة قوية، الليل كلّهُ إلى الصباح، وانصرفت إلى بيتي فقفلتُ على عجوزي الباب وصرت أغار عليها غيرتي على الكواعب الأتراب.

وشرب جماعة في مجلس رئيس من الرؤساء بالمغرب، وفي المجلس غلام لربّ المجلس. فلما ناموا دبّ أحدهم إلى الغلام. فلما أحسّ به، وهو سكران، قال بأعلى صوته: (سبحان الله)، كالمفكر. فانتبه صاحب المنزل فقال: (مرّ هذا يقرأ القرآن؟) فرفع رجل ظريف، كان في القوم، رأسه في الظلام وكان قد فهم القضية فقال على الفور: (فلولا أنه كان من المسبّحين. للبتّ في بطنه إلى يوم يُبعثون)^(٩).

(٩) سورة الصافات، الآيتان ١٤٣ - ١٤٤.

مُلَحّ الأشعار في هذا الباب

قال أبو حليلة: أنشد أبو اسحاق الكوفي في غلام دبّ إليه فتناوم له حتى قضى غرضه منه، لبعضهم^(١):

ومنتبه بين الندامي رايته وقد نام اهل البيت دبّ إلى الساقبي
فلما انتحي^(٢) فيه تحرك وانكا واطرق، عند الزهن، آية إطراق
ولو لم يكن يقظان ما قام ابره ولا لفّ عند النيك ساقاً على ساق^(٣)

وله:

يا ليلة الوصل من احبابنا عودي إيّ، فقد اذوى الاسى عودي
لم اسنّ ليلى والواشون قد هجعوا وللكرى كلّ فضل غير مجحود
[^(٤)] كالماء بين لحي الأشجار والعود
وللكرى فتكات فيه بالغة بني منه غاية آمالي ومقصودي
يا ليلة الوصل عودي للمنتيم، بلّ يا غلطة الدهر من احبابنا عودي

(١) الأبيات التالية منسوبة إلى أبي نؤاس، وترد هكذا:

ومنتبه بين الندامي رايته وقد نام اهل البيت، دبّ إلى الساقبي
فاولج فيه مثل اسود ساج اصم، من الحيات، ليس له راق
اشقّ لريح الاست من حد شجرة وانفذ في الخصيين من راس مِرْراق
فلما انتحي فيه تحرك وانلني واطرق عند النيك احسن إطراق
للكت له: لا تفلن مضراً ولا مشفقاً في غير موضع إشفاق
اجذ عصر خصيبه فان سكونه سكون فتى صب، إلى النيك مشفق
ولو لم يكن يقظان ما قام ابره ولا ضم، عند النيك، ساقاً إلى ساق

- الفكاهة والانتناس - طبعة مصر ١٣١٦ هـ -

(السالج: حامل السلاح، الرافي: من يصنع الرقية، المِرْراق: الرمع القصير).

(٢) ب، ج: انتهى.

(٣) أ: ساقبي.

(٤) الشطر ممحو في أ، والأبيات الثلاثة الأخيرة ناقصة من ب، ج.

وانشد جلال الدين مكرم بن ابي الحسن الأنصاري:

وحبيب سألته الوصل أو وغ	دأ أدأوي به الفؤاد العليلا
فأبى، فاستعنت بالراح حتى	رضت منه خلقاً كريماً جميلا
ثم راودته فاعرض وأزور وأب	دى نكراً عريضاً طويلا
فتغافل ثم عاطيته الزاخ فا	غفى، ونام نوماً ثقيلا
فبلغت المراد، إذ نام، منه	حين لا يستطيع قالاً وقبلا
ثم احسست بالنشاط فعاودت	إليه، لما وجدت سبيلا
وتخوفت أن يكابر يق	ظان فنتهته قليلاً قليلا
فراى ما جرى واصبحت في الص	حو غنيّاً عن أن اقيم دليلا
هكذا يفعل المحب بمن يهـ	وى إذا كان بالوصل بخيلا

وقال أبوتمام:

ولما تملأ من سكره	ونام ونامت عيون العسس
دنوت إليه على بعده	دنو رفيق درى ما التمس
ادب إليه ديب الكرى	واسمو إليه سمو النفس
وبت به ليلتي ناعماً	إلى أن تبسم ثغر الغلس
أقبل منه بياض الطلا	وارشف منه سواد اللّغس ^(٥)

قال محمد بن الصولي:

حدّثني علي بن محمد بن بسام، قال: كنتُ اتعشق خادماً لخالي أحمد بن حمدون فقمّت إلي لأدب عليه فلما قربتُ منه لسعّني عقرب فصرختُ، فقال لي خالي: (ما تصنع ههنا؟) فقلت: (جئت لأبول)، فقال: (تبول في أسّ غلامي؟) وأنشدت:

ولقد سريت مع الظلام لموعِدِ حصلّته من غادر كذاب

(٥) اللّغس: السواد في الشفاه.

فإذا على ظهر الغلام معدة سوداء، قد عرفت أوان ذهابي
لا بارك الرحمن فيها عقرباً دبابة دبّت إلى دبّاب
فقال خالي: (قبّحك الله، فلوتركت المجون يوماً لتركته في هذه الحالة).

(تمّ الباب التاسع من هذا الكتاب)

الباب العاشر

في إتيان الاناث
كما في الذكور
وما قيل فيه
من نوادر وأخبار
وملح الأشعار



ذكر الأطباء:

إن كثرة غشيان المرأة الحامل في الدُّبر يُوجب خروج الولد بَغْي. ورأيتُ كلاماً لبعض الحكماء يعضده، قال: (مَنْ نَكَحَ امرأة في الدُّبر وهي حامل فأتته بولدٍ بَغْي، فلا يلومنَّ إلا نفسه).



فأما هذا الفعل فيُسمى المسمَّى: المذهب المالكي، وتسمى المرأة المساعدة عليه: مالكية. وسبب تسميته بهذا الاسم هو أن مالكا^(١)، رحمه الله، روي عنه جواز ذلك، وإن في جملة المسائل التي سألها عنها هارون الرشيد أن قال له: (ما تقول في نكاح المرأة في الدُّبر؟) فقال: (روى محمد بن سحنون وغيره من أصحابه، جواز ذلك).

ويُحكى عنه أنه قيل له في آخر عمره، عندما خالفه كثير من فقهاء الأمصار في ذلك: (هلاً رجعت عنه)، فقال: (كيف وقد سارت به الركبان؟)^(٢).



(١) يعني به الإمام مالكا بن أنس (٩٣ - ١٧٩ هـ)، صاحب «الموطأ» الذي هو أساس المذهب المالكي. وللطرافة فإنَّ لمذهب مالك المكانة الكبرى في المغرب (م).

(٢) ١ - هامش في أ بخط يبدو أنه تعليق لأحد مالكي الكتاب: [ما نسب إلى الإمام مالك من الكلام فيه (.....) وممن وبهتان صريح. قال ابن..... (الجوزي؟) في مختصره ونصّ ونسب (كليل؟)].

ولحمد بن سحنون، عنه، في رسالة استدّل فيها على جواز ذلك أيضاً وقياساً في حديث فلانة عن عبد الرحمن بن القاسم عن مالك، رحمه الله، عن نافع عن ابن عمر، رضي الله عنه، قال:

أتى رجل^(٣) إلى النبي، صلى الله عليه وسلم، فقال له: (يا رسول الله، إنّي حولت الرجل)، فقال: (وما ذاك؟) فقال: (نكحتُ امرأتي في دُبُرِها).

(قال):

فقرا: (نساؤكم حرّت لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم)^(٤).

(قال):

ونافع عند المحدثين ثقة لا شك فيه. (قال): ولم يردّ حديث يعارض هذا الحديث ولا يدلّ على نقضه. (وقال): وأما القياس فهو بقوله، صلى الله عليه وسلم، في الحائض: (يُسَدُّ إِزَارُهَا وشَأْنُكَ بأَعْلَاهَا)، فأبيع ما دون الفَرْج من جميع الجسد، ومُنَعَ الْفَرْجَانِ^(٥) بحكم الحيض. وإذا ارتفع الحيض استبيع ما حُضِرَ بسببه منهما، إنْ لا تخصيص.

وأخرج أبو محمد عبد الحق بن عطية في كتابه الملقب بـ (المحرز الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز) أن فرقة ممن فسّر قوله تعالى: (فأتوا

= في كتاب «السّر» وهو مجهول وعن (لد...١٩) وهب سألت مالكا فقلت: انك (...) نزل، فقال: معاذ الله، وتلا من الآية (نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم) والحرث لا يكون إلا في موضع الزرع]. انتهى التعليق وأحسبه واضحا رغم أنني لم أثبت بعض الكلمات لأنها محوطة تماماً (م).

ب - هامش آخر فوق وبخط مختلف: [ورد في الحديث النبوي: ملعون من أتى امرأة في دُبُرِها]. وقربه هامش إضافي يكاد أن يكون محوواً تماماً، لم نتبينه (م).

(٣) في (أسباب النزول) للسيوطي يذكر، مستنداً إلى أبي داود والترمذي، أن هذا الرجل هو: عمر بن الخطاب. راجع (تفسير الجلالين، دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٣ - ص ٧٥) كذلك راجع تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ص ٢٦١ طبعة دار الدعوة - استانبول.

(٤) سورة البقرة، آية ٢٢٣.

(٥) الفرجان: الفرج والدُبُر.

في إثبات الإنثاء كما في الذكور

حرثكم أنى شئتم) ذهب إلى ان الوطاء في الدبر جائز.

(قال):

وأما سيبويه فـ (أنى) عنده تجمع معنى (كيف) و (أين).

(قال):

ورُويت الإباحة فيه عن ابن أبي مليكة ومحمد بن المنكدر، ورواها مالك عن قَدَّ بن رومان عن سالم عن ابن عُمر، قال: (وروى بعضهم أن رجلاً فعل ذلك في عهد رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فتكلم الناس فيه، فنزلت هذه الآية).

(قال):

وروي عن مالك شيء في نحوه، وبالجمله فهي مسألة خلاف.

نوادير هذا الباب



رفعت امرأة قصّة إلى قاضي القضاة عبد الجبار بأن زوجها يأتيها في دُبرها، فدعاه القاضي، وكان في حديثه غلاماً له، فعرض عليه القصّة، فقال: (نعم، أنيكها في دُبرها، وذلك مذهبي ومذهب القاضي)، فخلج القاضي من قوله ولم يجبه بشيء.

ورفع رجل إلى ابن سمحون قصّة، وكان يتولّى النظر في الرعية بنفسه؛ وكان في القصّة: إبنتي تحبّ فلاناً التركي، وهو يسومها في دُبرها.

فدعاه القاضي وقال: (ما هذا؟)، وكان ذلك مملوكاً للقاضي، فقال للقاضي: (تعلم اني حملتُ ذلك من الناس، إذ هم ينيكوني في استي، ثم إلى خراي، ثم إلى بطني، ثم حملتُ إليك فكنتُ تنيكني في إستي، فما علمتُ أن هذا لا يفعلونه)، فخلج كل الخجل من قوله وقال للصهر: (قم عافاك الله يا غافل).

قال رجل لزوجته: (دعيني أنيك في استك)، قالت: (أنا لا أجعل استي ضرة لِحِرِّي^(١)، مع قرب ما بينهما).

وسُئل بعض الفقهاء عن إتيان المرأة في دُبرها، فقال: (إن الله تعالى يقول: (نساؤكم حرث لكم)^(٢) والاشتُ مزرعة الفرج، فمن حلت له القرية حلت له المزرعة).

(١) الحِرّ: الفرج، وهو تخفيف (الحِرَج) لغة.

(٢) سورة البقرة، آية ٢٢٢.

حدث محمد بن عياض الحمصي، قال:

دخلتُ مدينة السَّلام بتجارة من تجارات الشام، فبعتُ واشتريتُ وأفضلتُ^(٣). فبينما أنا مارٌّ في بعض أرقة بغداد إذا أنا بعجوز قد اتنتني، فقالت: (يا ولدي، ههنا جارية تريد أن تكلمك بشيء)، فسرتُ معها إلى دار، فلما دخلتُ إذا بالجارية كأنها الهلال أو خطُ المنال، وعليها حللٌ لم أر مثلاً. فأذهلني حسنُها وما رأيتُ من جمالها وكمالها وبقيتُ حائر الطرف لا أنطق بشيء غير أن أردتُ طرفي في محاسن وجهها لقوامها وبهجتها وزهرتها. فلما رأتُ ذلك مني قالت: (أتدري لِمَ دعوتك؟)، قلتُ: (لا والله يا سيدتي)، قالت: (إني رأيتُك قد أرقتُ الماء في الموضع الفلاني فنظرتُ إلى رأس ذُكرك فإذا هو لا يصلح إلّا أن يكون صمّاماً لعَفْجي^(٤)، فهل لك في بيعه؟)، فقلتُ لها: «هذا من بيوع الأعيان، وقد رأيتُ عين سلعتي فأريني عينَ سلعتك، فإن وافقتني عينها وهبتها لك ولم أمتنع»، فقالت العجوز: (صدق الفتى)، فإذا هي قد استلقتُ ورفعَت رجليها وضمتَهما كأشد ما يكون، ثم قالت: (ذرني ولأياه آخذه بيدي فأضعه على الحلقة، فإن كان يصلح لها اشتريته)، فقلتُ لها: (شأنك وهو)، فكشفتُ عن عجيزتها فإذا هي في بياض اللبن الحليب ونظرتُ إلى ما بين أليتيها فإذا رائحة المسك تسطع، وإذا هي قد أخذتُ ذريرة^(٥) ممسكة فأذافتها^(٦) بماء ورد ولطّخت به اليتها لطخاً كثيراً إلّا الحلقة نفسها.

فلما رأيتُ ذلك لم أتمالك أن قبلتُ أليتها، وأصابني من الشهوة والشبق ما لم يصبني قط مثله. فلما رأت ذلك أخذتُ دهناً فدهنت به حلقتها، ثم أخذته بيدها فوضعتُه على رأس الحلقة ثم قالت: (يا سيدي اطبقه)، فأطبقتُه وزهرتني بعجيزتها زهرةً غاب إلى أصله، وأفضيتُ إلى

(٣) أفضل: زاد.

(٤) الصمّام: السداد. والغفج: النكاح من الذب.

(٥) الذريّة: نوع من الطيوب.

(٦) اذافتها: خلطتها.

حرارة شديدة وضيق. ورايتُ من النخير^(٧) والرَّهْزُ ما لم أتَوْهَمُ انه يكون في امرأة، فما نزلتُ عنها إلَّا عن أربعة. فخرجتُ من عندها وأنا اتلفتُ، فسألتُ العجوز عنها فقالت: (هي جارية قُصْرِيَّة^(٨)) ليس لها عمل غير هذا، وإذا هي كثيرة المال. قلت: (افتتزوج؟) قالت: (نعم)، (قال): فعدتُ إليها وخطبتُها لي العجوز، فتزوجتها وبقيتُ معها في لذة وطيبة عيش.

وحدث الزيادي قال:

تعشقتُ جارية بطبرستان، فاقمتُ أحاول إليها الوصول دهرًا حتى ظفرتُ بها. فكانت لا تبيحني نفسها إلَّا في الأيام مرة، وكانت لي جارة كنتُ الألفها وأبرزها لحاجتي إليها، وربما خلوتُ بالجارية في بيتها. فوجَّهتُ إليَّ تلك الجارة ذات يوم فأخبرتني ان الجارية عندها، فسرتُ إليها ومعني طعام وشراب فاكلنا وشربنا، وكانت ذات ردفٍ لم أر على امرأة مثله، فقامت في غلالة تريد حاجة، فلما رايتُ ما خلفها هجتُ لذاك وحَدَّثْتُ نفسي بوطنها هنالك ولم أذكر شيئاً، فتحاملتُ عليها بالشراب حتى نحلَّت ورددتُ، ثم بطحتُها على وجهها وكشفتُ عن إلتها فلم أتمالك أن دلكتُ الخَلْفَةَ بأيري دلْكاً جيداً ثم أولجته فكانما وقع في تنور مائع الحرارة، فهبتُ وصاحتُ ونخرتُ فانكبتُ عليها حتى هدأتُ، وسددتُ عليها فأحسستُ بقبض حلقها على أيري. فلم أزل كذلك حتى سكنتُ. وتابعتُ الرَّهْزَ حتى فرغتُ ثم قمتُ عنها وقد ندمتُ على فعلي بها، وأنا أتَوْهَمُ انها القطيعة فيما بيني وبينها، ثم افترقنا.

فلما كان العشاء أرسلت جارتها تسألني المصير^(٩) إليها ففعلتُ، فناولتني ثوباً مُزَوَّجاً^(١٠) وجبة خز ومنديلاً من دق مصر، وقالت: (إنها تقول

(٧) النخير: مد الصوت من الخياشيم.

(٨) قُصْرِيَّة: خاصة.

(٩) المصير: الرجوع.

(١٠) مُزَوَّج: مذق.

لك هذه جائزتك على النيك في الأست، فإن أدمت لنا ما أذقتنا دأماً لك ما بذلنا).

(قال):

فوالله ما انتفعت بعد ذلك طول ما كان بيننا بدرهم واحد مني، ولا كانت تقبله بعد ذلك، بل هي تبذل لي ما يكون عندها. وبقيت معها بعد ذلك في الذ عيش تدرّ هداياها عليّ.

وحدثت امرأة لأخرى، قالت لها: (لو ذقت النيك في الأست لرديت باب الح).

وقالت وهينة ابنة عمير التغلبية: (النيك في الأست وتدّ العشق).

قدمت امرأة زوجها إلى القاضي، فقالت: (أعرك الله، إن زوجي هذا إذا قدّمت له الطعام ليأكله قلب المائدة وأكل على ظهرها)، فقال القاضي: (الطعام والمائدة له والبيت بيته، دعيه يفعل ما أراد)، قالت: (ليس هذا عنيت وإنما أردت أنه لا يأخذ في الطريق المستقيم)، قال: (وما عليك منه؟ دعيه يمش حسب شأنه، فإن الأرض كلّها لله تعالى)، قالت: (ما هذا أردت وإنما هو ينيكني في استي)، فقال: (والله طيب وأيش بقي أحسن من هذا؟) فقامت المرأة وقالت: (قطع الله ظهرك بين القضاة، ماذا أقول لزوجي بعد هذا؟)

ارتفع إلى أبي ضمضم رجل وامراته، وفي وجه المرأة خدش، فذكرت أنه ضربها وشجّها. فقال الزوج: (أصلح الله القاضي، هذه امراتي تكذب، إنما ذهبت لأخذها في الأست على أربعة فوقعت على وجهها)، فقال أبو

ضمضم: (يا هذه، إنما كان مبدأ السبب من قبلك، فكوني شدي ركبتيك
حتى لا تقع على وجهك، فليس له عندي ذنب).

مُلح الأشعار في هذا الباب

هَمَام:

ومذعورة جاءت على غير موعد
فقلت لها: لما استمر حديثها
أبيني لنا هل تؤمنين بمالك؟
فقلت: نعم، إني أدين بدينه
فبتنا إلى الاصبح ندعو لمالك
ونؤثره فيما احتسبنا ونتبع
ونفسي إلى أشياء منها تطلع
فأني بحب المالكة مولع
ومذهبه عدل لدي ومقنع

لابن الحجاج:

حاضت وكانت لي ديون مضت
فبت في الوقت على سزمها
عند استنها من مدة طائلة
ودية النيك على العاقلة

وأشدد مكرم بن أبي الحسن الأنصاري:

سالت منك مباحاً عند بعضهم
فما اجبت وأهل البيت قاطبة
ماذا تقولين في تحقيق ظنهم؟
وما لك لو سالنا فيه^(١) يفتينا
قد الحقوه بنا ظناً وتخميناً^(٢)
من المروءة ألا ياثموا فينا

وله:

توهم فينا الناس امراً وصرحت
وظنوا، وبعض الظن إثم، وكلهم
تعالى نحقق ظنهم لئريخهم
به السن واستيقنته قلوب
بحديثه فينا عليه ذنوب
من الأثم فينا، مرة، ونتوب

(١) ا: منه. ب، ج: فيه.

(٢) ا: وتحسينا.

محمود الورداق^(٣)

رأت زِيَّ الغلامِ اتمَّ حُسْنًا وادعى للفسوق ولللاثامِ
ترجُلُ شعرَها وتطيلُ صُدْعًا وتلوي كُمَها فغلَّ الغلامِ
وتغدو للصوالجِ^(٤) كلَّ يومٍ وترمي بالبنادقِ والسهامِ
فكيف لها بحيلةٍ سدَّ حرَّ بعيدِ القعرِ ليس بذِي التيامِ؟

* * *

(٣) هكذا في أ، ب، ج: والشعر ينسب الى أبي نؤاس.

(٤) الصوالج (الصوالجة): جمع صولجان، والمراد اللعب المعروف بالكرة والصولجان.

الباب الحادي عشر

في أدب السّحق
والمساحقات
ونوادر أخبارهن
وملح الأشعار فيهنّ



ذكر الأطباء أن أصل هذا الداء خِلْقة^(١) في النساء، ثم اختلف في السبب في ذلك. فذكر بعضهم أن هيئة الرحم قالب، وذلك إن رَحِم المرأة في الخلقة على هيئة ذَكَر الرجل، لا فرق بينهما في الصورة. إلا أن ذكر الرجل بارز إلى الخارج ضَيِّقُ المجرى، ورحم المرأة مقلوب إلى داخل، واسع المجرى. وإن ذَكَر الرجل إذا ولج في رحم المرأة سدّه من جميع جوانبه طولاً وعرضاً. ولذلك تجد المرأة والرجل لذّة ملامسة العضوين عند الجماع.

(قالوا): ثم إن كان ذَكَر الرجل يختلف في الطول والقصر، فكذلك رحم المرأة أيضاً. فإذا اتفق أن مقدار رحم المرأة على مقدار ذَكَر الرجل أحبته، وإن كان مخالفاً لها أبغضته.

مثال ذلك: أن تكون مسافة فرجها قصيرة وذَكَر الرجل طويلاً، فإنها تتأذى به وتكره الرجال وتحب السَّحاق. أو مَنْ يكون قصير الذَكَر وكانت^(٢) مسافة رحمها طويلة، فإنها لا تشتفي من الرجال إلا بمنْ يكون طويل الالة جداً.

وما يكون من السحاق شبيه قصر مسافة الرحم، فكراهة الرجال

(١) الخِلْقة: الفطرة والهيئة.

(٢) ١: كانت.

لصاحبتة دائمة، والعلة لها في ذلك ملازمة.

وحكي عن ابن ماسويه أنه قال:

قرأت في الكتب القديمة أن السحق يتولد من تغذي المرضعة الكرفس والجرجير^(٣) والحمدقوق، فإنها إذا أكثرت منه وأرضعت صار عادية^(٤) ذلك إلى شُفَرِي المولودة. فتتولد هناك الحكة، وهذا الداء هو بغاء النساء، لأنه حكة تعرض في شرح الرجل.

وربما كان السحاق عادة من الولع باستعمال الجواري لذلك، في صغرهن، حتى يبلغن عليه، فيبقين يشتهينه. كما أن البغاء أيضاً يكون من مثل هذا الحال، كما سنبينه بعد، وما كان من السحاق تولد فهو سريع الزوال سهل الانتقال، وما كان خلقة فهو عسر البرء وبعيد القبول للعلاج كما ذكرنا.

وقال بعض الحكماء:

السحق شهوة طبيعية، تكون بين الشُفَرين منعكسة كالدمل المنقلب، فتتولد منه بخارات تتكاثر فتتولد حرارة وحكة في أصول شُعر الشُفَرين، فلا ينحل ولا يبرد إلا بالدلك والإنزال عليها من امرأة أخرى. فإذا كان ذلك بردت تلك الحكة وانطفأت، لأن ماء المرأة، الذي يكون من السحق، بارد. والذي يخرج من الرجل حار، فلهذا لا تنتفع إلا بماء المرأة الذي لا يخرج إلا بالسحق.

واعلم إن هذا الأمر مبني عند أربابه على الظرف، وبهذا الاسم يسمون، يعني أنهم يسمين أنفسهن: الظراف. فإذا قلن فلانة «ظريفة»

(٣) الجرجير: بقلة من فصيلة الصليبيات، تستعمل للسُّلطة فتعطىها طعماً لذيذاً.

(٤) العادية: الضرر.

عُلِّمَ بينهنَّ أنها «سَحَّاقَة». ومن يتعاشقن كما يتعاشق الرجال، بل أشد. ويتفق إحداهن على الأخرى كما ينفق الرجل على عشيقته، بل أكثر أضعافاً مضاعفة حتى يبلغن فيه، على الانفاق، الألوف والمئتين. ولقد شاهدتُ امرأة منهن بالمغرب، كان لها مال كثير وعقار واسع، فأنفقت على عشيقتها المال الناضر^(٥). فلما فرغ وأكثر الناس عليها من العتب والملامة، سوَّغت^(٦) لها جميع العقار فحصلت على نحو خمسة آلاف دينار.

ثم انهن يستعملن كثرة العطر الخارج عن الحد، ونظافة الثياب الزائدة على الصفة، ومن الفرش والأطعمة والآلة أحسن وأجمل ما يبلغه الامكان ويحملة الزمان والمكان.

ومن شرطهن:

أن تكون العاشقة أعلى والمعشوقة أسفل، إلا إن كانت العاشقة نحيفة الجسم والمعشوقة بدنية، فإنهن حينئذٍ تجعل النحيفة سفلى والبدنية علّيا، ليكون ثقل جَنبِها أشفى في الحك وأمكن لذلك.

وصفة عملهن:

أن تنام السفلى على ظهرها وتمدّ فخذيها الواحد وساقها، وتضم الآخر وتفرج عن فرجها مائلة لاحدى شِقَّيها. وتأتي العلّياء فتحتضن الفخذ المشتال وتضع أحد شفريها بين شفري السفلى وتحكّ ذاهبة وجائبة في طول البدن، سفلاً وعلواً. ولذلك يشبّهونه بسحق الزعفران، لأن الزعفران كذلك يُسحق على المنال.

(٥) النَّضْر: الذهب والفضة.

(٦) سوَّغت لها: أعطتها وتركته خالصاً لها.

وإذا بدأت بوضع الشفر الأيمن، مثلاً، حكّت به ساعة ثم تحولت فحكّت باليسر، ولا تزال كذلك^(٧) إلى أن تقضي المراتان^(٨) نهمتيهما.

فأما إطباق الشفرين على الشفرين فإنه لا منفعة فيه عندهن ولا متعة به. وسبب ذلك أن محلّ اللذة يبقى فارغاً من شاغلٍ، وربما استعين في العمل بقليل دهن بأن^(٩) ممسك.

ثم أن أوكد شروطهنّ فيه وأكثر أبوابه عندهنّ الذي لا بد منه ولا غنى عنه، إحكام الغنّج وجودة النخير والشخير واتقان صنعة الكلام المطرب المهيج للشهوة في ذلك الوقت. حتى أنهن يتطارحن ذلك ويعلّمنه ويتعلّمنه ويبدّلن الرغائب للحكيّمات فيه حتى يعلّمنه لمن لا تحسنه.

حكى عن حُبّى^(١٠) المدنية، وكانت من كبار السخّاقات، أنها قالت لابنتها: (عليك بصحة الشخير عند الرهن، واعلمي أنني نخرتُ بالبادية نخرة أجفّلتُ منها جمال عثمان بن عفّان، رضي الله عنه، فلم تجتمع إلى الآن).

حدّثني بعض الأدباء بدمشق، قال: أخبرني قاض من قضاة المصريين وأكابر أهلها المتصدّرين، قال:

خرجتُ ذات ليلة إلى القَرَافَة، وهذا الموضع هو مقبرة أهل الديار المصرية وفيه يجتمعون مع صديقاتهم من النساء لأنه موضع الجبانات^(١١)، تجتمع إليه النساء في كل اسبوع فلا يُخرج عليهن في ملازمته والمبيت فيه، ومبنيّ فيه مساكن يُنفق عليها نفقات صالحة.

(٧) ١: الأ.

(٨) ١: الزوجتان. والتصحيح المثبت جاء في الهامش.

(٩) البان: شجر معتدل القوام وورقه لين كورق الصفصاف، يؤخذ من حبه دهنٌ طيّب.

(١٠) ١: حبة.

(١١) الجبّانة: المقبرة.

(قال): فاتفق أن خرجتُ من منزلي بنيةً المبيت فيه مع أهلي وقدمت الفراش بما احتاج إليه من فرش وطعام وعلف الدابة وغير ذلك. وغلقت باب داري وتقدّم الغلام بمصباحه وسرتُ وحدي راكباً على بغل وقد ضاق الوقت، فوصلتُ إلى القرافة بعد المغرب عند اختلاط الظلام. فبينما أنا أسير بين الجبانات في موضع منقطع بطرف من أطراف القرافة، حتى سمعتُ في تربة من التراب شخيراً ونخيراً وشهيقاً يسلب العقول ويأخذ بمجامع القلوب، لم أسمع قطّ بمثله ولا ظننت أن أحداً يفعلُه، بحركات موزونة ونغمات مطبوعة والفاظ مسجوعة يُنسى لها نغمات الأوتار وتستخفى لديها ربات المزمار.

فسقتُ دأبتي إلى حائط التربة ثم تطاولتُ وأشرفتُ وإذا بامرأتين، السفلى جارية تركية تُخجل البدر كمالاً والغصن اعتدالاً، بيضاء، غضة^(١٢)، ناهد. وعليها امرأة نصيفة، بدينة، حسنة، نظيفة الزي، شكله إلا أنها ليست كالسفلى، وهي تساحقها وتطارحها ذلك الكلام. والسفلى تجيبها جواب مقصّر كأنها متعلمة لها.

فلما رأيتُ ذلك لم أتمالك أن صرختُ عليهما وقلتُ: (قوما، لعنكما الله)، وسقتُ نحويا ب التربة^(١٣) بنيةً أن أقفل عليهما ثم استدعي بعض المارين يؤدبهما، فلما صرّتُ على الباب قامت العليا وهمت السفلى بالقيام فقالت لها: (مكانك كما أنت)، فبقيتُ مستلقية على ظهرها ثم كشفتُ عن بطنها وسرّتها وصدرها ثوباً أزرق كان عليها، فبان لها صدر كالمرمر ونهدان كالرمانتين وبطن كأنه عرمة تلج^(١٤) فيه سرّة كمُدْهُن^(١٥) بلّور إلى حرّ راب، أبيض، مشرب بحمرة لم أشاهد قطّ عظمه ولا نقاها^(١٦)، ثم قالت لي: (ويحك

(١٢) أ، ب، ج: غضا.

(١٣) التربة: المقبرة.

(١٤) ب، ج: عرمة ملح. (العرمة: الكدس).

(١٥) المدمن: قارورة الدهن.

(١٦) النقا: كل عظم فيه مخ.

يا وحش يا ثقيل، رأيتَ قَطَّ مثل هذا؟)، فقلتُ لها: (لا والله)، قالت لي: (قدونك غنيمة نادرة هيأها الله لك، وانصرف بحال سبيلك).

(قال): فلما شاهدتُ ذلك وسمعتُه سُلِبَ مني العقل والدين ولم أملك نفسي، فقلتُ لها: (ويحك، معي هذا البغل)، قالت: (فانا أمسكه).

(قال): فنزلتُ، ويشهد الله أنني خالفتُ سجيَّتي في ذلك، ثم دفعتُ لها عنان البغل والسوط ودخلتُ التربة، فحللتُ عُقَدَ الرايات والقيتها على ساقي ثم حللتُ السراويل وألقيتُ طرف الطيلسان من وراء كتفي وأدخلتُ يدي فشلتُ ذبولي وقربتُ من الجارية فأنحيتُ عليها، فعندما أفضيتُ برأس ذُكْرِي إلى شُفْرِي فرجها ووجدتُ نعومته وحرارته لم أشعر إلا بحوافر البغل غادياً والمرأة تصرخ وتقول: (أفلت البغل)، فقمْتُ وأنا واله العقل وخرجتُ فإذا البغل غادٍ بين الجبانات في اختلاط الظلام، لا أعلم ان غاب عن بصري حيث ذهب، فعدوتُ وراءه وأنا على تلك الحالة، منعظ الذُكْر، محلول السراويل، ملقى الرايات على وجوه أقدامي، مختلَّ الطيلسان، أقوم مرة وأقع أخرى.

وبقي البغل غادياً وأنا غادٍ وراءه، وإن الملعونة لما أفلتته ضربته بالسوط في خاصرته فصار البغل يدنو ويرمح^(١٧) من يدنومه. فلما ذهب خلفه وأنا على حالة لو صُوِّرتُ في ورقة لكان شكلها يضحك الثكلان ويستوقف العجلان، فكيف وذلك حقيقة.

وأتفق ان كان البغل قد جاوز وقتَ عليه^(١٨)، وكان أهدى لطريق المدينة من القطاة، فلم يزل يعدو وأنا أعدو وراءه لنلا يفوتني شخصه فيذهب عني في الظلام أو يلقيه أحد فيركبه، فلا أبصر إلا الغبار. ولقيتُ الناس فرأوني على تلك الحالة، يخاطبوني فلا أعقل، وأكبر ذلك ما تمَّ عليَّ من تلاهي^(١٩) المرأة الفاجرة. وكنت عندما عدوت وراء البغل سمعت ضحكهما

(١٧) يرمح: يرفس.

(١٨) العَلِيْق: علف الدابة من شعر ونحوه.

(١٩) التلاهي: التلاعب.

ورائي وهي تصرخ بي وتقول: (ارجع يا قاضي، تعال! أين أنت رائح؟)،
والأخرى تضحك وأنا ذاهب على وجهي.

فلم يقف البغل حتى وضع رأسه في باب الدار. وقد لقيني خلق كثير
على تلك الصورة، منهم مَنْ يعرفني ومنهم مَنْ لا يعرفني.

* * *

قال بعض الرؤساء لبعض المجَّان، وقد جرى بينهما ذكر السَّحَاقِ:
(والله إنني لأشتهي أن أعلم كيف تتساقق النساء؟)، قال: (إذا أحببتَ
ذلك فادخل بيتك قليلاً قليلاً).

* * *

في مدح السحق والاحتجاج له

قالوا:

إنما ذهب إليه النساء خوفاً من الحبل والشناعة^(١).

وحدث اسماعيل بن محمد قال: حدثتني قريش القوادة، قالت: قلت لجارية مرة: (فلانُ يحبك)، قالت: (وأنا أحبه)، قلت: (فلم لا تزورينه؟)، قالت: (خوفاً من أن نصير ثلاثة).

وقيل لرجل: (امراتك تساق)، قال: (إذا أعفتني من الذي يعمل الفطام في الجوف دعها تفعل ما أحببت).

وقيل لمزيد: (امراتك تساق)، قال: (نعم، أنا أمرتها بذلك)، فقيل: (ولم؟)، قال: (لأنها أنعم لشفرها^(٢)، وأنقى لغم فرجها، وأجدر إذا ورد عليها الأير أن تعرف فضله).

قالت وردة السحابة:

نحن معاشر السحاقات نجمع الواحدة منا مع الناعمة البيضاء، الغنجة، الغضة، البضة التي كأنها قضيب الخيزران، بثغر كالاقحوان، وذوائب كالارنباني^(٣)، وخد كشقائق النعمان وتفتح لبنان، وتدي كالرمان،

(١) الشناعة: القبح.

(٢) ١: لشعرها.

(٣) الارنباني: الخنزير الأدكن. وفي ١: الارنبان.

وبطن بأربعة أعكان، وكسَّ كامن فيه النيران، بشفرين أغلظ من شفتي
بقرة بني اسرائيل، وحذبة كأنها سنام ناقة ثمود، ووطأ كأنه آلية كبش
اسماعيل، في لون العاج، ولين الديباج، مخلوق مَخْلَقٌ^(٤)، مضمَّخ بالمسك
والزعفران، كأنه كسرى أنوشروان وسط الايوان، بالاصداغ المَرْقَنَةُ^(٥)،
والنحور المزيّنة بالدرّ والياقوت والغلائل اليمينية والمعاجر^(٦) المصرية.
فنخلوا بهنَّ بمعاتبات شَجِيّة، ونغمة عدنية^(٧)، وجفون ساحرة، سالبة
لتامور^(٨) القلب، ثم إذا تطابقنا بالصدور على الصدور، وانضمت النحور
على النحور، وتراكبت الشفران على الشفرين، واختلج كلّ منهما على
الأخر، حتى إذا تعالت الأنفاس، وتشاغلّت الحواس، وارتفعت الحرارة
عن الرأس، وبطل عند ذلك كل قياس، نظرت إلى الحركات الحسية،
والضمائر الوهمية، والصنائع الغريزية، والأخلاق العشقية، بين مصّ
وقرص، ورهز ونهز، وشهيق وخفيق، وشخير وخير، ونخير لو سمعه أهل
ملطية لصاحوا: النفير! مع رفع ووضع، وغمز ولمز، وضَمَّ وشَمَّ والتزام،
وقَبَل وطَيَّب عمل، وانقلاب حرف^(٩) من غير قلق.

كل ذلك بأدب ملوكي، وأنين زاكي^(١٠)، حتى إذا حان الفراغ، وخفّ
المصاغ، شملت كنسيم الأنوار^(١١) في آذان، وروائح الراح في حانوت خمّار،
ونظرت إلى اهتزاز غصن البان من الأمطار. فلو نظرت الفلاسفة إلى ما
نحن فيه لحاروا، وأرباب اللهو والطرب لطاروا.

* * *

(٤) مَخْلَقٌ: منطَبّ بالخَلْق، وهو ضربٌ من الطيّب اعظم اجزائه الزعفران.

(٥) مَرْقَنٌ: جعل شعره كالزرافين، وهي الخَلْق الصغيرة.

(٦) المعجّر: ثوب تشدّه المرأة على رأسها.

(٧) العدنيّة: الكريم الأخلاق، وربما هي نسبة الى عدن.

(٨) التامور: حبة القلب وهي سويداؤه... وربما كانت ؟ التامور أي الدم.

(٩) الحرف: هو طرف كل شيء وشفيره وحذّه وجانبه.

(١٠) ج: بأدب سلوكي وأنين ملوكي.

(١١) الأنوار: جمع نَوْر، وهو الزهر الأبيض منه.

النظم في ذلك

قال بعضهم^(١٢):

مَنْ أعجب الأشياء في دهرها واللّه لا ناسٍ ولا ناكثُ
إثنان باتا في فراشٍ معاً فأصبحا بينهما ثالثُ

غيره:

شربتُ النبيذُ لحبِّ الغزلِ وملتُ إلى السحقِ خوفَ الحبْلِ
فضاجعتُ في خلوةٍ جبّتي^(١٣) وفقتُ الرجالَ بطيّبِ العملِ
إذا كان سحقي^(١٤) مُقنعاً غنيتُ بهِ ورفضتُ الرجلِ

غيره:

وكمّ قد سحقتنا، أختُ^(١٥)، تسعينَ حَجَّةً أسرّ وأخفي من دخولِ الفياشِلِ^(١٦)
ومن حبَلٍ يُرضي العدوَّ ظهورُهُ وأعظمُ من هذا ملامُ العواذِلِ
وليس علينا الحدُّ في السحقِ كالرّنا وإن كان أشهى منه عند القوابِلِ

غيره:

قنعتُ بجبّتي ورفضتُ إيراً عواقبه بذاتِ القدرِ تزري
إذا ما قيلَ قد حبِلتُ فسحقاً لأولادِ الزناءِ يضيقُ صدري
فما عذري إلى الأبوينِ فيه؟ فقد قطعَ الزناءُ حبلاً ظهري

(١٢) البيتان التاليان من لزوميات المعري، وقد وردا هكذا:

مَنْ أعجب الأشياء في دهرنا واللّه لا ناسٍ ولا ناكثُ
إثنان باتا في فراشٍ معاً فأصبح بينهما ثالثُ

(الوالث: من لث: العهد الضعيف غير الأكيد).

راجع للزوميات - الجزء الأول - طبعة دار الكتب العلمية ١٩٨٢.

(١٣) الحبّ: المحبوب.

(١٤) ج: لها.

(١٥) أ، ب، ج: يا أخت. وقد حذفناها لتقويم الوزن (م).

(١٦) الفَيْشَلَة: الحشفة، طرف الذّكر.

في ذم السُّقِّ

حكّت هشيمة، قالت:

كُتِبَتْ واحدة إلى جِبَّة لها، وقد تزوجت وقطعتها: (يا اختي، لو كان كل من رأى عصاً توكأً عليها، لما فيه من الضعف، واستحسنها لَكُنْتُ قد عذرتكِ في ضعفكِ عن المشي إلا بعضاً. فلا يحملكِ الاعجاب بذلك على ترك ما ليس عليه طبعكِ من المشي في الظلم فإنه أحوج لبدنكِ). فكتبت إليها الجواب: (يا اختي، كُنْتُ أَسْتَلْذُّ وقع الدفوف قبل أن أتلذذ بصوت النايات. فلما سمعتها عقدت في قلبي شيئاً لا يحلّه غير الموت. فهوّني عليك ترك مصيري إليك، فقد هان عليّ لما في يدي من الفضل).

وكتبت أخرى إلى جِبَّة لها قد ذاقَتْ رجلاً ولزمته: (لو كان المؤذن لا ينزل عن المنارة ما صلّى أحد بإقامة، فما هذا الاعجاب بدلو قد دُئِيَ في ألف بئر ثم صار إليك وقد تخزّق عَذْبُهُ^(١) ورثُ رشاؤه^(٢)؟ ولو رجعت إلى الحق لوجدت المشي في الرياض أهون منه في العقاب^(٣)). فكتبت الجواب: (يا اختي، كُنْتُ أَكُل البصلية وأنا لا أعرف طعم الجورية والفجلية، فلما أكلتها حلفت لا أكل شيئاً غيرها. لا وحياتك، لا جئت في بيتي أبداً، فاخرجي حُبِّي من قلبك فقد وضعت مكان حبكِ شيئاً لا يخرج إلا مع النفس).

وقيل لسحاقه، وقد تزوجت: (كيف كانت ليلتك البارحة؟)، قالت: (كنت

(١) عَذْبُهُ: طوفه.

(٢) الرشاء: حبل الدلو.

(٣) العقاب: جمع عَقْبَةٍ، وهي المرقى الصعب من الجبال.

أشتهي اللحم منذ عشرين سنة فما شبعْتُ منه إلا البارحة).

ونظرتُ سَحَاقَةً إلى رجل كبير الأير، فقالت: (مثل هذه المِدَقَّة)^(١) في الدنيا وأنا أدقُّ ثيابي بيدي؟ لا كان هذا أبداً)، فتزوجت.

النظم في ذلك

بعضهم:

لَعَنَ الإلهُ سَواحِقَ الوُزُسِ^(٢) فلقد فضحْنَ حرائرِ الأنسِ
هَيَّجْنَ حرباً لا طَعَانَ بها إلا قراعِ الترسِ بالثُّرسِ

لغيره:

أما واللهُ لو يَلْقَاكَ أيرى غداةَ الدُّجَنِ^(٣) في وقتِ السَّحُورِ
علمتِ بانِ كلِّ السَّحَقِ زور وانِ الحقُّ في طَرْفِ الأيُورِ

آخر^(٤):

ويك يا قحبةُ يا خَيَانَةَ^(٥) كم تدلُكَيْنِ عانَةَ بعانَةَ
وكلُّ بيتٍ حَواهُ سَقَفٌ لا بدَّ في وَسْطِهِ اسْطِوانَةُ

غيره:

الاياذوات السَّحَقِ في الغرب والشرق افقنْ فإن النيكِ احلِ من السَّحَقِ

(١) المِدَقَّة: ما يُدَقُّ به.

(٢) الوُزُس: نبات كالسَّمسم اصفر يُصبغ به وتُتخذ منه القمرة، اي الزعفران.

(٣) الدُّجَن: الظلمة.

(٤) آخر: ناقصة من أ.

(٥) يا: ناقصة من أ وهي في ب، ج.

أففن فإن الأذم بالخبز يُشتهى وليس يسوغ الخبرُ بالخبز في الحلق
إذا كنَّ يرقعنُ الخروقَ بمثلها فأي لبیب يرقعُ الخرقَ بالخزق؟
وهل يصلحُ القَدوم^(٩) إلا بغوده؟ إذا احتيجُ فيه ذات يومٍ إلى الدق

* * *

غيره:
دعي السَّحَقَ الذي عناك زوراً فلم تستشفِ ساحقَةً بسحق
ودونك فيئسَةً غلظت وطالت بها ما شئت من حرق ورق
متى أبصرتِ ويحكِ قطَّ خرقاً يُحاول سدّه ابدأ بخزق؟

* * *

آخر^(١٠)
قولوا لمن تهوى السحاق الذي حرّمه اللّه فما فيه خيز
أخطأت يا كاملةً الحسن إذ أقمّت اسحاق مقام الزبيز

* * *

(٩) القَدوم: آلة للثّح والنّجّر.

(١٠) البيتان التاليان ناقصان في أ. ومما في ب، ج.



الباب الثاني عشر

في الخناث والمختئين
وما جاء فيهم من نوادر
وأخبار ومُلح وأشعار



يشتمل هذا الباب^(١) على ثمانية أنواع

النوع الأول: في معنى الخناث وسببه، على رأي الفلاسفة.

النوع الثاني: في أسماء المختئين من كفّار قريش ومن ضرب به المثل.

النوع الثالث: في أخبار مجان الخائنة المتهتكين في الدولتين الأموية والعباسية^(٢).

النوع الرابع: في طُرف أخبار المختئين العصرية.

النوع الخامس: في مسائل سألت^(٣) عنها في هذا الباب فأجبت عنها.

النوع السادس: في نوادر المختئين ومُلَحهم.

النوع السابع: في مُلح ما جاء من الأشعار^(٤) في المختئين والاحتجاج بها لهم وعليهم.

النوع الثامن: في سبب الخناث وعلاجه، على رأي محمد بن زكريا الرازي.

(١) هذا الباب: إضافة من عندنا. (المؤلف).

(٢) أ، ب، ج: العباسية والأموية.

(٣) أ، ب، ج: سئلت.

(٤) في الأشعار من.

النوع الأول في معنى الخنثاء وسببه، على رأي الفلاسفة

قال بعض الفلاسفة:

إذا مال مزاج الانثيين الطبيعي في سن الطفولة إلى البرودة والرطوبة حتى تضعف عن مشاركة أحد الأعضاء الرئيسية الثلاثة التي هي الدماغ والكبد والقلب، أو اثنين منها أو ثلاثتها، عرضت من ذلك آفات كثيرة في الصورة التي هي الذكر أو الأنثى، وفي اختلاف النفسين الناطقة والحيوانية، وفي فعل التناسل وفيما^(٥) جاء في واحد من هذه الأحوال الثلاثة أو اثنين منها أو جميعها.

فمن ذلك انه متى غلب البرد والرطوبة على مزاج الانثيين من طفل، واضرّ ذلك بالقوة المتصلة منهما ما ليس للطبيعة، لحق بمزاج الخصي وصورته، وكانت الاصلاب الباقيات على حكمها في الفحولة لم يمسسها سوء واعتاضت الخلقة عن استثناء الصورة. ومعلوم ان الذكر من الناس إذا نقص عن صورة الرجل لحق بصورة الخصي دون صورة الأنثى لأن التأنيث صورة تنبعث عن أعضاء التأنيث، والخصي ليس له صورة تخصّه غير عدم الفحولة لا غير. وإذا كان الأمر كذلك فمن كانت هذه حاله كان أيضاً لا لحيه له.

وإذا كانت هذه الآفة قد لحقت في مشاركتها النفس الحيوانية فقط، كان مختثاً، ليناً، مؤنثاً، يؤثر ما تؤثره النساء، وكانت صورته صورة الرجال وعقله وتدبيره سالم. وإن كانت الآفة من الانثيين قد لحقت في مشاركتها النفس الناطقة فقط، كان أغنّ، مفككاً، رخيماً الدلّ، قليل التصوّن، مؤثراً في أفعاله طلب القبيح، سمحاً بمروته، هيّنة عليه نفسه، غير مكرم لها، يلتبس معاشه في نفسه وعرضه وبدنه ومونته.

فإن كانت هذه الآفة لاحقة بأكثر من أصيل واحد وجَد الأمر بحسب

(٥) ا، ب، ج، وسيماء.

ذلك. وإن كانت لاحقة بالأصول الثلاثة كان الأمر أيضاً بحسب ذلك المزاج. فمزاج المختن بالجملة خارج عن مزاج الرجال في معناهم، داخل في مزاج النساء. إلا أن ذلك يختلف في القوة والضعف بحسب ما بيّناه.

النوع الثاني
في أسماء المختنن
من كفّار قريش والمغتني بالحجاز
ومن ضرب به المثل

منهم:

الحكم بن أبي العاص.

ومسافع بن شيبه، من بني عبد الدار بن قصي.

وأبو جهل بن هشام.

وهبار بن الأسود.

وهشام بن الوليد بن المغيرة.

وجعفر بن رباعة العائدي، من بني مخزوم.

والغريض بن وائل السهمي.

وخالد بن أسيد بن العيص.

والنضر بن حارث بن كلفة، من بني عبد الدار، وكان النضر هذا يضرب

بالعود.

ذكر من ضرب به المثل منهم

قالوا: (اخنت من هيت) و (اخنت من طويس) و (اخنت من دلال)

و (اخنت من مصفر استه).

فأما هيت: فإنه على عهد النبي، صلى الله عليه وسلم، وكان مولى عبد الله بن أبي أمية المخزومي. وهذا عبد الله هو أخو أم سلمة زوج النبي، صلى الله عليه وسلم، وكان رسول الله يضحك من كلامه، وكان المختنون يدخلون على أزواجه فلا يحجبون.

فدخل هیت يوماً دار أم سلمة والنبي، صلى الله عليه وسلم، عندها فقال لعبد الله، أخي أم سلمة: (يا سيدي، إن فتح الله عليك الطائف فسل أن تنقل^(٦) بادية بنت غيلان بن سلمة الثقفي، فإنها هيفاء، شموع، نجلاء، إن تكلمت تغنت، وإن قامت فتنت، وإن جلست تبنت^(٧)، تقبل بأربع وتدبر بثمان، مع ثغر كالأقحوان، وبين رجلها كالقُعب^(٨) المكفأ).

فقال له النبي، صلى الله عليه وسلم: (لقد علقت النظرياً عدو الله)، وكان يظن نقصاً في عقله. ثم أمر أن لا يدخل على نسائه وأجلاه إلى الحمى^(٩)، فلم يزل بها إلى خلافة عثمان بن عفان.

وقيل انه قال: (ما كنت أحسبك إلا من غير أولي الأربة من الرجال، فلذا كنت لا أحبك عن نسائي).

قال سعيد بن جبیر: (غير أولي الأربة: المعتن).

وقال مجاهد: (هو الذي لا أرب له في النساء).

وقول سعيد أحسن، وعليه يخرج الحديث، فإنه قد يكون لا أرب له فيهن وهو يعرف محاسنهن ومساوئهن. والنبي، صلى الله عليه وسلم، لما رآه عقل ذلك أخرجه ولم يعتبر فيه وجود الأرب من عدمه.

تفسير ما مر في هذا الحديث من اللغة

الهيفاء: الضامرة البطن.

والشموع: اللعوب، الضحوك.

والنجلاء: الواسعة العينين.

وتبنت: أي كأن معها إبناً، يريد كبر عجيزتها.

(٦) نقل: طلب.

(٧) تبنت: أي صارت كالبيت المبني في تمكثها في جلستها. وهذا وجه في المعنى والوجه الآخر سيوضحه التيفاشي فيما بعد.

(٨) القُعب: القدح الضخم.

(٩) الحمى: الموضع فيه كلاجمى من الناس أن يرعى، خارج المدينة.

وقوله (تقبل بأربع وتدبر بثمان): يريد أنك إذا استقبلتها نظرت إلى أربع عُكَنَ^(١٠) في بطنها، فإذا تولّت فالأربع تصير ثمان، لأنها من الجانبين. والمكفأ: المكبوب.

وأما طُويس^(١١): فإنه يضربون به المثل في الشؤم. وذلك أنه ولد في الليلة التي مات فيها رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وقُطِمَ في اليوم الذي مات فيه أبو بكر الصديق، رضي الله عنه، وخُتِنَ في اليوم الذي قُتِلَ فيه عثمان، رضي الله عنه، وولد له يوم قُتِلَ علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، وهو أول من غنّى بالعربي بالمدينة وأول من ألقى الخنث بها.

وقيل إنه كان بالمدينة مخنث، يقال له: النقاشي، فقيل لمروان بن الحكم، وهو والٍ عليها: (إنه لا يقرأ من القرآن شيئاً)، فأمر باحضاره وقال له: (اقرأ أم القرآن^(١٢))، فقال: (والله ما معي بناتها، فأنا لا أقرأ البنات فكيف أقرأ أمهاتهن؟)، فأمر به فقتل، وقال: (مَنْ جاعني بمخنث فله عشرة دنانير)، فبلغ ذلك طويس فقال: (أما فضّلني الأمير عليهم بفضل)، ثم خرج حتى نزل المربرد على ليلتين بالمدينة حتى مات في ولاية الوليد بن عبد الملك بن مروان.

وأما الدّلال: فهو مدنيّ، والدلال لقب له، واسمه: ماجد، ولم يكن في المخنثين أحسن وجهاً ولا أنظف ثوباً ولا أطرف منه، ولذلك لُقِبَ بالدّلال.

(١٠) العكن: جمع عُكَنَة. ما انطوى وتثنى من لحم البطن.

(١١) يقال إن اسمه كان (طأوساً) فلما تخنث تسمّى به (طويس) ويكنى بأبي عبد النعيم، وهو أول من غنّى في الاسلام. وقيل إن أول ما غنّى به طويس قول الشاعر:

وإخوان على شرب جميعاً دلفت لهم بباطية هذور
فلا تشرب بلا طرب فاني رايت الخيل تشرب بالصفير
راجع (محيط المحيط للبستاني - مادة: طاس).

(١٢) أم القرآن (أم الكتاب): يعني بها سورة الفاتحة، لأنه يُبتدأ بها في كلّ صلاة.

وهو أحد مَنْ خُصِيَ من المَخْنَثين بالمدينة. ولما فُعِلَ به ذلك قال: (الآن تَمَّ الخنْثُ)، وسبب خصائه مذكور في كتب التاريخ، تركناه إذ من شرطنا في هذا الكتاب إيراد غرائب النوادر العزيزة الوجود في كتب المصنِّفين^(١٣).

وروي أن الدَّلالَ أَخَذَ مع غلام فأتى بهما أمير المؤمنين فقال له: (يا فاسق)، فقال: (من فمك إلى أبواب السماء)، فقال: (يا عدو الله، ما وسعك بيتك حتى خرجت بهذا الغلام إلى الصحراء تفسق به؟)، قال: (لو علمت أن الأمير يغار علينا ويشتهي أن يفسق به ما خرجت من بيتي)، قال: (جرِّدوه واضربوه الحدَّ)، قال: (وايش حدك وأنا أضرب كل يوم حدوداً؟)، قال: (ومن يضربك؟)، قال: (أيور المسلمين)، فقال: (ابطحوه واجلسوا على ظهره)، قال: (أحسب أن الأمير يشتهي أن يرى كيف أناك)، قال: (أقيموه، لعنه الله، واشهروه بالمدينة مع الغلام)، فأخرجوا فدار بهما، فقال له قائل: (ما هذا يا دلال؟)، فقال: (اشتهدى الأمير أن يجمع بين الرأسين فجمع بيني وبين هذا الغلام ونادى علينا، وإن قيل له الآن إنه قوَّادٌ غضب)، فبلغ قوله الوالي فقال: (خلُّوا سبيلهما، لعنهما الله).

واما مصفَّر أسنَّته: فهو أبو جهل. يقال إنه كان يردع^(١٤) أسنَّته بالزعفران تطيِّباً لرائحته، والمهاجرون ينكرون ذلك ويقولون: (إن مصفَّر

(١٣) يقول صاحب «تحفة العروس ونزهة النفوس» فيما يذكره من روايات اخصاء المَخْنَثين بالمدينة: [إنَّ سليمان بن عبد الملك كتب الى عامله بالمدينة أن يُحصي المَخْنَثين بالمدينة - بالحاء المهملة - فوقع من الكاتب نقطة على الحاء فصيرتها خاءً معجمة فلما وصل الكتاب الى عامله اخصاهم جميعاً، وهذه رواية مدرسية لا نعتقد بصحتها، والأرجح أنه اخصاهم جميعاً بشكل متعَدٍّ. (المؤلف).

وقيل إنَّه لما خُصِيَ طويس قال:

- الآن أعيد علينا الختان الأكبر الذي لا بدَّ منه، فليت هذا من أولِّ كان.

فقال الدلال:

- بل هو الختان الأكبر الذي لا بدَّ منه لكلِّ مَخْنَثٍ ابتَر.

(١٤) هامش للناسخ في نسخة ١: [أي يُلطِّخها].

استه كلمة تقولها العرب لذى النعمة والرفاهية). ويقولون: إن أبا جهل كان إذا هاج به داؤه ركب بعيراً، عُرياناً، وعدا به ليحكّ استه بسنامه. وكان يأخذ حجارة الرمضاء فيحكّ بها استه حامية ويقول: (اقنعي بهذه، فواللآلات لا علاك رجل أبداً).

* * *

خبرُ مختنث مع عمر بن عبد العزيز

رُوي أنه كان بالمدينة مختنث قد أفسد أهلها فقبل لعمر في ذلك، فأرسل لعامله بالمدينة أن أحمله إليّ، ففعل. فلما دخل عليه ونظره فإذا هو شيخٌ خضيب اللحية والأطراف. فلما وقف بين يديه صعد عُمر بصره فيه وصوبه وقال: (سوءة لهذه الشُبية. أت حفظ القرآن؟) قال: (لا يا أبا بآ^(١٥))، قال: (قَبِّحَ اللهُ أبِيكَ وَقَبِّحَكَ)، ثم قال له: (أتقرأ من المَفْصَل^(١٦) شيئاً؟) قال: (وما المَفْصَلُ؟) قال: (سور القرآن القصار)، قال: (نعم، أقرأ «الحمد»^(١٧)) وأخطىء فيها في موضعين، وأقرأ «اعوذ بربّ الفلق»^(١٨) وأخطىء فيها في ثلاثة مواضع، وأقرأ «قل هو الله أحد»^(١٩) مثل الماء الجاري)، فقال: (ضعوه في السجن ووكّلوا به معلماً يعلمه القرآن وما تحتاج إليه الطهارة والصلاة، واجروا عليه في كل يوم ثلاثة دراهم وعلى معلّمه مثلاً، ولا يخرج حتى يحفظ القرآن).

فكان كلما علّم سورة نسي التي قبلها، فلما طال ذلك على المختنث بعث رسولاً إلى عُمر يقول له: (يا أمير المؤمنين، وجّه إليّ مَنْ يحمل اليك ما اتعلمه أولاً فاولاً، فباني لا أقدر على حمله جُملة واحدة)، فيئس عُمر من

(١٥) يا بابا: (يا بابي انت).

(١٦) المَفْصَلُ (من القرآن): من سورة «الحجرات» إلى آخره، ويسمى بذلك لكثرة الفصول في سُورته أو لفظة المنسوخ فيه. والبعض يقول إنّه من «الضحى» إلى آخره، وقد اختلف في ذلك.

(١٧) يعني سورة «الفاتحة».

(١٨) يعني سورة «الفلق».

(١٩) يعني سورة «الإخلاص».

فلاحه ثم قال: (ما أرى هذه الدراهم إلا ضائعة، ولو اطعمنا بها جائعاً أو كسونا بها عرياناً، أو اعطيناها محتاجاً لكان أصلح)، ثم دعا به وقال له: (اقرأ: قل يا أيها الكافرون)، فقال: (أسأل الله العاقية، ادخلت يدك في الجراب فأخرجت أشد ما فيه وأصعبه)، فأمر به فصُفعت عنقه وبقاه وأمر برده إلى الحبس.

فلما توجَّهوا به إلى الحبس اندفع يغني:

عوجي عليّ فسلمني خبراً

وهو صوت مذكور في (الأغاني)، فلما سمع المتوكلون به حُسِّنَ ترنمه بهذا الصوت خلَّوه.

وقالوا: (إذهب حيث شئت مُصاحباً^(٢٠)).

النوع الثالث

في أخبار

مُجَانِ المخائنة المتهتكين وخلقانهم

في الدولتين الأموية والعباسية

قال سهيل بن مهيendar الكردي، وكان طبيباً ببغداد:

جاءني رجل من المؤنثين يُعرف بحدسه، من رؤساء المختنئين ببغداد، فقال لي: (يا سيدي، وُصفت لي معرفتك وما خصصت به من العلم والنظر فقصدتُك لتداويني بصفة تصفها لي من دواء يشدني ويضبطني، فإني لم أتناه في كبر السن إلى مقدار أصير فيه إلى هذا الاسترخاء في الشرج الذي صار لا ينضبط اتساعاً، ولا ينسدّ انفتاحاً. وأظن أن ذلك عن عارض عرض لي، لا عدمته من عارض)، قلتُ له: (متى أنكرت ذلك من نفسك؟ وما الذي كان العارض؟) فقال: (منذ ثلاثة شهور، وكان السبب في هذا أن البساتين، ذي قوام كامل ووجه فاتن، فخلوتُ به وبسألته أن ينيكني في ذلك

(٢٠) مُصاحباً: مسلماً معانٍ.

المكان وأبذلت له ما كان حاضراً معي من ذلك الوقت من الورق، فأجاب عن ذلك. فكشف عن أير كأنه ذراع بَكَر^(٢١) برأس كأنه رأس جروكلب فدفعه في دفعاً لم أشك عند حصوله في وتركه إتياء في جوفي، كأنه فخذ صبي أو ساق ثور.

ولم يزل يوالي رهزه ودفعه في الواحد الذي عمله مقدار ثلاث ساعات وما زاد، وأنا قد غشي عليّ وذهب عقلي من طيب نيكه وكثرة بقائه في وتحزده^(٢٢) في بطني وطفغيانه في جوفي، ثم صبه صباً وافراً غزيراً أحسست بفؤادي وقد شربه وأعضائي وقد قبلته، ثم انتزعني مني وقد خزانني ولم أعلم، وأدمايني ولم أفطن. ولفرط شهوته واحتراق القلب بلذته لم أتأذ به ذلك اليوم. فلما هدأت غلمتي وفترت شهوتي ألمني وأنا في استرخاء لا ينضبط وانفتاح لا يُسدّ ودم يسيل ولا يرقأ). فوصفت له ما تستعمله النساء، عند افتراعهن^(٢٣)، من التفسل بالخمير والآس وما شابهما من المقبضات. وأعجبني وصفه لمعاني دائه فأردت مطاولته فقلت له: (وأمرك أن لا تعاود ذلك مرة أخرى)، فقال لي: (إني على ما تراني من التألم بما شكوته، لحريص على معاودته لو رأيته. وكيف لي عنه صبر وفي نفسي من ذلك الأمر الجليل النبيل عند لمحي له وقد أخرجه مني؟ شيء لا أنساه إلى الممات، من الطول الراجع على كل طول، والامتلاء والعرض الزائد على كل إمتلاء وعرض^(٢٤)). قد امتلأ رأسي، وزاد انتفاخه، وعرض وجهه، وانقلبت حروفه، وأبرزت أطواقه، وربما خرطوميه، وكثرت بريقه، وانفتح فمه، وخفا^(٢٥) قذاله، وكملت أوداجه، وظهرت أعكانه، وتعمدت عروقه، وورمت أحشائه، وغيببت حواصله وغلاصمه، ولم ينعسه الفعل ولا كسله الصب ولا أذبله الفراغ بل أشده وصوّاه^(٢٦) وأهاجه وقوّاه. ولنن كان الألم، يا سيدي، قد

(٢١) البكر: الفتى من الإبل.

(٢٢) تحزده: التوى.

(٢٣) الافتراع: فض البكارة.

(٢٤) هكذا في ج، وفي أ: (على كل طول وعرض).

(٢٥) خفا: ظهر. وفي ب، ج: خفى.

(٢٦) صوّاه: انشطه، قوّاه.

اضعفني وما شكوته إليك قد أحرقتني، فإن سروري إذا تأملت حالي،
وابتهاجي إذا صححت مالي، ليأتي على أضعاف ما بي من العلة).

قلت له: (وما هذا السرور والابتهاج اللذان قد زادا على مقدار علتك
وما تقاسيه من مرضك وتعانيه من المك)، فقال: (بمساكنة^(٢٧)) هذا الأير
الجليل محلّه لديّ، العظيم خطره عندي، وحصوله في أحشائي وجوارحي،
وجولاته في كامن لذتي، وما خصصت به من القدرة على إدخاله، والقوة
لحومه^(٢٨)، والاستطاعة لوروده، والاتساع لوفوده)، قلت له: (قاتلك الله،
فما أوصفك لشغفك، وأمدحك لعضو شهوتك)، وتركته ومضيت.

النوع الرابع في طَرْف أخبار المختئين العصرية

حدّثني بعضُ الأدباء بمصر، وهذا الاقليم يعرض لأهله هذا الداء
كثيراً، قال:

كان عندنا شيخ متطبّب مبتلى بهذا الداء، وكان متعاضماً في نفسه،
شديد الكبر والتّيّه في صناعته. وكان له دكان يجلس فيه، يقف عليه أكابر
الدولة ورؤساء المدينة فلا يعرض على أحد منهم الجلوس ولا يخاطبهم إلّا
من السماء. وكان له بخاصّ جلوسه فيه مصطبة صغيرة عليها مُضْرىة^(٢٩)
لا تسع غيره، فبينما هو ذات يوم جالس إذ وقف عليه رجل من أهل مصر
فقال له: (يا سيدي، أريد أن أسألك عن شيء)، فقال: (قل)، فقال: (إنّي
أجد أكلاً وحكّة في فم المَقْعَدَة)، فلما سمع ذلك منه أقبل عليه بكلّيته، ثم
قال له: (وكم لك بذلك؟) فقال: (مدة، إلّا أني احتشمتُ أن أسأل عن مثل
هذا الداء)، فقال: (يا سيدي، وهذا شيء يُحتشم منه؟ والله ما ثبت عندي
فضل المولى إلّا الآن. ولقد ظهر لي في وجهه وسيمائه وفي شمائله ومخايله

(٢٧) ساكَن: سكن وإيَّاه.

(٢٨) الحوم: الدوران. والحومة: القتال.

(٢٩) المضْرىة: كساء كاللحاف ذو طائفتين مخيطتين، بينهما قطن أو غيره.

أنه رجل كبير. وهل يوجد هذا إلا في أفضل الناس وأرفعهم قدراً؟ إجلس يا سيدي).

ثم انحطَّ له عن مرتبته^(٣٠) التي لا ينحطُّ عنها لوزير كبير ولا عالم خطير، وأقسم عليه أن يجلس فيها. وجلس بين يديه ثم أقبل عليه بكلَّيته فقال له: (إيه يا سيدي، هذا الأكال الذي يجده المولى، أبقاه الله، إذا نضح به الماء الحار يسكن، أو إذا نضح به الماء البارد؟)، ففكَّر الرجل قليلاً ثم قال له: (لا والله، إلا إذا نضحته بالماء البارد)، فوضع كفَّه في صدر الرجل ثم دفعه دفعة ألقيه بها على قفاه في الأرض وهو يقول له بحدة وانحرف وصوت عال: (ذا خليط)، ثم وثب فجلس في مكانه وأعرض عنه بالجُملة كأنه لم يره، فقام الرجل حائراً وقد كاد أن تُدقَّ عنقه وهو لا يدري ما سبب الاقبال أولاً والادبار آخرأ، وهو يقول: (يا شيخ، يجعلك الله في حلِّ كدِّت والله تقتلني، فما شأنك وما قصَّتكَ؟ وأي شيء اعترأك؟ وما الذي أنكرت؟) وهو في ذلك مقبل على دكانه ومعرض عنه بالجُملة، كأن ليس أحد يخاطبه. فلما أكثر عليه وضع المذبة^(٣١) في إناء فيه ماء بين يديه، فيها غُسالة الاقداح، حتى ابتل ورقها ثم نفضها في وجهه ولحيته وثيابه فشوه بذلك خلقته وبرَّته، فلم يسع الرجل إلا الفرار من بين يديه.

وكان هذا الشيخ، في هذا الباب، آية للسائلين. أدركتُ من رآه بمصر وخالطه وكان يحذِّثني عنه بالعجائب من هذا النوع، وذكر أنه كان في مدَّته شيخ آخر من كبار الكتَّاب وأعيانهم، مسمًى مشهور الاسم، وكانا يتباريان في هذا الفن ويتفاخران به ويتظاهران فيه ولا يباليان بنز ناز ولا بطعن طاعن، وكانا كثيراً ما يجتمعان لا يكادان يفترقان. وكانا يتغايران على الحُرِّقاء ذوي الآلات الوافرة ويتسابقان إليهم ويبذلان الرغائب.

(٣٠) المرتبة: الوسادة.

(٣١) المذبة: ما يُذبُّ به كالمروحة وغيرها.

ومن^(٣٢) تظاهر الكاتب منهما بهذا الفن أنه كان يكتب ذات يوم بين يدي القاضي^(٣٣) الفاضل، وكان يعلم أن الناس ينهون له عنه ما هو فيه من ذلك، فاتفق أن استدعاه القاضي الفاضل وأمره أن يكتب^(٣٤) له كتاباً لبعض الأفاق، فاعتزل ناحية ثم كتب كتاباً بأحسن خط وأجود لفظ وأصح معنى وأسرع وقت ثم قام يجثي على ركبتيه بين يدي القاضي وقال له: (تأمل هذا الكتاب)، فنظر فيه فإذا هو مما رضيّه واستجاده خطأً ولفظاً، فقال له: (أصببت وأحسننت)، فقال له: (يا مولانا، عندي شيء أقوله)، فقال له: (قل)، فقال له: (إذا كنت في خدمتك وخدمة هذا السلطان، بحيث تجيء تجدني قد سبقت إلى الديوان وتنصرف وأنا فيه، وإن أمرتني بكتاب كتبتّه هكذا، وإن أمرتني بعمل حساب أتقنته وحررتّه، كما في كريم علمك، وإن أمرتني بعمل زمام عملته بحيث لا يوجد في كتابك من يعمل مثله، وإن استودعنتي سرّاً من أسرار سلطانك كتبتّه وكتبتّه، فهل يكون عليك أو على سلطانك خلل في أموركم إذا انصرفت إلى منزلي ينيكني فيه من شئت؟)، فقال له: (لا والله يا أخي)، فقَبِل الأرض بين يديه ثم خرج من عنده فوقف على باب الديوان، وفيه رجال الدولة بأسرهم من كتاب وحساب وغيرهم، فقال بأعلى صوته: (يا أصحابنا، من شاء منكم أن يقول للقاضي الفاضل، أبقاه الله، إن فلاناً بغى فليقل)، ثم تركهم وانصرف.

ومما يُحكى من مجالس هذين الشيخين الفاضلين، أن الطبيب منهما دخل ذات يوم على الكاتب في داره، وعنده رجل مشهور بكبر الآلة، كان الطبيب يسمع به ولا يراه ولا يقدر على تحصيله، فلما رآه معه كاد يجزّ حسداً وحنقاً وجلس إلى جانب الرجل يشاكله وينبسط معه ويستميله طمعاً في تحصيله في منزله وقتاً آخر، ففهم الكاتب ذلك وغار منه فاخذ بيد

(٣٢) الواو: اضافة من عندنا.

(٣٣) القاضي: ناقصة في أ، وهي في ج. ب: القاضي الوزير الفاضل.

(٣٤) أ: أن لا يكتب (!).

الرجل وقام إلى خزانة في البيت فدخلها وأغلق الباب واستوثق منه في وجه الطبيب وأقبل الرجل بغنجه، والطبيب قد كشف أسنّته وهو يحكّها في الباب الذي للخزانة ويتلو: (فَضْرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورِهِ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ)^(٢٥).

ولم يزل يفعل ذلك إلى أن أدركته فترة^(٢٦) واسترخاء أعضاء من شدة الاستلذاذ بسماع حركتهما، فتطارح كالمغشي عليه، ففتح الكاتب الباب وأزعج الرجل الذي كان معه بعد قضي غرضه منه.

* * *

ومما يُحكى عن هذا الكاتب انه كان له غلام أمرد روميّ يسمّى: جوهري، نظيف الهيئة، حسن الصورة، يصيد له أرباب الآلات الوافرة العظام بوجوه من الحيل منها: إنه يتعرّض للآطة ويطعمهم في نفسه، فمن استدعاه منهم ساعده ثم يعدل به إلى موضع خال قبل الوصول إلى منزله فيقول له: (لا أسير معك حتى أرى آلتك)، فيجسّها فإن رآها صغيرة تركه وانصرف، وإن رآها وافرة، بحيث يعلم انها تُرضي استأذنه، قال له: (موضعي خال فسرّ معي إلى منزلي)، فيسير معه إلى منزله فيدخله على استأذنه.

وكان هذا الغلام عنده في غاية الرفاهية والتمتع، يتصرّف فيه وفي حاله وماله كيف يشاء، وكان مع ذلك متبرّماً به لشدة ما تكلفه من هذا الامر على الدوام ومن نيكته إذا لم يحمل إليه أحداً، فكان يفدي نفسه بمنّ يحمله إليه.

ومما كان يتصيّد أولئك الصنف أيضاً أن يقف في حلق القصاص والمُشْعَبْذِينَ بالنهار، وقاعات الأفراح بالليل في زمن القيظ وهو في غلالة رقيقة، فيزحم الناس وهو وقوف، فيزحم أسنّته أير الرجل فلا بد أن يتحرك

(٢٥) سورة الحديد، آية ١٢.

(٢٦) الفترة: الخمود والوهن.

ذلك الرجل وليس بينهما حائل كبير، فإذا أحسّ ذلك زاده لصوقاً بعجزته حتى يستحكم انتشاره^(٣٧) ثم يردّ إليه فيجسّه، فإن رضيه جذبه وخرج به من بين الناس، وإن لم يرضه انتقل عنه لغيره. فاتفق أن قال له استاذة يوماً: (يا جوهر، إن أنت جئتني برجل له آلة وافرة لم أر أكبر منها قط فانت حرّ لوجه الله تعالى، وأنت تعلم أنني لا أكذبك، وتعلم أيضاً أنه لم تكن آلة إلا وقد رأيتها قبلي ولا يمكنني الجحود). فسار الغلام وهو طائر العقل من الفرع بعثقه والخلص من يده أن هو ظفر ببغيته، فعمد إلى مؤرّدة^(٣٨) الجسر بمصر فجلس عليها إلى أن رأى مركباً منحدراً من قُوص^(٣٩) فيه جماعة من أهل الصّعيد، ومن شأن من ينزل من المركب إلى الساحل أن يشمرّ ثيابه لئلاّ تبتّل، فإن كان موسراً في آله فلا بد أن تظهر منها فضلة من تحت ثيابه.

فبينما هو جالس والناس ينزلون من المركب إذا هو برجل جافي الخلقة، عظيم الجثة، أسمر اللون، قد شمرّ ثيابه لينزل فبقي بين ركبتيه شيء كأنه ساق بعير مشطّب العقب، فلما رآه الغلام بادر إلى الرجل فأخذ بيده، ولم يكن له في المركب من المتاع إلا ما حمله في يده فحمله عنه ثم قال له: (يا سيدي، أريد الليلة أن تكون من اضيائي)، وأوهمه أنه هو البغي، فقال له: (حباً وكرامة)، فسار معه ثم قال له في الطريق: (يا مولاي، ما الاسم؟) فقال له: (ميمون)، فتقدم بين يديه إلى دار مولاه، وكانت له غرفة في الدهليز يخلو بنفسه فيها، فلما حصل على الباب ومولاه في الطاق يرقب الطريق انتظاراً أن يجيئه بشيء، فأخرج رأسه من الطاق فحين وقع بصره على الرجل قال له: (مولاي أبو وكيل، السّلامة، السّلامة. إصعد هذا يوم مبارك وليفة سعيدة)، فالتفت الرجل إلى الغلام وقال له: (وعسى أنت عبد مولاي ابن فلان؟) «باسم الرجل وكنيته»، مولاًك أعرفه قبل أن تكون أنت

(٣٧) انتشاره: انتصابه.

(٣٨) المؤرّدة: مائة الماء والطريق اليه.

(٣٩) قُوص: مدينة مصرية على النيل في محافظة قنا.

عنده بعشرين سنة)، فلما رأى الغلام ذلك وتحقق تعارفهما من قبل قال له: (اصعد)، فصعد ثم دخل على استاذة فقال: (يا مولاي، أوص بي عقبك خيراً، فوالله لا عُتقتُ من مُلكِك إلى النفخ في الصُور)، وخرج وتركهما.

ويُحكى أن هذا الكاتب كان ذات يوم جالساً مع جماعة من الكتّاب وقد قالوا: (ليقتَرَحْ كل واحد منكم أمنيته)، كما جرت العادة في ذلك عند مكاتب الناس في خلوتهم، فقال أحدهم: (أتمنى على الله الجنة)، وقال آخر: (أتمنى الوزارة)، وقال آخر: (أتمنى خَراج الفيوم)، وقال آخر: (أتمنى الصحة والفراغ وألف دينار كل يوم، وأن أعيش مائة عام). وافضى الأمر إليه فقيل له: (تمنّ)، فقال: (أتمنى زياً يكون عندي وفي منزلي وتحت يدي، يكون قدر صومعة جامع ابن طولون)، فقالت له الجماعة: (والله لقد جئتُ بارداً، ثقيلاً، جراحاً^(٤٠))، بغيضاً، فإنّ هذا لا متعة فيه ولا أرب لك منه)، فقال لهم: (يا جهال، أما رأيتم في جهاز العروس إبريقاً من الصُفر زنته أربع قناطر، وطسّاً زنته قنطارين؟ فذلك الطسّ والابريق تتصرّف فيهما أو تستمتع بهما؟) فقالوا له: (ألا إنّ ذلك يكون للتجمل به والزينة والفخر والمباهاة والسمعة)، فقال لهم: (وكذلك أنا في هذا سواء، إنما أردته للتجمل به والزينة والفخر والمباهاة وأن يقال: فلان مَلِك من هذا النوع شيئاً لم يملكه أحد غيره ولا قدرَ على تحصيله بشر سواه)، فقالوا له: (أنت أعلم بما تمنيت).

ويُحكى أنه كان بمصر شيخ من أعيانها وذوي أقدارها، معروف بهذا الداء إلا أنه يتكتم فيه قليلاً، فأتينا حمّاماً وكانت له فيه خلوة منغزلة، فكان يدخلها ويستدعي خَدَمَةَ الحَمّام فيخلو بهم على أنّهم يخدمونه،

(٤٠) ب، ج: خارجاً.

فلا بدّ أن ينكشف الخديم في التصرّف في الحَمَام فيظهر له في الحَمَام، فمن يرضيه استدعاه لنفسه . فكان يتكتم أمره لكونه لا واسطة له في ذلك فلا يُطلع عليه إلاّ من يتناوله لا غيره . إلاّ أنه كثر ذلك منه وفهم عنه فكان كثير المال، متسع الحال، محسناً لمن يفعل به ذلك، فصار كل ذي آلة عظيمة من الصعاليك يتقصّد الخدمة في ذلك الحَمَام .

فاتفق ذات يوم أن دخل الخلوة على عادته فبادر له خديمٌ حديث عهد بخدمة الحَمَام يتصرّف بين يديه، فلمّا خلا الموضع أقبل يخدمه ثم أوهم أنه يربط المنزر في وسطه ففرّجه فانكشف له عن داهية عظيمة، كما قيل:

كفّكَ في العمامة حين يُحذى وعرضك في الكبورة والجباب

فلما وقع نظر الرجل عليه رأى شيئاً لا يحتمله حيوان ناطق ولا غير ناطق فزوى وجهه عنه لشقّ جانبه الأيمن واستدار له من تلك الناحية ثم أعاد عرضه عليه فزوى وجهه عنه لشقّ الجانب الأيسر فاستدار وعرضه عليه، فقال له: (يا أخي، الذي بلغك صحيح إلاّ أنه ولا بهذا كله، فإن هذا شيء لا يُطاق)، ثم وهبه شيئاً وصرّفه.

ومن أهل هذا الداء من يقول بالسودان ولا يقول بغيرهم، ولهم في ذلك حجج كثيرة، فمنها أنهم يقولون: (إن الأسود يجمع ثلاث خصال لا تجتمع في الأبيض، وذلك أنهم أرطب شفاهاً، وأكبر أيوراً، وأبعد ماءً).

ومنهم من يقول بالمردان، يفعل بهم ويفعلون به . فمن ملّح الحكايات في ذلك: إن أحداً من هؤلاء القائلين بالمردان كان شيخاً من هذه الطبقة، فرفع غلاماً وشارطه على أنه يفعل به ويفعل به . فابتدأ الغلام، فلما أخذ في العمل تحرّك على الشيخ فقال له: (إنزل)^(١)،

(٤١) ١: أنزل أنزل.

فنزل وطلع الشيخ على ظهر الغلام، فلما بدأ بالعمل قام عليه فقال للغلام: (إطلع)، فطلع وانبطح له، فلما أخذ في العمل تحرك على الشيخ فقال له: (إنزل)، فلما طال ذلك على الغلام قام يشدّ سراويله وقال: (أنا جئتُ أنيك وأناك، ما جئتُ أعمل في الدّولاب) ^(٤٢).

حدّثني بعض ظرفاء المغرب قال:

كنتُ ليلة اشرب عند كاتب من مشاهير الكتّاب يُنسب إلى البغاء، وكان له غلام حسن الصورة معذّر ومعنا مغنّ مشهور بالنادرة المليحة وخفة الروح، غير منكر عليه ما يأتي به من هذا الجنس. فلما أخذ منّا الشّراب وقمنا إلى المنام صعد الكاتب إلى الاعاني ^(٤٣) واستدعى غلامه إليه كأنّه هو الفاعل، وطفئت السّرج ثم أخذوا في العمل ونحن نسمع حركتهما.

وطالت الحركة بينهما أكثر الليل، فلما عيل صبر المغنّي مما يسمع من حركتهما، رفع رأسه في الظلام ثم قال: (يا أصحابنا، لعنة الله على الكاذب إن كان النيك في استٍ واحد).

كان بعض الأشراف بغّي وكان يجلس على باب داره ويجمع إليه ناساً من أهل هذه العلة وغيرهم، فوقف عليه رجل يوماً، راكب على بغل وقد أدلى وكانوا في حديث إنسان فقال بعض مَنْ حضر: (أيرُ هذا البغل في استٍ فلان)، فقال صاحب المجلس: (ما أنصفُتنا، تقعد عندنا وتتمنّى الخير لغيرنا؟!)

ورأى محدث حماراً قد نزا على حمارة فغلظت الفَيْشلة فدخلت في استٍ الحمارة فاعتقد المحدث أن ذلك تعمداً من الحمارة فقال: (سبحان الله، ما

(٤٢) الدّولاب: الآلة التي تدبرها الدابة ليستقي بها الماء، وهي فارسية مركّبة من (دولا: إناء) و(آب: ماء).

(٤٣) عنان الدار: جوانبها، وربما كانت (الأعالي) مصحّفة.

اعقل هذا الحمار وما أحسن فعله . والله أعقل من كثير من الناس).

كان بالمغرب رجل عظيم القدر، كبير المنصب، شريف البيت، كثير المال والجاه، وكان شديد البغاء. وكان له إسطبل على باب داره، فيه جملة دواب وعدة سَوَاسٍ من بيض وسود كالغفاريت. فجمع أولئك السَوَاسِ يوماً وقال: (بلغني أن ههنا امرأة فاجرة تقف بالليل على باب الاسطبل تتعرض للغلمان تفسدهم، وهي من بيت كبير تقبح أن تكشف وجهها حتى تُعرف، فأشتهي إذا أحسستم بها أن تطفئوا السراج وتدخلوها ولا تكشفوا عن وجهها ولا تتعرضوا منها لشيء أكثر من أن تنيموها على وجهها وتنيكوها كلَّكم في الاست أشد نيك تقدرون عليه حتى أتوب هذه الفاجرة عن التحرش بغلماني، ولكم عندي الكرامة والصلة)، ثم تركهم إلى الليل وأرسل إليهم النبيذ والفاكهة واللحم إلى الاسطبل.

ولما جَنَّ الليل وعَلِمَ أن الشراب قد أخذ منهم تزياً بزى امرأة وتنقَّب وخرج بلا سراويل فجاء بالقرب من باب الاسطبل بحيث يحسونه فيقومون إليه ويدخلونه الاسطبل ويبطحونه على وجهه وينيكونه أشد نيك كما أمرهم، ولا يتعدون التصرف في استه، فإذا اشبعوه نيكاً قام فانصرف. فكان هذا دأبه معهم على الدوام والاستمرار.

قال مصنف الكتاب: والبغاء أيضاً يكون في الحيوان الغير الناطق كما يكون في الانسان. رايت حماراً بغى، وذلك اني شاهدتُ حماراً ينيك حماراً. والحمار المنيوك يرجع بأسته للحمار النانك ويفجج^(٤٤) ساقيه ويلتذ بفعله. فلما أخرج منه الحمار أيره خرج سرمه معه، فأقام أياماً ونفق^(٤٥).

(٤٤) فجج: فرج ما بين ساقيه.

(٤٥) في ب. ج ثلاث حكايات اضافية تلي هذه الحكاية مباشرة ونعتقد لضعفها وعميتها أنها موضوعة على الكاتب: [وحكى بعضهم قال: مرَّ ذئب بروضه من الرياض فاذا فيها حمار قائم يرعى. فلما =

ورأيت سنوراً^(٤٦) بغى، وذلك اني حضرت مجلساً عند كاتب كبير، اديب، شاعر، ظريف، من اهل المغرب، فجرى ذكر البغاء، وكان الكاتب المذكور ممن يُتهم بذلك، وقال هو نفسه: (سنوري هذا بغى)، لسنور كان بين ايدينا، فتعجبنا من ذلك واستبعدناه فأخذ اصل رازيانج^(٤٧) كان بين ايدينا، فصار يدخله في إسته ويخرجه والسنور يفجج ساقيه ويدير إسته ويرجع إليه التذاذاً بفعله، فتعجبنا كلنا من هذا الاتفاق^(٤٨).

النوع الخامس في مسائل سألت عنها في هذا الشأن وأجبت عنها بالبيان

قال سهل بن مهندار: اجتمعت يوماً بوجه من وجوه المختئين ببغداد وشيخ من شيوخها العلماء بشأنهم، الفقهاء في أسرارهم، البُصراء

رأه الحمار ايمن بالهلكة فقال في نفسه لأعملن الحيلة فان عشت فهو المقصود، وان فطن لها الذئب فما ثم إلا الموت، وهو حاصل إن فعلها أو لم يفعل. فقام الحمار ومشى قليلاً قليلاً إلى الذئب فقال: اهلاً بمن جعلني الله تعالى رزقه. اعلم ايها الذئب أنك ضيفي وقد اضفقت بنفسي، ولا شيء أعز عليّ منها.. ومن كان مثلي فإن مقصوده الشكر في حياته وموته، وقد دخلت حافري شوكة طويلة وصلت الى ساقمي واشير عليك بقلعها قبل أن تأكلني. فاني اخاف أن تشبك في حلقك فتؤلك وتشتمني بعد موتي. فقال الذئب: لعمري لقد نصحت، أرني حافرك. فانداد له الحمار وعليه زب كذراع، فتعجب الذئب من ذلك وأطال النظر إلى زب الحمار وقد نسي روحه بالنظر، وإذا بالحمار قد شدّ رجله ورمحه رمحةً بتر أسنانه كلها وهشم خرطوميه فخر مغشياً عليه وهرب الحمار. فلما افاق الذئب لام نفسه وقال: كنت جزاراً صرّ بيطاراً وأنا انظر واشتهي اير هذا الحمار.

وقال ابو العيناء: اجتاز عليّ مخنث يعدو، فقلت له: إلى أين يا خرا؟ قال: إلى شاربك. قال ابن الحكم يوماً في مجلس وكان به مخنث (قال؟) ما في الدنيا اعقل من الفحبة، لأنها تطعم اطيب الطعام وتُسقى اشهى الشراب وتعطى الدراهم وتلتذّ انتهي، وأوردنا الحكايات تبعاً لنسخة ج (المحقق).

(٤٦) السنور: الهر.

(٤٧) الرّازيانج: الأنيسون، نبات ذورائحة عطرية تسميته العامية «يانسون».

(٤٨) هامش للناسخ في ١: [اخبرني من أثق به، رأى سنوراً يأتيه مثله فيمكنه ويلتذ بفعله ويتبعه من مكان لكان].

بأمورهم، فقلت: (إني مسائلك عن أشياء من معانيكم في أبواب شبيكم وفنون آرابكم)، فقال لي: (إسألني عما بدا لك فإني أشرحه لك شرحاً، فإني بما تريده خبير، وله محصل. لكن قيّد ما يجري بيني وبينك بالكتابة)، فدعوت بورق ودواة فقال: (إسأل الآن عما بدا لك)، فسألت: (أي الأحاليل أعجب في نفوسكم؟ وأي الناس أحب إليكم؟ والزم^(٤٩) لشهواتكم؟)

قال: (لسنا مجتمعين على صنف بعينه، فإن بعضنا يقول بالشُّقر الحمر من شبّان الروم، وبعضنا يقول بالأحداث منهم، وبعضنا يقول بالخُوز^(٥٠)، وبعضنا يقول بالحُبشان^(٥١) من السودان والمخططين من السودان والزنوج. وسأشرح لك معنى كلّ منا في اختياره لما اختاره:

- أمّا الذين وقع اختيارهم منّا على شبّان الروم فإنهم يزعمون أن الشباب في فعله هو أقوى وأحكم وأحزم وأبقى، وليس هو كالغلام السريع الانزال ولا كالشيخ المستضعف في ذلك الحال.

- وأمّا الذين قالوا بالأحداث فإنهم قالوا: بأن الحدّث هو بين المراهق وبين الشباب فله حدّة المراهقين وقوّة الشباب.

- وأمّا الذين قالوا بالخُوز فإنهم لم يحتجوا بأكثر من الخُوزيّ في فعله وطول عمله وكثرة صبه وغزارة مائه، إذ كان الإبطاء عندنا في أعلى المراتب، وكثرة صبّ المنّي من اللطف سبب.

- وأمّا الذين قالوا بالحبشان والمخططين من أصناف الزنوج والسودان، فإنهم قالوا: إن الحبشة في خلقهم أكبر إيوراً، وأسرعها قياماً، وأبعدها نوماً. والمخططين منهم، ومن سائر الناس، أوفر إيوراً من غيرهم

(٤٩) ١: واللوم. ب، ج: والزم.

(٥٠) الخُوز: أهل خوزستان، وفي «محيط المحيط» للبستاني: جيل من الناس يوصفون بالخسة والدناءة، الواحد منهم: خوزيّ، وهو ممّا يُشتم به.

(٥١) الحُبشان: جمع الحَبَش، جنس من السودان واحده: حَبَشِي، نسبة للحبشة.

وأشبق. والزنوج منهم فأملأ إيوراً، وأشدها تدويراً، وأربا كَمَرًا^(٥٢)، وإن لهم خاصية فيها ليست لغيرهم، وذلك أنهم إذا ناكونا وحصلوه فينا حسسنا منه، في وقت الصب، ماءه يملؤنا وينتشر فينا ويتسكرج في أجوافنا كما تتسكرج إيور الدواب، حتى أنهم لا يتهيأ لهم أن يسألوه منا إلا بعد ساعة).

(قال) وسألته: (أي الأيور أعجب إليكم، والزم لشهوتكم، وأبلغ في مطلوبكم؟)، قال: (إن أصناف الأيور أربعة:

الأول: الطويل الغليظ.

الثاني: الغليظ القصير.

الثالث: الطويل الرقيق.

الرابع: القصير الرقيق.

وقد اختلفنا في إختيارنا لهذه الأصناف، فقال بعضنا بالغليظ القصير، وقال بعضنا بالغليظ الطويل.

- فأما الذين قالوا بالقصير الغليظ فإنهم زعموا أن الطويل الغليظ قليل المحصول، كثير الفضول، سريع المنام، ضعيف القيم. والقصير الغليظ أشد قياماً وأبعد مناماً، وأملأ للجرح.

- وأما الذين قالوا بالغليظ الطويل فإنهم قالوا: إن القصير وإن كان على ما حكيتموه من أفعاله ورَبَّتْموه من خصاله في سائر أحواله، أفليس الذي قصر منه عن بلوغ ما سلكه الطويل دليلاً على فضل الطويل على ما هو دونه من القصر والطول؟

- وأما الطويل الرقيق فليس منّا أحد يحمده إلا ضعفاناً، وأما منْ عرض له منّا رياح البواسير فليس يصلح له الغليظ وإلا آله ومَعْطه وأوجعه. وإنما يختار الرقيق ليدخل بعد ألم، ويسلك بهدوء ولم، ويصل إلى معادن الشهوة بطوله فيرضيها، ويعبر على العلة فلا ينكيها.

- وأما القصير الرقيق فشيء لا يخطر ببال أحد منا، ولا يصلح إلا للمتشبه بنا، الذين ما يقدرّون على ما نقدر نحن عليه).

(قال):

وسألت: (الأيور أصناف من المقادير تعرفونها في هيئة كبرها وصغرها، وأيّ المقادير منها أعجب إليكم والزم لشهوتكم؟) فقال: (نعم، لها مقادير نعرفها، فالنهاية في صغرها هو أن يكون طوله ست أصابع، بأصابع صاحبه، وهذا ممّا لا خير فيه ولا فرج عنده. والذي فوق هذا أن يكون تسع أصابع، والذي فوق هذا هو المتمتع به أن يكون إثني عشر اصبعاً، وهو الذي يمكن استعماله كلّ مَنْ كان ممّا قد شرب في مسقانا. والخارج عن كلّ حدّ، المتجاوز كلّ وصف، فهو أن يكون ستة عشر اصبعاً، وهو الذي لا يطيقه إلا كلّ رئيس، مذكور، حليف، ممارس. ولا يمكن أن يستعمله منا كل أحد، وإنما يستعمله ممّا من يشكو الثقل جنبه، واسترخاء شرجه، ويعد فهمه. وانعتها عندنا في المدح، وأوقعها في المحبة، وأشفاهها للعلة، وأبلغها للعلاج، والدّها للنفس والومها، المراد في كلّ وقت عملها، هو ما غلظ منها وزاد امتلاءً ووفر عرضه وثخن جسمه، وكان ما التفت عليه عند قبضة رؤوس الأنامل وكلّ ما لم تلتف عليه الأنامل عند قبضها عليه، لزيادة امتلائه ووفر عرضه، فهو أزيد في فضله وأبلغ في مدحه وأجود في معناه إذا كان المراد منه إنما هو الامتلاء والعرض، وذلك هو الغرض المقصود وإليه تشرّب النفس).

- فأما الطويل، وإن كان ممدوحاً، فإنه لا يعادل فضيلة العريض. فإن الطويل له موضع يسع طوله، مما عملته الطبيعة الكائنة لا العادة الاكتسابية. وليس المقتدر على استعمال ما طال، ولو تناهى في طوله، ممدوحاً. لأنه إنما اقتدر بالصنع الانساني والطريق الولادي لا التكليف الاكتسابي والتحمّل المعادي.

- فأما العريض والغليظ، فلمّا لم تعمل لهما الطبيعة سعة تشتمل على امتلائهما، وجرى الأمر في دخولهما على غير المجرى الطبيعي بل بالعادة

وَأَلْفِ السَّالْكِينَ لَهَا، حَتَّى صَارَ الْمَسْلُوكُ مِنَ السَّعَةِ عَلَى مَا أَرَادُوا مِنَ
الِاتِّصَاحِ عَلَى مَا اعْتَادَ، فَكَانَ الْقَادِرُ عَلَى إِدْخَالِ الْغَلِيظِ مِنَ الْإَيُّورِ مَتْنًا
أَمْرَحَ مِنَ الْقَادِرِ عَلَى إِدْخَالِ الطَّوِيلِ عَلَى كُلِّ حَالٍ.
فَأَمَّا مَا دُونَ هَذِهِ الْأَقْدَارِ الثَّلَاثَةِ فَهُوَ لَا شَيْءَ).

(قال)

فَقُلْتُ لَهُ: (إِنَّهُ قَالَ لِي بَعْضُ أَصْحَابِكُمْ، وَقَدْ سَأَلْتَهُ تَعْرِيفِي أَصْحَابَ
كَبِيرِ الْإَيُّورِ مِنَ النَّاسِ عَلَى مَا اخْتَبَرَهُ وَمَارَسَهُ بِطُولِ التَّجَرُّبَةِ، فَقَالَ: هُوَ مَنْ
أَشْرَقَ لَوْنُهُ، وَنَضَرَ مَاءُ وَجْهِهِ، وَتَمَتَّتْ خَلْقَتُهُ، وَحَسُنَتْ مَشِيَّتُهُ وَنَعِمَتْ
أَطْرَافُهُ. فَهَلِ الْأَمْرُ كَذَلِكَ أَمْ لَا؟) فَقَالَ لِي: (إِيَّاكَ يَا سَيِّدِي الْإِغْتِرَارُ بِمَا قَالَهُ
لَكَ هَذَا الْجَاهِلُ الْقَلِيلُ الْفَهْمِ، النَّاقِصُ الْمَعْرِفَةِ، غَيْرُ الْخَبِيرِ بِالْأُمُورِ، الْعَدِيمُ
التَّجَارِبِ، فَتَهْلِكُ وَتَضِيْعُ مَالُكَ وَتَتَلَفُ عَمْرُكَ وَتَشْغُلُ قَلْبُكَ. فَكَمْ مَنْ غَرَّتْهُ
تِجَارَتُهُ وَخَانَتْهُ فِرَاسَتُهُ فَوَقَعَ فِي الْخُسْرَانِ وَحَصَلَ عَلَى النَّدَمِ حَيْثُ لَا يَنْفَعُهُ
النَّدَمُ شَيْئًا. وَاعْلَمْ أَنَّ لِلْإَيُّورِ جَوَاهِرَ وَلَهَا مَعَادِنُ كَمَعَادِنِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ
وَالْيَاقُوتِ، فَإِنَّكَ قَدْ تَجَدَّدَ الْوَاحِدُ مِنَ النَّاسِ الرَّدِيءِ مَنْظَرُهُ، الْحَقِيرَةِ
صُورَتُهُ، الْوَسْخَةُ كَسُوتُهُ، الدَّنِيَّةُ صِنَاعَتُهُ، فَتُسْتَهْزِئُ بِمَقْدَارِهِ وَتُسْتَحَقَّرُ
ظَاهِرُهُ. حَتَّى إِذَا فُتِّشَتْ مَخْبِرُهُ وَاسْتَنْبِطَتْ بَاطِنُهُ وَجَدَتْ مَعَهُ جَوْهَرًا نَفِيسًا
مَقْدَارُهُ، يَبْتَهِجُ الْقَلْبُ لَجَمَالِهِ، وَيَرُوقُ الْعَيْنُ بِهَآؤِهِ، أَيْرُ نَبِيلٍ جَلِيلٍ كَأَنَّهُ
الْمَلِكُ عَلَى السَّرِيرِ.

وَكَمْ مَنْ تَرَاهُ بَهِيًّا مَنْظَرُهُ، حَسَنًا زِينَتُهُ، رَاقِيَةً كَسُوتُهُ، نَبِيلَةً صِنَاعَتُهُ،
فَتُخَالُ نَفِيسَ بَاطِنِهِ بَعْدَ الطَّلَبِ الشَّدِيدِ وَتَقْلُبُ الْمِرَاسِلَةَ وَالْإِنْتَظَارَ
لِلْمَوَاصِلَةِ، الْفَيْتُ نَفْسَكَ مِنْ مَرَادِكَ خَالِيًا، وَمِنْ تَقْدِيرِكَ فِيهِ فَارِغًا، وَمِنْ كُلِّ
خَيْرٍ آيِسًا.

وَأَنَا أَحْكِي لَكَ يَا مَوْلَايَ مَا اتَّفَقَ لِي مِنْ هَذَا الْبَابِ، وَذَلِكَ أَنِّي كُنْتُ يَوْمًا
سَائِرًا مَعَ الْأَمِيرِ أَبِي النُّجْمِ بَدْرٍ وَكَانَ وَرَائِي أَخَوَاتِي^(٥٣) مِنْ سَوَاقِ الْكَرْخِ

(٥٣) هَكَذَا فِي الْأَصْلِ، وَسَيَتَحَدَّثُ دَائِمًا عَنْهُمْ بِصِيغَةِ التَّأْنِيثِ قِيَمًا بَعْدَ.

إِذْ اسْتَقْبَلْنَا غلام في قَدِّ السَّروَةِ، مديد القامة، حسنة شمائله، مليحة إشارته، بوجه يتلالا وَخَذَ أسيل، مختَطَّ العذارين وشعر أسود، وعليه غلالة شرب، مرتدَّ برداء قد نفضه على رأسه، وسراويل على قدميه وتكَّة حريير ظاهرة من تحت غلالته، وفي رجله نعل كيساني^(٥٤) صرَّار، خلفه غلمان يتبعونه.

فلما رأيته أسلب عقلي وقلبي واحتبس نَفْسِي وشغفتُ به ولم أدر أين أقصد ولا أين أدرج، فلما راوا أخواتي حالي وانكشفَ لهنَّ أمري طلبوه لي وسرَّنَ خلفه حتى عرفنَّ موضعه وسألنَّ عنه، فوجدنه من أولاد الهاشميين وأبوه من صُلَبيهم قريب عند السلطان. فلم أزل أعمل الحيلة وأقصد مَنْ أعرف وَمَنْ لا أعرف وأهدى وأضلَّ، فذهب مني في هذا الشأن نحو من ألفي درهم، حتى حصل في منزلي مع جماعة من غلمانه، وقد كان وصلهم بَرِّي وبنان عليهم فعلي، فلم أدع جهداً أتجمل به عنده إلاَّ وتجمَّلْتُ، ولا معنى يسره ويبتهج له إلاَّ فعلتُ.

فلما أخذ منه الشراب ظهر منه الفرح بغنانا والطرب لرتُّحنا^(٥٥) وانبسطَ عن احتشامه وزال منه انقباضه وعرف غلمانه مرادي فخرجوا وخلَّونا وحدنا، فمددتُ يدي إلى متاعه لأقبض عليه، وأنا، لويلي المغرور، لا أشكُّ في كبره وزيادة قدره ووفور عظمه، فإذا يدي قد وقعتُ منه على عمى وسخام وويل ونكال وبقَّ الصدر.

فلم أنتظر حتى وثبتُ إلى دار لي أخرى فيها أخواتي وصواحباتي أولول والطم على شؤم بختي وعمى بصري وخراب بيتي من كل ما كنت أملكه وأجنائه وأذخره وأقناه، فيما كنتُ صرفته إليه وإلى أسبابه، وأصحاباتي^(٥٦) سكوت، مع لي وعلي، ويتوجَّعون توجُّعاً لقلبي وتخوفاً لمصيبتي. ولما انتظرنا المشؤوم ولم ير أحداً منا خرج مع غلمانه إلى لعنة

(٥٤) الكيسانية: جلود حمر غير مدبوجة.

(٥٥) الرُّنح: الدوار والاختلاط في السكر.

(٥٦) هكذا في الأصل، ولعلها طريقة حديث المختلئين عن بعضهم.

الله، فخرسرتُ مالي وشغلْتُ قلبي وتركتُ كسبي حتى حصلتُ لا على شيء. فهذا أحد مَنْ غَرَنِي ظاهره وكان كالسرّاب.

فأما مَنْ استزريتُ ظاهره واحتقرتُ خلقته واسترذلتُ صناعته واستوحشتُ كسوته واستعدمتُ الخير منه ومن أمثاله ولا حسبْتُ أنّه يخطر على بالي، فكان الأمر بخلاف ذلك، وذلك^(٥٧) أن غلاماً زبّالاً^(٥٨) أصفر كان يتعهّد اسطبل دوابي في كل يوم لأخذ الزبل منه، وكان ربما جاء معه رجل آخر، قيل لي إنه أستاذه، وربما جاء وحده. إلّا أنّ عيني لم تكد تخلو من نظرها إليه في كثير من الأوقات. وكنتُ لا أملؤ عيني منه، استقداراً له ولصناعته، ولا خطر لي قط على بال.

وإنّي لمشرف يوماً على الاسطبل من كوة بيت أبصر منها دوابي وأعلم خال خدمة سؤاسي لها، أراهم منها ولا يروني، إذ لمحتُ هذا الغلام الأصفر قائماً يجمع الزبل وعلى رأسه فوطة فحلّها ونفضها، فعند حلّه لها ونفضه إيّاها تأملتُ في وسطه أيراً في طول الذراع، ناعماً رطباً، ذهبياً، له بريق ورأس وافرة، وغضاضة ونضارة، فلم أتمالك أن صحتُ بغلمانني وأمرتهم أن يدعوه لي فجأوني به فتأملتُ خلقته وصورته، وما كنتُ قبل ذلك لا تأمله^(٥٩) ولا ملأتُ عيني منه، فإذا هو من الصفر حسناً، بحاجبين أزجّين، وعينين غنّجيين، وخدّ أسيل، وجيد سبط، بشفتين رطبتين فيهما امتلاء يسير، وثغر كاللؤلؤ بياضاً ونقاء، وأطراف مرميّة، ولبد^(٦٠) به بريق وصقاله ونعومة وصفرة مشبّعة، وسنّه من السبع عشرة سنة إلى الثمان عشرة، بلون ميل إلى الخلاسة^(٦١) والتفاف اللحم. فسألته عن مولده فذكر إنه من مآلید البصرة وإن أستاذه الزبال عشقه منذ ثلاث سنين وصار إلى بغداد.

(٥٧) وبذلك: إضافة من ب، ج. وهي ناقصة في أ.

(٥٨) أي رومي.

(٥٩) أ: لا تأمله.

(٦٠) اللبد: الشعر المتلبد.

(٦١) الخلاسة: الإحمرار الذي يخالط بياضه السواد.

فأمرته بحل فوطته التي في وسطه فأبى استحياءً وخجلاً فأمرتُ غلماني بحلها ففعلوا، وكشفتُ عن أيره فكان كأير البغل إذا ادلى قبل أن ينغض، فأمرتهم بأقامته عليه فساعة أوميء إلى مسكه قام وانبسط وتوتر وامتدَّ وتقوس إلى فوق من شدة انعاظه فانتفخت كمرته وعلت وربت وتسكرجت وبرقت، فلما رأيته على هذه الحالة الجليلة والصفة النبيلة والمعاني الخطيرة، أمرتُ بتنظيفه بالحمام والبسته دستاً^(٦٢) من ثيابي بغلالة شرب وسراويل دبيقي^(٦٣) وتكة إبريسم، وأفرغت على رأسه منديلاً دبيقياً والبسته نعلًا وبخرتة من بخوري وأطعمته معي وسقيته وبيتته معي فناكني بقية يومنا ومساننا وليلتنا بنحو من خمسة عشر زياً، نيكاً طيباً لذيذاً هشاً، برهز قوي ووقع صلب وطول لبث وابطاء إنزال^(٦٤) وغزارة ماء.

فلما أصبحنا سلمتُ إليه كل ما أملكه وصار أمره فوق أمري، وكان كل واحد منا في عيشة راضية، وملكتُه واستأثرتُ به دون كل مخلوق إلى أن عيل وتوفي وفرق الدهر بيني وبينه فكوى موته قلبي وحزنتُ عليه ما لم أحزن على مخلوق مثله، وعملتُ له الماتم الذي يتحدث الناس به إلى الساعة ولبستُ عليه الحداد ولم أدخل إلى فرح سنة كاملة حتى حلف عليّ اخواني فنزعتُ الحداد وفي قلبي عليه نار لا تطفأ إلى الأبد.

وأما شرحتُ لك، يا سيدي، هذا كله لتعلم أن الأمر فيما سألت عنه شيء ليس^(٦٥) مربوطاً بالقياس فهمه، ولا بالعقل معرفته، لأن الأيور في الناس مواهب تعطيها الحظوظ لمن قُسمت له من العباد، وأرزاق ترزقها من يستحق ومن لا يستحق. فكم من تراه في حينه مؤزرة أعضاؤه تجد معه منه فخذاً تاماً أو ذراعاً وافرأ. ولم يُعط أحد علم هذا السر لا بمعرفة ولا بفراصة، ولا يدرك ذلك بغير المشاهدة).

فقلت له: (ما يصلح من الأيور لمن لم يكن، قط، دخل في هذا العلم ولا

(٦٢) الدست: اللباس.

(٦٣) الدبيقي: من ديق ثياب مصر، معروفة تُنسب إلى دبيق.

(٦٤) ١: وإبطال نزال.

(٦٥) ليس: إضافة من عندنا. وفي ج: لا يدرك القياس فهمه. ب: يسامر بوطي بالقياس (١).

ارتاضَ ولا مارسَ؟ قال: (أما الداخلون في هذا العلم، الذي لم يكن لهم في الصبا من يسره لهم، فإذا ظهر كامن شهوتهم بعد كبرهم وخشونتهم فليس لهم منها إلا ما صغر فلان وكان متيقضاً ناهضاً لا يسوغ النوم. ويكون رقيق القلب، صغير الرأس، غليظ الأصل، ناعماً جداً، لتكون مداخلة بمنزلة المعالجات الدقيق الذي يدخل المِئيل^(٦٦) في الجرح ليعرف مقدار عمقه، فإن آلم أمسك عنه، وإن لم يؤلم دفعَ برفق. فإذا ارتاضَ بهذا الأير وصلح وسهل عليه مدخله، عند ذلك يندرج من شيء أصغر إلى شيء أكبر حتى يعلم ويمهر ويتحذق ويدخل في جملتنا، إلا أنه لا يصير إلى الحال التي نحن عليها من السعة والاقتدار عن المتناهي من الكبر، الزائد في الامتلاء والعرض، في زمن يسير المدة. لأن الواحد منا لا يزال، من صباه إلى شيخوخته، يزيد عاداته ويكثر توسعه. ثم انهم يرتاضون بعد ذلك بكبار الأيور إذا سكرُوا، فإنَّ شدة السكر ترخي الأشرار وتوسع الأعفاج^(٦٧) وتخذّر معه الحواس لشدة النعاس. فإذا ارتاضوا بذلك في السكر وحمل عليهم في الدفع وأصبحوا من الغد مفجّجين^(٦٨)، ومن هجوم الأيور متألمين، واردة أشرارهم، مقلّبة أبحارهم، دووا بالحمام والزيت الحار. فيسرّع ذلك بغلغلتهم ويسهل اقتدارهم ويزيل تألمهم ويلين مستصعبهم).

قلت له: (فأيّ اللزوجات المستعملة في تسهيل المدخل أحمّد، وآيها أجود؟) قال: (أما الداخلين في العمل والمتعلّمين قلعب حبّ السفرجل^(٦٩) والكُسبرة^(٧٠) المحلولة بالماء. وأما لأمثالنا، عندما يعظم علينا ورود ما كبير منها، فالزيت).

(٦٦) المِئيل: آلة الجراح التي يسير بها الجرح ونحوه.

(٦٧) الأعفاج: جمع عفج، وهو المني.

(٦٨) المفجج: المشقق.

(٦٩) أعاب السفرجل: دواء يتخذ من بزره، والسفرجل: شجر مثمر من فصيلة الورديات مهدد الأصلي إيران، تؤكل ثماره نيئة وتطبخ بالسكر فيصنع منها مرببات.

(٧٠) الكُسبرة (الكزبرة): بقلة من فصيلة الخيميات، مهدد الأصلي أوروبا الجنوبية، يُستعمل بزرها كغالب وتركيب بعض المشروبات.

قلتُ له: (فإنَّ عَظْمَ حَبِّ السَّفَرَجِلِ وَالْكُسْبَرَةِ؟) قال: (فُلُعَابُ بَزْرِ الْكَثَّانِ إِذَا كَانَ هَذَا مَلِينًا بِطَبْعِهِ، مَسْلَسًا بِعَذُوبَتِهِ، يَمْنَعُ مِنَ الْخَشُونَةِ وَيُدَاوِي بِهِ الشَّقِيقَ).

قلتُ له: (فما تقول في الخطميّة؟) قال: (هي محمودة وقياما عند الاضطرار، لكن ليس فيها دهنيّة، إذ الدهنيّة أجل في هذا من كل شيء. فأما الذي قد حذق وبصر فليس له غير النخاع، فإنه لزج دهني مبارك). ثم قال لي: (وليس شيء من هذه المسهلات للمدخل، يا سيدي، أجود ولا أنفع إلا الدهن ولا غيره، من الغلّة والتوديق^(٧١)، فإنه إذا تودق المشتهي متا ومن غيرنا على أير من يشتبهه حتى يدلي ويتمدد وينتفخ وينبسط وتتسع عروقه وتحمرّ أوداجه ويعرض قفاه وينقلب ظهره إلى فوق من شدّة قيامه، أو ينك به غيره بين يديه، وهو يتأمل بعينه دخوله وخروجه ونقنقته في جحر ذلك المنبوك، كأنه نقنقة ضفادع في غدير ماء، أو كأنه نقنقة العجين في وقت عجنه، أو إدارة فخذه، فأعجبه واشتهاه ونضحت عيناه على شهوته، أخذه صاحبه فذلك بكمرته باب فقّحته^(٧٢)، استرخى لذلك شرجه واتسعت جاعرته^(٧٣). فإذا دفعه فيه لم يتألم له، وإن كان مؤلماً، ولم يتوجّع له وإن كان موجعاً لغلبة الشبق على قلبه والغلّة على لبه والوداق^(٧٤) على جحره. وقد رأيت من غلام، كان مرة معي في وداقته، شيئاً عجيباً شبيهاً بما وصفتُ لك^(٧٥)).

(٧١) التودق: الشهوة والرغبة في طلب الفحل.

(٧٢) الفقّحة: حلقة الدبر لانتفاحتها عند الحاجة.

(٧٣) الجعراء: الدبر.

(٧٤) الوداق: الرغبة، الحرص على طلب الفحل.

(٧٥) هناك اضافة لحكايات في ب، ج وأضح أنها مدسوسة، تلي هذا الحديث، نثبتها هنا طبقاً لنسخة

ج: [وقيل لبعض البغاة: لم تنك مع شريك؟ فقال: ذوقوا ثم لوموا. ودخل رجل إلى دهليز فرأى مابوناً ينادي فقال له: تنك في بيتي؟ وجعل يكررها، فقال له المأبون: كم تمرّ علي ببيتك، تعال انتك في بيتي عشرين مرة حتى تنظر إن كنت امنك. ونظر بعض البغاة الى بعض العجائز ومعها عنقود حصرم تعصره في أعين الناس فقال لها: لا شيء هذا؟ قالت: ينفع للحكة. قال: بالله عسى أن تعطيني إياه فأعصره في نقبي فإن فيها حكة عظيمة].

قلتُ له: (وما كان من حديث هذا الغلام؟) قال: (إنني أكره الاطالة أن تعقب ملالة)، قلتُ له: (إنَّ في اطالة الحديث فائدة، وفي إيجازه التقصير عنها)، قال: (فاسمعه وإنَّ كان طويلاً، حتى أشرح لك ما كان من خبره وخبري أنا أيضاً مع خبره، ولا أدعُ فيه معنى إلا كشفته، ولا مستوراً إلا أظهرته)، قلتُ له: (يا فيلسوف هذا الشأن، الكامل الغدوان^(٧٦))، المخصوص فيه بالبيان).

قال: تعلم يا أخي أنني وجَّهَ إليَّ شفيعُ الخادم يوماً، وكان لا يصبر عني ساعة، وقد كنتُ انقطعتُ^(٧٧) عنه شهوراً لموجدة قد كنتُ واجدتها عليه، حتى رأيته يوماً في دار السلطان فصالحني واعتذر مما جرى منه وأخذني مع أصحابي ومضيتُ إليه، وكان معي ممَّن أخرجته معنا غلام ولد نعمة من آل وهب بن سليمان قد اشتهى التخنيث ومال إليه فشرد بعد وفاة أبيه عن منزله وأهله وأحبُّ أن يكون معنا ويتزيَّاً بزينا، وكان حسن الدلال والغنج والوجه وبجحره، يا سيدي، من الشَّبَق والغلمة ما ليس في جحر واحد منا. وقد كان شكى إلينا أنه لم يكن له مَنْ يروضه في صغره ولا يفتق رتقه ولا يفتح سده ولا يوسع ضيقه. وذكر أن أهل بيته وأبويه كانوا يحصرونه ويمنعونوه ولا يبذلونه للخروج عن منزله ولا يتركون أحداً يكلمه ولا يكلم هو أحداً، فزعاً عليه أن يفسد أو يصير إلى ما صار إليه أخيراً، والطبع يقلب والقضاء لا يغالب.

وقد كان مع تودُّق شهوته وحرقة تودِّقه، بالحال التي ذكر من ترك الرياضة وفقد السَّعة وضيق الفقحة. وكان كثيراً ما يرى نزو شطارنا علينا ودفعهم فينا وسهولة ذلك علينا فيبكي تحسراً، ويتنهد تفجعاً، ويشهق تودِّقاً. فلقد كنا نرقُّ له كلُّنا ونرحمه ونعده بالعناية بأمره والحرص على تعلِّمه وأن نجنيه بمن يسوِّيه ونبدل له في تسويته دراهم ونجتهد في ذلك. فكان يشكرنا على هذه النية وما نظهر له من حسن الطوية.

(٧٦) الغدوان: السِّلْبُ الغاشش.

(٧٧) ١: انقطعت.

فَمَرَّ لَنَا عِنْدَ شَفِيعِ يَوْمٍ طَيِّبٍ بِاللَّعِبِ وَالْفَرَحِ وَالسُّرُورِ وَالنَّعُوضِ الْكَثِيرِ
وَالخَلْعِ، وَكَانَ يَدُورُ عَلَيْنَا فِي الْمَجْلِسِ غَلَامٌ رُومِيٌّ فَصِيحٌ لَمْ أَكُنْ قَطَّرَأَيْتَهُ
قَبْلَ ذَلِكَ عِنْدَهُ وَإِنَّمَا اشْتَرَاهُ فِي أَيَّامِ جَفَائِي لَهُ وَانْقِطَاعِي عَنْهُ، كَأَنَّهُ الْقَمَرُ،
بِحَاجِبَيْنِ أَرْجَيْنِ مَقْرُونَيْنِ، وَعَيْنَيْنِ مَفْتَتِحَيْنِ سَاحِرَتَيْنِ وَلَهُمَا أَشْفَارُ كَأَجْنَحَةِ
النَّسُورِ، وَفَمِ وَأَسْنَانُ كَاللُّؤْلُؤِ الْمُنَظَّومِ، وَعِذَارَيْنِ فِي اخْضِرَارِ السَّلْقِ، وَطَرَّةٌ
مُنْسَدَلَةٌ، وَأَصْدَاغٌ مُسْبِلَةٌ، بِقَوَامٍ وَخَصَرٍ وَنَعُومَةٍ أَطْرَافٍ. وَعَلَيْهِ قَبَاءٌ^(٧٨)
أَطْلَسَ أَحْمَرَ وَعَلَى رَأْسِهِ مَقْلَاعِيَّةٌ وَشِي مَذْهَبَةٌ، وَفِي أُذُنِهِ خَلْقَةٌ ذَهَبٌ بِحَبَّةِ
لَوْلُؤٍ فِي قَدْرِ الْبِنْدَقَةِ الصَّغِيرَةِ، وَسِرَاوِيلٌ مُسْبِلٌ عَلَى قَدَمَيْهِ. وَكَانَ اسْمُهُ:
فَاتِنٌ، وَإِذَا بَيْنَ مَعْنَاهُ كَانَ كِاسْمُهُ.

فَأَمَّا أَنَا فَأَنْهَضُنِي جَمَالُهُ وَفَتَنُنِي قَوَامُهُ وَتَيَمِّنِي غُنْجُهُ وَدَلَالُهُ، وَإِنْ كَانَ
لَيْسَ مِنْ شِيْمَتِي أَمْثَالُهُ وَلَا مِنْ طُورِي أَشْبَاهُهُ، لَغَلْبَةُ شَهْوَةِ الرِّجَالِ عَلَيَّ
دُونَ الْغُلْمَانِ، وَكِبَارِ الْفُحُولِ دُونَ الصَّبِيَّانِ. وَلَمْ تَزَلْ عَيْنِي تَرَاعِي مَعَانِيَهُ
وَفَتُونِ حَسَنِهِ فِي أَقَاصِيهِ وَأَدَانِيهِ، وَإِذَا بِهِ وَبِغَلَامِي الصَّبِيِّ الْمُخَنَّثِ قَدْ
أَسْرَا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِصَاحِبِهِ وَتَغَامَزَا وَتَصَافَرَا وَتَنَاقَا وَتَوَاعَدَا. فَلَمَّا
انْقَضَى الْمَجْلِسُ رَمْنَا الْإِنْصِرَافَ فَلَمْ يُوْذَنْ لَنَا، وَأَفْرَدْتُ لَنَا حِجْرَةً وَقَرُشْتُ
فَدَخَلْنَاهَا وَالصَّبِيَّ مَعَنَا. فَأَقْبَلَ عَلَيْنَا يَسْأَلُنَا أَنْ نَنَامَ، وَنَحْنُ مُتَشَاغِلُونَ
بِالْحَدِيثِ وَلَا نَعْلَمُ أَيْشَ فِي نَفْسِهِ مِنْ فَاتِنٍ وَلَا فِي نَفْسِ فَاتِنٍ مِنْهُ. فَلَمَّا هَدَأَتْ
الْعَيُونَ إِذَا بِفَاتِنٍ قَدْ دَخَلَ عَلَيْنَا فَرَاعَنَا دُخُولُهُ وَاسْتَنْكَرْنَا مَجِيئَهُ إِلَيْنَا فِي
ذَلِكَ الْوَقْتِ، وَإِذَا هُوَ بِغَيْرِ سِرَاوِيلٍ وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ شَرِبَ، وَهُوَ مِمَّا يَنَامُ فِيهِ،
وَرَائِحَةُ الْعَطَرِ تَفُوحُ مِنْهُ. فَقَامَ الْغَلَامُ إِلَيْهِ وَعَانَقَهُ وَجَلَسَا فَقُلْتُ لَهُمَا: (مَا
الَّذِي فِي رَأْيِكُمَا أَنْ تَفْعَلَاهُ؟ وَمَا عَسَاكُمَا أَنْ تَأْتِيَاهُ؟) فَقَالَا: (نَتَنَاقِ، أَعْرَكَ
اللَّهُ) وَقَدْ عَلِمْتُ مِنْ نَفْسِي أَنَّ الصَّبِيَّ لَا يَقْوَى ثُمَّ قُلْتُ بَلْ يَقْوَى لِزَيْبِ فَاتِنٍ،
إِذْ كَانَ فَاتِنٌ صَبِيئاً وَزَيْبُهُ صَغِيرٌ عَلَى مِقْدَارِ سَنَةٍ وَقَرِيبٌ إِدْرَاكُهُ، فَقُلْتُ:
(شَأْنُكُمَا وَمَا تَحْبَبَانِ)، ثُمَّ أَدْرَكَنِي عَقْلِي فَقُلْتُ أَمْتَحَنُ مَا مَعَهُ وَاجِسَّهُ عَلَى
جَنْسِ الْوَلَعِ لَا عَلَى جَنْسِ الْقَصْدِ، فَقُلْتُ: (بِشُرُوطٍ)، فَقَالَ لِي فَاتِنٌ: (وَمَا

(٧٨) الْقَبَاءُ: ثَوْبٌ يُلْبَسُ فَوْقَ الثِّيَابِ. وَالْأَطْلَسُ: ثَوْبٌ مِنْ حَرِيرٍ مَنْسُوجٌ.

(الشروط؟) قلتُ: (على أن تنيكه بحضرتي في ضياء الشمع، لأراكما وأفرح بكما، وإلا لم أدعكما)، فلما لم يجدا بدأ أجاباني إلى ذلك. فكشف فانت عن أير طوله ذراع أو قريب منه في تدوير الساق، برأس كأنه صُبْحَةٌ^(٧٩) التين، أبيض أشقر أملس، بحروف جافية عالية على بدنه، بنعومة ولين وبريق وصفاء وعروق ظاهرة وغضاضة مع شعرة لينة كما قد زغبتُ وأول ما طلعت، وكل شيء جليل ما رأيتُ قط أيراً مثله على كثرة ممارستي للأبور وما مرّ على يدي وبصري منها، فقلتُ له: (ومن أين لك هذا كله؟)، فإني ما رأيتُ مثل هذا على رجل قط، على كثرة مشاهدتي للأبور وطلبي لمختارها وحصولي على جيدها. وما ظننتُ أن يكون مثل هذا على الأدميين. ورأيتُ قد تحركتُ له جوارحي واشتدتُ بي الغلظة وابتدرتني الشهوة، وغلامي الصبي أيضاً على مثل حالي، وهيبته لمكاني تمنعه من أن ينطق فأثرتُ به نفسي وأوثيته عليّ، فلفرط حدّته ناكني وما أنا في عقل، فدفعه فيّ دفعا لم التذّ بشيء قط كذاذته ولا وقع بقلبي موقعه. وذلك أنه كان يحرقني بسخونة أيره ويؤلني احتزاره، بتأيدٍ في الرهز وتثبت في الدفع ومعرفة بموقع اللذة مني وبما يحصلها، لا تلحقه حشمة الصبي ولا يقطعه سؤال ولا تدركه هيبة الاحتشام. وذلك أنه كان يدخله كله ويغيبه إلى أصله ويخرجه كله ويظهره إلى كمرته ثم يرده على ذلك بتؤدة ووقار بلا عجلة ولا خوف إلى أن يغيبه فيّ، وغلامي الصبي في ذلك ينظر، كيف يغيبه فيّ كله ويخرجه مني كله بعينه ويسمع صوتَ نقيقه في بطني، عند وروده وصدوره، بأذنيه وهو يتمرّغ يمنة ويسرة ويقوم ويقعد غُلْمَةً وشَبَقاً وحرصاً على ما رأيته به وطلباً لفعل ما أنا فيه معه.

فلما علم أن فانت قد صبه فيّ وقد اغشتني الشهوة وقد أخرجه مني كأنه ساجة^(٨٠) معترضة أو جذعة منبطحة، غضاً، بضاً، قائماً، منتصباً، يبرق كالسيف ويلمع كالشهاب، عريضاً، مدوراً، صلّ معجن^(٨١)، تناوله

(٧٩) الصبحة: لون يضرب إلى الشبهة أو إلى الصهبة.

(٨٠) الساج: شجر من فصيلة رُغِي الخَمَام، وخشبه من أجود وأصلب الأخشاب.

(٨١) في اللغة: (المجان: الأمست والقضيب الممدود من الخصية إلى حلقة الدبر. المعجن: المختنث. =

بيده وانكفاً على أربع لا يثنيه ثان ولا ينهيه ناه ولا يزجره زاجر. فلما رأته وقد غلبت الغلبة عليه هذه الغلبة، وتمكنت منه هذه المكنة، وقويت عليه هذه القوة، وعلمت أنه لا يملك عقله ولا يضبط نفسه، وفهمت حاله البائس في ضعفه عن حمل ما أطق، وتقصيره في إدراك ما بلغت من القدرة على إدخال هذا الأير العظيم شأنه، القوي سلطانته، وأنه لا يحمل ما هو دونه بطبقات، فزعت أن يهلك وخشيت أن يتلف، فقلت لفاتن: (إرحمه، الويل له! واحذر أن يدخل عليه منه شيء، واقض وطره منك ووطرك منه بين أفخاذه، وإياك ما سوى ذلك وإلا قتلته وأخرجتنا من دار الاستاذ على قتيل، فإنه الشقي البائس لا يطيق ولا يحتمل ولا يقدر لأنه لم يتعوده، ولا علمه، وإنما فرط شهوته وزيادة غلمته قد حملته على ما ترى منه)، فإذا به قد صاح: (إدفعه يا سيدي كما دفعته في استاذي، وأولجه في كما أولجته فيه وشقني وخرقني وفقني ومزقني واهتك ستري وادخله في بأشد قوتك ولا ترحمني، بحق رأس مولاك عليك، واسمعي صوته في وغطيته في بطني واقتلني به وأنت في جل من دمي).

وإذا فرط الغلبة وشدة التودق قد أخرجاه إلى ذهاب العقل حتى تكلم بما لا يدري عاقبته. فلعهدي بفاتن، يا سيدي، ومتاعه بارز كالذراع الممدود أو الساق المنصوب وقد بزق^(٨٢) على رأسه بزقات، بزقة بعد بزقة، حتى ابتل خرطومه، وبرقت سقاؤه^(٨٣)، ورطب قذاله. ثم جعله على باب مدخل الصبي وسد به بدور شرجه، ووضعه وضعا، ثم ألجمه لقما، وألجمه لرقا، ثم دفعه قليلاً قليلاً، دفعاً دفعاً حتى غاب فيه بعض رأسه، ثم أخرجه وأعاد الزاق عليه مثل المرة الأولى، وأنا ألجم باب سره، كلما أخرجه منه إلى أن يرده فيه، يختلج وينفتح وينغلق على مثل وداق الرماك^(٨٤) سواء. ثم

= المتعجن: البعير المكتنز سمناً. والصل: ملك الحيات، وهو حية صفراء قصيرة). ولعله أراد تشبيهه بصل الحيات السمين. والكلمتان [صل معجن] ساقطتان من ب، ج. (٨٢) بزق: يصبق.

(٨٣) السقاء: وعاء من جلد للماء واللبن ونحوهما.

(٨٤) الرماك: الفرس أو البرذونة التي تتخذ للنسل.

دفعه فيه دفعاً أكثر من ذلك قليلاً حتى قاربت الكمرة أن تغيب فيه، ثم أخرجه فأعاد البزاق على الراس ولطّخ به بدنه ثم بزق على بدنه وغرقه بالبزاق وهو يلمع ضياء وبريقاً وحمرة وتوريداً، مستعملاً في كثرة تنديته له بريقه وتمريخه^(٨٥) إيّاه ببصاقه، البالي^(٨٦) والمصابر وتزك الخرق وحسن الدفق، وحذقاً بالمدارة والعلل، بمنزلة الطبيب الحاذق بصناعته، المشفق على مريضه، اللطيف في تدبيره، المحبّ لعليله، المخفّف عنه بشاعة الدواء وإذاء الداء. ثم دفع فغابت الكمرة، ثم دفع فغابت الرقبة، ثم دفع فدخل المنكب، ثم ابتدا يدخل البدن، وكلّ ذلك على ترتيب وتقسيم وتدرّج. فلعهدي بالصبي يصيح صياحاً مؤلماً ويتعزّك تعزّكاً موجعاً، وكان صياحه في ذلك مشبهاً بصهيل الخيل في محمّتها مع رعدة وصوت. فلما دخل النصف في جوفه أقبل حينئذٍ الدّم يسيل مقطّعاً للشرجة، وهو مع ذلك يغيب فيه ويوسع لنفسه فضاءً يعمّه وموضعاً يحويه ومقداراً يشتمل على كبره، والدم يزيد سيلاناً ويزداد صباً، والعصب ينضمّ دخولاً حتى غاب كلّه فيه ودخل بأسره في معاه واحتوت بطنه عليه واستملاّت أحشاؤه به.

فلما رأيته قد أدخله، وسرّمه قد ابتلعه، وأصله قد غيّبه، والغشي قد ارتكبه، والموت قد أحاط به، ناديته حينئذٍ بإسلامه من غمراته، مسرّاً له بما يسره ويبهجه: (أشدّد يا بني قلبك، فقد بلغت محبوبك ومحبوبنا فيك، وسرورك وسرورنا فيك. فإنك قد أدخلته كلّ، واحتوت عليه بأسره، وها هوذا في بطنك كلّ، فأبشّر وطبّ نفساً وقرّ عيناً فقد أعطيت ما تمنّيت وما كنّا نتمناه لك).

فلما سمع منّي هذا الكلام دارت الروح فيه بعد جمودها، ورجعت نفسه إليه بعد نفورها، ونظر إليّ نظر إفاقة وقال لي: (يا استاذي، أنا ميت بلا شك)، فقلت له: (يا بُني، الآن عشت وطابت حياتك إذا فكرت قدرتك على ما في بطنك).

(٨٥) تمريخه: دهنه.

(٨٦) البالي: المهتمّ المكثّر.

ثم إن فاتن أخذ في إدخاله كله فيه مستويًا وأخراجه منه مستويًا ورهزَ
بغير عنف ودفعَ بغير ضرر، والغلام إذ ذاك قد عقل حاله وعلم ما يعططُ
في بطنه ويلعب في جوفه، فقوي قلبه قليلاً فرحاً بقدرته عليه. لكن أنينه
وصهيله بحاله والدم يغور منه فوراً دائماً لا يرقأ ولا يكف بل يهرق على
ساقيه ويبي ليثابه، وهو لا يعلم به وأنا فلا أعلمه بذلك لئلا تنفر نفسه
ويسوء ظنه. فلم يزل ذلك دأبه حتى صبه فيه، فلما أحسَّ بصبه واندفاقه
في بطنه، تنهد وتنفس الصعداء، فسله عنه وأخرجه منه فما لحق أن
يخرجه حتى انصب الخراء أيضاً مع الدم انصباباً لا مانع يمنعه ولا
ضابط يضبطه، والدم على أثره يجري جرياً ويسيل سيلاً. ومضى فاتن إلى
المستراح يتغسل مما تم عليه من النوائب وجرى على أيره من المصائب،
وحملنا الغلام على أثره إلى المستراح فغسلناه بماء حار كان هناك في غلاية
وكمدنا سرمه بالزيت الحار وحشوناه بالصوف وسددناه وكبسناه وسألنا
فاتن أن يقوي قلبه ويسكنه من حرقة ألمه بجلوسه عنده ساعة ووقوفه معه
لحظة، فقال: (قد أبطأت عن مولاي وإنما انسلت من فراشه انسلالاً
وتركته نائماً، وأخشى أن ينتبه فلا يجدني فينالني منه مكروه)، فدخلنا
عليه وسألناه حتى فعل وقلنا: (يا سيد النائكين وفاضل المستفحلين
ورئيس المريين، هذا ولدك الذي فتحت، وسدك الذي هدمته)، فجلس
لحظة فقال له الغلام بصوت خافت ونفس خفي: (من ير وجهك لا يموت،
ولولزق بك ميت لعاش. يا سيد الانس ومنية النفس، أسألك أن تقدم إليَّ
قاتلي لأفرح بحصوله لي وتمكنني من النظر إليه ليبتهج قلبي وتسرَّ
جوانحي بما استودعته منه).

فكشف فاتن عن شيء يملؤ العين ويُفرح القلب فأخرجتُ غالية^(٨٧) كانت
معي فضممتها، ومسكاً كان في جيبي فلطختها، وقدمته إلى الغلام فلتقاه
بيديه كليهما وقال: (أما إذ قويت على ما أرى من عظمه واقتردت على
المس من كبره فإنني أنا الفائز بكل خير، والحاصل له كل نعمة، والمدرَك كلُّ

(٨٧) الغالية: اخلاط من الطيب.

أمنية. فالآن لا أبالي عشتُ أو متُّ وقد أدركتُ مثل هذه اللذة، وكملتُ في هذه الغبطة، وتمتَّ عليَّ هذه النعمة، فقرَّبه مني)، فقدمه فأتى إليه فباسه ولشمه وترشفه والتزمه وتركه على عينيه وبكى على فراقه، فقال له فأتى: (هو لك متى شئتُ، وموقوف عليك. فإذا وهبَ الله لك العافية فجئتُني فأتني أبلغك منه محبوبك وأعطيك مرغوبك فقد سهلت لك الطريق لسلوك هذا وغيره فيك)، فقال له الغلام: (نعم، فجزيته عن إحسانك إليَّ خيراً، وبلغتُ الرتبة المناسبة لقدرك، وأعنتُ على بلوغ شكرك).

فقام فأتى ودخل إلى مولاه، فأما أصحاباتي الذين كانوا عندنا هناك وسائر مَنْ كنتُ أخذته معي، فعندما رأوا هذه الأشياء تودَّعوا تودَّعاً لم يمكنهم الصبر معه حتى مضوا إلى فراشي الدار وفحولها، فهدنوا من ولعهم وسكنوا من حرقهم. فلم يزل الغلام طول ليلته في ألم وحرقة وضربان وغشي حتى أصبحنا فحملته إلى منزلي وداويته بما يُداوى به أمثاله، والبسته المصبَّغات وأقعدته على المنصة بالمعصفرات وعملتُ له الصنيع لحدثاته وكمال إدخاله، وجمعتُ له من المختئين من أصحابنا وأقام الصنيع والدعوى حتى برا، فحذق الإدخال بعد ذلك وصار فيه أوحداً، حتى لو ورد على سرمه أيور الخلائق كلُّهم لم يُبال.

وإنما حدثتك، يا سيدي، بحديث هذا الغلام على الاستقصاء، لتعلم أن الغُلمة والوداق والشهوة أجل من كل دهن يُستعمل، وكل لزوجة تُحمل، والتمكُّن من الإدخال أسهل على كل مدخل). فقلتُ له: (علمتُ الخير، ودفع عنك الضرر، فقد شرحت لي ما كان عليَّ مخفياً، وأوضحت لي ما كان عن فهمي مستوراً قصياً، وعلمتني ما كنتُ فيه غيباً، وبجوابه إن سئلتُ عيياً)، ومضى.

وقد كتبتُ عنه ذلك بنفس الفاظه وفاحش كلامه وقضائح عبارته، إذ كانت أبسط للنفس وأجلب للأنس.

النوع السادس
في نوادر المختنين وملحهم

غمرَ عبادةُ المختن رجلاً في درب ووقف له على باب دار وجعل الرجل يفعل به، فأشرفت عليهم امرأة من طاق فصاحت: (اللصوص)، فرفع إليها عبادة رأسه وقال: (انظري يا فاجرة، النقب في حائطك أو في حائطي؟)

وسأل مختن رجلاً، فوجده صغير الأير فقال له: (ما أصغر زيك)، فقال الرجل: (لم يتهيا لي بسبيل أن أجعل نفسي حماراً)، فقال المختن: (فحين لم تجعل نفسك حماراً، كنت جعلتها جحشاً).

قالت امرأة لمختن: (قبّحكم الله، لأنكم معدن كل بلاء)، فقال لها: (اسكتي يا رعناء، فما أعرف لكن فضيلة إلا أنكن تلدن الرجال الكبار الأيور).

وكان مختن له أير كبير عظيم، فقال: (ما أحوجني إلى من ينيكني بأيري هذا).

وعوتب مختن على نتف لحيته، فقال: (شيء لا ترضاه أنت لأستك حتى تحلقه بالموسى أو بالنورة، فكيف أتركه أنا على وجهي؟)

وقيل لمختن: (ما أقبح إستك)، فقال: (تراها لا تصلح إلا للخراء).

وضرب عامل المدينة مختناً عشر درر^(٨٨) فضرط إحدى عشر ضربة، فقال

(٨٨) درر: جمع درّة، وهو السوط الذي يُضرب به.

له: (ويحك، ضربتُك عشرة وتضرط أحد عشر؟) فقال: (أصلح الله الأمير، كان المبتدأ مني)، فضحك وخلق سبيله.

وحجَّ عبادة المختنث مع رفيق له، فطبخا في بعض الطريق أرزاً، فلما غرفاه خطَّ رفيقه في وسط القصعة خطأً وقسمه نصفين ثم أخرج سكرًا فجعله على النصف الذي له، فقال له عبادة: (ما هذا؟) قال: (إني أريد أكل نصيبي بسكر)، فقام عبادة وحلَّ سراويله فقال له رفيقه: (ما تصنع؟) قال: (أريد أبول على نصيبي) قال: (الله، الله. تفسد نصيبي ونصيبك؟) قال: (لا بد). فما زال حتى رضي رفيقه بأن يخلط الأرز كله بالسكر ويأكلان جميعاً.

وقال إنسان لدُبيس المختنث: (لأن قمتُ إليك لادخلنك من حيث خرجت)، فنظر في نفسه، وكان عظيم الجثة، ثم قال: (يا أخي، إن فعلت أنك لرفيق).

وكان مختنث في قافلة وسلكوا طريقاً مخوفاً، فقال لنفر من رفاقه: (اعطوني نفقاتكم حتى أخبئها لكم)، فأخذها وخبأها في جحره. وسمع بعض أهل القافلة قوله لرفاقه فاتاه برزمة ثياب وقال: (تفضل واخبيء لي هذه الرزمة أيضاً) ولم يكن الرجل يعرف في أين يخبيء ذلك، فقال له المختنث: (يا أخي، هذه جحر فلان المختنث، ما هي دكان فلان البراز).

ودخل مختنث حماماً فرأى فيه رجلاً كبير الأير، طويل الشعر، وقد غطت شعرته نصف رقبته، فجعل المختنث يبكي ويقول: (أنا الخليفة، نائم في قطيفة)^(٨٩).

(٨٩) القطيفة: دثار مخمل يليقه الرجل على نفسه. وفي ب، ج: [أرى الخليفة نائم في قطيفة].

وقال مخنث لآخر: (انا في الليلة التي اتنور فيها، لو وصل الزب خمسمائة دينار لم اترك ذلك لو اشتريته).

ورفق جماعة من العيارين غلاماً واجتمعوا عليه، على سور المدينة بسجستان، وفسقوا به واتصل الخبر بأَم الغلام فخرجت تصيح وتصرخ ولقيها مخنث فقال لها: (ما لك؟)، فقالت: (أخذوا ابني وربقوه^(٩٠)، إثنان وعشرون رجلاً)، فقال المخنث: (بَخْ بَخْ، وأين هذا الموضع الذي تغير فيه الأزباب حتى أمضي إليه؟)

وكان بهوازن مخنث له رفيق ليس بمخنث، يأويان جميعاً غرفة، فنزلا ليلة يبولان فرمى المخنث ما أراد دفعة واحدة، لسعة المجرى، ورجع إلى الغرفة. وبقي صاحبه يتزحّر^(٩١) حتى أتوا عليه رجال الطوف^(٩٢) فأخذوه إلى الحبس وضربوه خمسين مفرقة، ظناً به انه من جملة اللصوص. فلما أصبحوا صار المخنث إلى الحبس لصاحبه وقال له: (أنت تعيرني بالجحر الواسع، ولو كان ضيقاً مثل جحر كُنت الساعةً محبوساً معك).

وقال محمد بن الصباح لهيلانة المخنث بسجستان: (إنني لأجد مفساً في خاصرتي)، قال له: (كُل زباً واحداً)، قال: (كيف أكله؟) قال: (سبحان الله، ما أعجب أمرك. لا تدري كيف يلتقم الزب، ترى يُقلى أو يُشوى أو يُدقّ أو يُسحق؟)

(٩٠) ربقوه: أوقعوه، شدّوه. وفي ب، ج: وناكوه.

(٩١) الزحير (الزحار): طبيباً هو حركة من المعى المستقيم تدعو الى دفع البراز اضطراراً فيقوم صاحبه ولا يخرج منه إلا شيء يسير، والتزحّر: هو اجهاد النفس بهذا الفعل. وفي ب، ج: قاعداً.

(٩٢) رجال الطوف: العسس، الذين يطوفون بالليل للحراسة.

وشكى مختنث لمختنث أنه استدخل أيراً عظيماً جداً فأوجعه، فقال له صاحبه: (حبذا الموت من هذه التخمة).

وكان بسجستان شيخ يعرف بأبي عنان بن اليسع، فانصرف ليلة إلى منزله فمشى وكان في دار في رقاق لا ينفذ، وإذا بواحد قد إتكا على مختنث عند باب داره، فلما أحسأ بأبي عنان انقبض الرجل الذي على ظهر المختنث وأراد أن ينسل ويهرب، فقام المختنث وصاح: (أيش الخبر؟) في بلدكم لا يُنَاك الناس؟ قامت القيامة بسبب هذا الرّب الواحد، سقطت المناثر من فوق إلى أسفل. أيش أنكرت على النيك؟ أي عجب رأيت؟ فقال أبو عنان: (يا هذا، ما اعترضتُ عليك في شأنك، وإنما جئتُ أدخل إلى منزلي وقد أمسيت، وبارك الله في نيكك وفيمن ينيكك)، ثم تركه ومضى.

وكان مختنث لا يطلب أن ينيكه إلا مختنث، فقليل له في ذلك وسئل عن العلة، قال: (إن المختنث يعرف الجهة التي منها يؤتى، فيقصد تلك الجهة. وغير المختنث لا يعرف إلا الادخال، فلا يطيب).

وجلس مختنث إلى جانب ماجن، فقال له الماجن: (لا تجلس إلى جنبي لأن لي عيباً وبني علة ربما تتعدى إليك)، قال: (وما هي؟) قال: (زبي كبير ولا ينام)، قال المختنث: (فإنك من أولك إلى آخرك منفعة وفضيلة وأنت لا تشعر).

ودخل مختنث الحمام فرأى فيه رجلاً منعظاً فقال: (فديتك، ما بال هذا قائم على ساق؟)، قال: (ذكر صديقاً له بالعراق)، قال المختنث: (فتأذن لي أن أدنو لأقبله؟ فقد عُدّم الوفاء إلا منه).

وكان بالمدينة مخنث يضع الشيء بين فخذه ويضمهما عليه فلا يقدر احد على استخراجه وما زال بذلك حتى جاءه رجل وراهنه على ذلك، فلما ضم فخذه على ما ضم اقام الرجل ايره، وكان ايراً كبيراً، وهوى به إليه، فلما رآه المخنث استرخى وسقط^(٩٣) ما كان بين فخذه، فقيل له في ذلك فقال: (يا مجانين، أرايتم القفل الوثيق لو ضرب بألف مطرقة، أكان يفتح؟) قالوا: (لا)، قال^(٩٤): (أفإذا جاء المفتاح، اليس ينفتح؟) قالوا: (نعم)، قال: (فإني لما رأيت المفتاح لم أملك نفسي).

* * *

وتعشق رجل غلاماً مخنثاً فدعى عشرة من رفاقه يوماً وأسكرهم ثم سألهم القيام إليه فامتنعوا لعلمهم أنه يهواه، وتقديرهم أن السكر يحملهم على ذلك، وعساه يندم إذا صحا. وإذا الغلام قد تناوم بغير نوم ينتظر أن يقوموا إليه ويودّ ذلك، فلما أبوا ويثس من ذلك استوى جالساً وقال: (لو قضي شيء لكان)، فضحكوا منه ثم صالحوا بينه وبين عشيقه.

حكى السجستاني قال:

كنتُ سكنتُ بجوار تركي عجمي جداً، فقال لي يوماً: (أحتاج أن تولف لي قحبة)، فقلت: (لا أعرف من أسباب القحاب شيئاً ولا أعرفهن ولا عاملتهن)، فالح عليّ فخرجت متحيراً لا أدري كيف أصنع وإذا بمخنث معرفة لي فقلت له: (ويحك، إن من حالي وقصتي كيت وكيت)، فقال المخنث: (إحملني إليه، فإني أعطيه عشرين لونا، كل لون أطيب من الآخر).

فحملته إليه، وكان التركي شبقاً بمرّة^(٩٥) فأدخله البيت واستلقى على فقاه وهو متزيّ بزي النساء، وأعطى إشته. فلما طاب التركي تحرّك زب

(٩٣) ١: وسقط وسقط.

(٩٤) ١: قالوا.

(٩٥) هكذا في ١، ولا وجود لها في ب، ج.

المختئ للين بطن التركي، فقال له التركي: (ما هذا؟) قال: (كس زنكي^(٩٦) بمقبض، لم ترَ عمرك مثله)، فحسب أنه كما يقول وجاز عليه، وتخلّصت أنا من التركي).

وكان أبو الحسن عند قوم يشربون فأقام عندهم سبعة أيام يقصفون ويشربون ثم انصرف فلقية صديق له فقال له: (كيف حالك يا أبا الحسن؟ وكيف رضاك عن أصحابك؟) فقال: (شر أصحاب في الدنيا، أنا معهم منذ سبعة أيام وما وخزني أحد منهم وخزة، فأبي خير عند هؤلاء؟)

ودخل على أبي الحسن لصّ فكور جميع ما في الدار، وأبو الحسن ينظر إليه ولا يجسر يكلمه، فلما أراد اللص أن يخرج قال له: (فديتك، ما اسمك؟) قال: (نافع)، قال أبو الحسن: (لنفسك، والله، لا لي).

وجاء بعض المختئين إلى نخّاس فقال له: (ابتع لي غلاماً حسن الوجه، كبير الأير).

فقال النخّاس: (من أين أعرف كبير أيره؟)

قال: (من كبير أنفه).

قال: (فإن كان متلثماً؟)

قال: (من غلظ كعبه).

قال: (فإن كان في رجله خُفّ؟)

قال: (فهذا لم يخرج ليُعرض، إنما خرج على الطلائع^(٩٧)).

ويتزوج مغنّ بنائحة فقال بعض من حضر: (أوسع الله عليكما).

(٩٦) ربما كان يعني (زنكين) وهي عامية تركية معناها: الفني جداً، والزانكي: الشاطر.

(٩٧) الطلائع: مقدمة الجيش التي تُبعث لتطلع على أحوال العدو.

فسمعه مخنث فقال: (قد فعل، إنما الدنيا فرح وغم، وقد اخذا الحب بطرفيه. فإن كان فرح دُعي هو، وإن كان غم دُعيَتْ هي، فأَي شيء بقي من التوسعة؟)

وأُتي ابن أبي عداد، والي خراسان، بمخنث قالوا إنه يقود ويفجر بالنساء ويأوي اللصوص، ورموه بكل فاحشة، فقال القاضي: (يُقتل)، وقال صاحب الشرطة: (تقطع يداه ورجلاه)، وقال الأمير: (أنا لي سبعمائة سائس وشاكري^(٩٨)، أحملهم عليه كلهم)، فأعجب المخنث ذلك وقال: (لم يزل الأمير يعدل ويعرف وجوه الأحكام في هذا وغيره)، فضحك الأمير وأمر بتخليته.

ونظر مخنث إلى رجل كثير شعر الوجه فقال له: (خندق على وجهك قبل أن يجري الماء في العود، فيصير وجهك كله رأساً).

ونظر رجل إلى مخنث ينتف لحيته فقال: (لم تنتفها؟) فقال: (لأن دواب البريد^(٩٩) لا تُعرف إلا بأذنانها).

وخرج جماعة من المخنثين من عرس ومعهم قفة كبيرة ملائنة ما بين دجاج وأوز وحلواء وغير ذلك، فاستقبلهم الطائف^(١٠٠) فقال للرجال: (كلوا الذي معهم واحبسوهم، حتى إذا كان غداً ضحكنا منهم)، فطرحوهم في الحبس وهم سكارى حتى إذا كان وقت السحر أفاقوا من سكرهم فقعد

(٩٨) الشاكري: الأجير والمستخدم.

(٩٩) البريد كلمة فارسية أصلها بريدته دم، أي محذوف الذنب، لأن بغال البريد كانت محذوفة

الأذنان علامة لها، ومن هنا التشبيه (م).

(١٠٠) الطائف: القنص.

واحد منهم فأبصر حوله جماعةً مقيدَين فغطّى وجهه وقال: (لا إله إلا الله)، ونادى: (يا صحبونة يا مجنونة، قومي فقد دهبنا)، فانتبه الآخر وهو يقول: (إن كنا قد أصبحنا فقومي حتى ندخل الحمام)، وقال أحدهم: (ويلك، قد متنا وأدخلنا جهنم. إن لم تصدّقيني فقومي ابصري الكفار حولنا مقيدَين)، وقال آخر: (إن كنا في جهنم فما لنا لا نحسّ بحرارة النار؟) قال آخر: (يا مسكينة، جُعِلَتْ علينا برداً وسلاماً لضعفنا وقلة احتمالنا له).

فسمعت الجنادة^(١٠١) كلام المختئين فخرجوا وقالوا لصاحبهم: (أعزّ الله القائد، إن المختئين قد طارت عقولهم وهم يقولون كذا وكذا)، قال: (اخرجوهم إليّ)، فدخلوا إليهم الرّجاله بسيف مجرّدة فحملوهم حملاً عنيفاً وأوقفوهم بين يدي القائد فالتفتوا يمنة ويسرة فراوا الجنادة والرّجاله بأيديهم السيوف والأعمدة، فقال أحدهم للآخر: (الم أقل لك إن القيامة قد قامت، وهؤلاء الرّبانية؟) فأقيم أحدهم وضُفِع بالدرة صفة فصاح الآخر: (آه)، فقال القائد: (ضُفِع هذا، فأنت لِمَ تصيح؟) قال: (أليس كذا تريد تفعل بي؟) فصفّعه أخرى فقال: (ويلى من احتراق فؤادي)، فقال الآخر: (كيف تحسّن بها يا اختي؟) فقال: (ما أشكّ أنها تقع على قفائي ميّت عرّقة، أحمّدك يا رب واشكرك)، فقال الآخر: (ويلك، الساعة يزيدنا، أليس قال: (لئن شكرتم لأزيدنكم)^(١٠٢)) فضحك القائد وقال: (نَحُوا هذا وقَدِّمُوا الآخر)، فأول ما صفّعوه قال: (يا أمير، بحياة أمّك)، فصفّعوه أخرى فقال: (بحياة عينها)، فصُفِّع أخرى فقال: (بحياة ثديها)، فصُفِّع أخرى فقال: (بحياة سرّتها)، فقال القائد: (خلّوه إلى لعنة الله^(١٠٣) لئلا ينزل شبراً فيقول: بحياة كسّها).

(١٠١) الجنادة: حرس الأمير.

(١٠٢) القرآن الكريم، سورة إبراهيم، آية ٧.

(١٠٣) ١، ب، ج، لا ينزل.

وسمع مخنث رجلاً يضرب زوجته وهي تصيح وتقول له: (اذكر صُحبة أربعين سنة)، فقال المخنث: (يا هذه، لو أَنَّ حِرْكَ هاون يُدَقُّ فيه أربعين سنة كان قد سقط قعره، وما أحسب لك ذنب غير طول عمرك). ونظرت امرأة إلى مخنث شيخ ملتف في قطيفة فهزأت به فقال المخنث: (يا بطراء، لو كان لي مثل الكانون^(١٠٤) الذي بين فخذيك^(١٠٥) لجلستُ في غلالة شرب).

وكان مخنث عند قوم على سطح فقام لحاجة، فَرَفَعَ من السطح إلى رُوْشِن^(١٠٦)، ومن الروشن إلى غرفة، ومن الغرفة إلى الدار، ومن الدار إلى سرداب، ومن السرداب إلى بئر، فصاح: (يا أهل الدار، يا أولاد الزنا، ليس لداركم أرض؟)

ذكر ألقاب اصطلح عليها المخنثون

الزهد: عندهم هو الذَّكَر.
والزُّق: هو الرجل الفحل الذي يصحب أحدهم ليسقيه^(١٠٧)، وهو الشاطر أيضاً. يقولون «فلان زُقُّ فلان» في اصطلاح مخنثي المغرب^(١٠٨). و «شاطره» في اصطلاح مخنثي المشرق.
والنَّوم: نتفُ شعر الوجه.
والسَّلُخ: حلق شعر الفخذين والساقين بالموسى أو بالنورة، ويسمى الموسى: الرصيف. والقنفوة: نتف باطن شعر الأست بالملقاط، وهذه اللقطة جاءت في شعر ابن الحجاج:

(١٠٤) الكانون: الموقد.

(١٠٥) هكذا في ج. وفي أ: فخذيك في غلاء شرب.

(١٠٦) الروشن: الكوة.

(١٠٧) ب، ج: ليسفيه.

(١٠٨) أ: العرب. ب، ج: المغرب.

لمثل هذا فانتفي أو احلقي بالقنفوة
وقد تقنفو، أيضاً، العلوق. وصفة القنفوة أن تُصنع أكرة^(١٠٩) من شمع
محكمة الاستدارة، حسب ما يدخل في الاست على قدر ضيقته أو سعته،
وتكون قد جُمعت على خيط قوي، ثم يبرك المختث أو العلق على أربعة،
ويأتي رفيق المختث أو قواد العلق فيولج الأكرة في إسته حتى تغيب. ثم
يجذبها قليلاً قليلاً فإنها إذا همت بالخروج قلبت حواشي الاست الباطنة
وبرزتها إلى خارج، فينتف ما هنالك بالمقاط.
فلا يزال يجذبها وينتف ما يبرز منها إلى أن لا يبقى في داخل الاست
شيء من الشعر، فعند ذلك يخرجها.
فهذه صفة القنفوة، وأكثر ما يستعملها مختثو العرب.

النوع السابع
في ملح ما جاء في المختئين من الأشعار
والاحتجاج بها، لهم وعليهم

حدث بعضهم قال:

كان بعض أصحاب هذه العلة يطلب كبار الأيور، فخرج ذات يوم
سحراً يطلب شرطه فرأى غلاماً كبير الأنف يدل على كبر الأير، فأعجبه ولم
يزل به حتى أطاعه فأعطاه دراهم وأتى به إلى منزله. فلما أراد أن يفعل
به كشف الغلام عن أير صغير مثل الأرز، فداخل الرجل ندامة شديدة
وأنشد:

لَمَّا	رَأَيْتُكَ	تَمْشِي	تَخْتَالُ فِي خَيْرِ وَقْتِ
عَلَيْكَ	أَنْفٌ	كَبِيرٌ	كَأَنَّهُ سَاقِ تَحْتَ ^(١١٠)
فَقُلْتُ	أَقْبَلَ	بَحْتِي	إِذْ كُنْتُ غَايَةً نَغْتِي
حَتَّى	ظَهَرْتُ	بَايِرَ	مَقَّتْ كُلَّ مَقَّتِ

(١٠٩) الأكرة: الكرة.

(١١٠) تختي.

فليت ايرك انف وليت انفك في استي

ولغيره:

ابصرت بعد انصرافي عن سفرتي وطوافي
مهفهفاً بدوياً من الظباء الطرافي^(١١١)
كائماً بين رج عليه حربة في غلاف
فقلت لما علاني في بعض تلك الفياضي
يا اعظم الناس ايراً كافاك عني المكافي

حدّث ابن طاهر قال: دخل أبو نؤاس ديوان الجند بالرصافة، مجلس سلّمة^(١١٢) بن عمرو الكاتب الأنباري، وإذا غلامه زيدان جالس عنده، وكان يهيم به، فكتب أبو نؤاس رقعة فيها:

سلّمهُ يا ربّ ممّا يخاف يوم القيامة
والله ما بني ندامة ولا اخاف الملامه
بغى عليّ ولكن ادعو له بالسّلامه

ورماها إليه وإلى غلامه وقال: (اقرأها معاً)، ففهم سلّمة ما أراد في شعره لأنه أخذ من أول كلّ بيت كلمة وكان «سلّمة، والله، بغى» فشتّم أبا نؤاس، فخرج من عنده وهو يقول^(١١٣):

إن بارك الله في العباد فلا بارك ربّ العباد في سلّمه
ينكب المرد حين يبصرهم على حصان كانه خفّة
فاين خلّفت عند طبعهم في دبرك، الكبرياء والعظمة؟

(١١١) ا: الطرافي.

(١١٢) ا: ابي سلّمة.

(١١٣) في «الفكاهة والانتناس» ترد الأبيات هكذا:

إن بارك الله في الأنام فلا	بارك ربّ العباد في سلّمه
يتعب ضوء النهار من الغيب	ج. والدير فاسق العتمة
فالناس من كويته تعب	فم يذيء وفلحة غلّة
ينكب المرء حين يبصرهم	على خضاب كانه عتمة
فاين خلّفت عند طبعهم	في دبرك، الكبر والعظمة

ومن الكناية عن هذا الداء: «فلان تحباه العصا» و «فلان عصا موسى تلقف ما يافكون»^(١١٤). قال أبو منصور الثعالبي:

أنشدني الاستاذ أبو منصور الطبري، لنفسه، في رعد اللّحَام:

رأيتُ للّحَامِ في نفسه لا الشعر تطبيقاً وتجنيساً
نخوة فرعون ولكنّه جانس في حُبّ العصا موسى
وعين إبليس ولكنّه خالف في السجدة إبليساً

ويقولون: «هو أسجد من هُدهِد».

أنشد بعضهم:

ارسلتُ في وصف صديق لنا ما حقّه يُكتب بالعسجد
في الحُسن طاووس ولكنّه اسجد في الخلوة من هُدهِد

ويقولون: «اكلاً»^(١١٥) من غراب، لأنه يوارى سواة أخيه.

أنشد أبو منصور الفقيه^(١١٦):

إنّ في امر احمد بن الطحاوي وفي امر عرسه لعجابا
طلقتُ نفسَها عشية رُفّت وإباحته مهزها والكتابا
قيل: ما باله؟ فقالت^(١١٧): غراب هل شرطتم عليّ زوجاً غراباً؟

آخر:

إنّ في الديوان شيخاً يشتهي في البطن داخل

والله لو نيك في استه اسد ما جز صيداً إلى اجمة

(المصدر السابق ذكره، ص ١٦)

(١١٤) إشارة إلى سورة الشعراء - آية ٤٥: (فالقي موسى عصاه فإذا هي تلقف ما يافكون).

(١١٥) كلاً: حرس وحفظ.

(١١٦) ابن: ناقصة من أ. وهي في ب، ج.

(١١٧) ١: فقال.

يا سليمان بن وهب، في حُرِّه المتقابل

غيره:

رفعتُ إلى قاسم قصتي فاطرقَ ينظرُ في قصتي
فقلتُ له: بَارِكْ اللهُ فيكَ وأعظمَ أجرَكَ في فيشتي
فقال: وماتت، وأذرى الدموعَ ووقعَ تدفُنُ في فقحتي

ابن الرومي:

قد حضرَ الجامعَ معَ رقةَ يعرفها العالمُ في دينه
والله ما يحضره دائماً إلا ارتياحاً لاساطينهِ^(١١٨)

غيره:

والله ما اتخذَ الكتابةَ صنعةً إلا لحبِّ الدُجِ والاقلامِ

دعبل:

يا مَنْ يَلْقَبُ طوماراً^(١١٩) وينشره ماذا بقلبِكَ من حبِّ الطواميرِ؟
فيها مشابه من شيءٍ كلفتَ به طولاً بطولٍ، وتدويراً بتدويرِ

الطبري:

فلَمْ تضحى على الإسلامِ سيفاً وانتِ كما علمتَ من العمودِ؟
وتزهدُ في الصلاةِ وتزديها ولكن ليس تزهدُ في السجودِ

(١١٨) الأساطين: جمع أسطوانة.

(١١٩) الطومار: الصحيفة.

وله:

أبصرتُ ابِراً ما لهُ خُصِيَّةُ يسالُ عن دارِ ابي القِيضِ
فقلْتُ: لِمَ تطلبُه؟ قال لي: نسيْتُ في فُقْحَتِه بِيضِي

أبو العِيناء:

إشْتكى دَقَّةَ الأيورِ إلينا فاجبناه، والجواب عتيذُ
لم تدقِ الأيورُ يا ابنَ لولو إنما إشتك أنْساعاً يزيدُ

آخر:

اللَّهُ قد يقبح شيخاً له^(١٢٠) من اهل بيت الحسن الحاجب
فقلْتُ: ما هذا؟ اما تستحي تاخذ مولاك على جانب؟
فقال: هذا رجل فاسق سبَّ علي بن اب ي طالب

وله:

إنَّ ابا احمد من تيهه يهترُ في المشية كالخُوطِ^(١٢١)
اما ترى رستم من فوقه يولج فيه مثل شَبوط؟
افديك يا رستم من شادين يصلح للمابون واللوطي^(١٢٢)

آخر:

إنَّ ابا احمد من تيهه يبذل للنائك إدراكه
تراه من تيه ومن نخوة كأنه قد ناك مَنْ ناكه

(١٢٠) هكذا في ب، ج، وفي أ: والله يعقح شيخاً له.

(١٢١) الخوط: الفصن الناعم.

(١٢٢) أ: اللوط.

آخر:

ما شئت من نيلٍ ومن [...] (١٢٣)
يقول إذ أبصره قائماً
أو ليتني، إذ لم أنل ذا وذا،
لكنه يلحظ أيز الحماز
يا ليت ذا يوهب أو يستعاز
يكتب أن امسح عنه الغبار

البحثري:

ولو اعطاك ربك ما تمنى عليه، لزدت في غلظ الأيور

ابن الرومي:

ابن سريج قال لي مرة
أيزك هذا نأحل جسمه
فغاضني ذاك وأخرجته
فقال من هم ومن حسرة
ما يبلغ الأعداء من جاهل
وقد رأى رمحي في ترسه:
كانه الميت في رمسه
منه، وطعم النيك في ضرسه
وقد رأى الماتم في عرسه:
ما يبلغ الجاهل من نفسه

وله:

يقال الأديب أبو حامد
يحب الغلام إذا ما التحى
يلوط جهاراً ولكنّه
وذاك دليل على أنّه

مصنّف الكتاب:

رايت الناس قد هاموا بمرّد
اظنك، بل أراك بغير ظن
وهمت بملتحين ذوي جفاء
تغالط باللواط عن البغاء

(١٢٣) الكلمة غير واضحة في أ، ولا وجود للمقطع كله في ب، ج.

وله:

يدري من النحو باباً لا يجاوزهُ الجمع ما بين منصوب وممدود
ومن مسائل علم الفقه مسألة وهي جواز الاستجمار^(١٢٤) بالعود

محمد بن شعيب في أقرع مأبون^(١٢٥) يزني به غلامه، وهو عبد يسمّى:
سعيد:

زرت عبد الحميد، زورة مشتاق إليه، فصدّ عني صدودا
وكأنّي أتيتُهُ انزع العمّة عن رأسه، وأخصي سعيدا

جعيفران:

غلمان عيسى إن كنت تسألني عنه وعنهم تحظى بما ترد
عقوا بمولاهم وعفّ بهم فما بهم حاجة إلى أحد

ومن أشعارهم التي يحتجون بها لأنفسهم

ما العيش إلا أن أبيت منقماً ما بين جارية وظهر غلام
فانيكها وانيكّه وينيكني التذُّ من خلفي ومن قدامي

(ومنها):

فديتكم كفوا عن السبّ والثلب ولا تعتبوني، لست أصغي إلى العُثب
إذا كانت اللذات للقلب ترتقي فأدخاله في البطن أقرب للقلب

(ومنها):

ما العيش إلا أن تنيك وإن ينيك مَنْ تنيكه

(١٢٤) الاستجمار: التبخّر بالمجمر. وفي ١، ب، ج: [الجواز للاستجمار] وقد هذبنا ما لتقويم الوزن.
(١٢٥) المأبون: المتهم بعيب، وهو الأبتة.

(ومنها):

عليك بزُبِّ وافر ذي صلابة ودغ قول ارباب السفاهة واللغو
فما الفرق بين اللذتين لعاقل وكلتاها من خك عضو على عضو؟

النوع الثامن

في سبب الخناث وعلاجه

على رأي محمد بن زكريا الرازي

قال مصنف الكتاب: أنا ناقل ههنا مقالة وجدت لها لأبي بكر محمد بن زكريا الرازي في الأبنية، بنصها حرفاً بحرف، ليكون هذا الكتاب بها آخذاً بحظه من الجد والهزل، كاملاً في الاحتواء على طرفي الكلام، الرقيق والجزل.

قال أبو بكر محمد بن زكريا الرازي:

يجب على المتأخر في الزمان، كما قلنا في صدر غير واحد من كتبنا، أن يطلب ما أغفلته الأوائل أو طولته أو أغمضت الكلام فيه، فيذكر ما أغفلوه ويجمع ما فرقوه ويشرح ما أجملوه ويبين ما أغمضوه. ومما أغفلته الأوائل القول في الأبنية وسببها وعلاجها، فإني لم أجد فيها لأحد كلاماً مستقصى بل لم أجد عند أحد ذكراً لها إلا رجلاً واحداً، فإنه كتب كتاباً في هذا المعنى وسماه بـ (الداء الخفي) ثم لم يأت فيه بسبب ولا علة كافية ولا مداواة ولا علاج نافع، وأنا قائل في ذلك باختصار وبمقدار ما أراه كافياً إن شاء الله تعالى.

فنعول: إننا نحتاج أن نأخذ ههنا مقدمة قد تقدم بيانها في كتب آخر وهي الانوثة والذكورة، فإنها إنما تقع بحسب غلبة المنين أحدهما على الآخر في الكم والكيف، حتى يكون أحدهما هو المحيل. فإذا كان مني الرجل هو المحيل، كان المولود ذكراً. وإذا كان مني المرأة هو المحيل، كان المولود أنثى. وقد بينا صحة هذه القضية في كتب آخر وقال فيه القدماء أيضاً وأكثروا. وإذا كان الأمر على ما وصفنا وقع في بعض الأحوال أن يكون مني الرجل قاهراً جداً، قوي الإحالة لمني الأنثى، فيجب على ذلك أن

يكون المولود من مثل هذا المنى قويّ التذكير جداً، أعني أن تكون خواصّ الذكورة فيه ظاهراً لصلابة الأعضاء وتيبسها وعظمتها وكثرة الشعر وقوة النبض والنفس معاً وظهور المفاصل وغلظ العظام ونحو ذلك مما يختص أصحاب الأمزجة الحارة اليابسة، كالشجاعة وسرعة الكلام والغضب ونحوها. وإذا وقع في بعض الأحوال أيضاً أن يكون منى الأنثى له القهر والغلبة جداً، فيكون في المولود من الخواصّ التي تخصّ الإناث، وهي أصداد ما ذكرنا في الغاية، وتقع في الأكثر إستحالات أخر لأحد المنين بين هذين، فيكون المولود، ذكراً كان أو أنثى، ليس في الغاية من التذكير ولا في الغاية من التأنيث، وإذا كان الأمر على هذا الذي وصفنا وقع في بعض الأحوال مولود أنثى في غاية الضعف من التأنيث.

وقد تجد في النساء مذكرات كما تجد في الرجال مؤنثين حتى يبلغ الأمر بالنساء المذكرات في ذلك إلى أن يقلّ حيضهن أو لا يحضن، وربما نبت لهنّ اللحي، وقد رأيت لحى وشوارب ضعيفة في كثير من النساء. ورأيت مرة واحدة لحية وافرة على امرأة من النساء الأكراد جيء بها إلى المعتصد إعجوبة.

بل ليس يقع هذا فقط بل قد يقع، في تكافؤ المنين وقلة ظهور أحدهما على الآخر، الخنث. حتى يقع أن يكون المولود له ذكر وفرج أيضاً.

وقد شهدت الأخبار في ذلك بأشياء عجيبة، شنيعة، بديعة، من هذا الباب. تركنا ذكرها لبعدها كونها غناً، مثل ما يحكى عن بعض أصحاب التشريع انه رأى لبعض الذكور رحماً، وما يحكيه كثير من الناس أن امرأة ولدت أولاداً ثم انه ظهر لها بعد ذلك ذكر. فقد جاء هذا الخبر وأمثاله من وجوه كثيرة، وليس يحتاج في غرضنا الذي نقصده إلى صحة ذلك، بل يكفينا الموجود دائماً، وهو كما انه ليس كل ذكر في غاية التذكير ولا كل أنثى في غاية التأنيث، ووجود النساء المذكرات والرجال المؤنثين، فإن الوقوف على سبب الأبنه، بعد تصور المعاني التي قدّمناها، يسهل. وهو انه إذا اتفق أن يكون المولود الذكر مؤنثاً، لضعف على منى الذكر على

منّي الأنثى، فإنه يكون غالباً مع ذلك ألا يكون الذكّر والبيضتان ومجاري المنّي وأوعيته مائلة إلى خارج كل الميل ولا هي منسدلة متدلّية، ولا عظيمة قوية. لكن تكون متعلّقة إلى فوق وصغيرة في أكثر الأمر، ومتعرّشة^(١٢٦) منجبرة في أسفل تجويف البطن، منجذبة إلى ناحية العانة لضعف التذكير فيها. لأن آلات التناسل في الإناث موضوعة في داخل البطن ومجبولة ومطبوعة على الميل إلى هناك، وأما الذكّر فخارج البطن مجبولة ومطبوعة على الميل إلى ما هناك. وتحدث عن مثل هذه الحكّة أن تكون الدغدغة والحركة التي تهيج بموج المنّي، إما بكميته أو بكيفيته، في ناحية المعاء المستقيم وفي خلف لا في ناحية البتة والعانة لأن ميل أوعية المنّي والبيضتين بالطبع إلى ما هناك، ولذلك قلّما يوجد ما يكون عظيم الخصى منسلّها، بل يوجد بالصدّ من ذلك، فيكون ضعيف البيضتين، منجذبة إلى فوق، عابرة في الجانب الأيمن على الأكثر. وانسلال الخصى وعظم البيضتين، في الذكّر المؤنث، في النادر يكون. ويتبع ذلك أيضاً على الأمر العظيم صغر قضيب منّ به الأبتة على العادة الجارية بالتجربة.

فإذا اتّفق أن يكون مولود ذكراً مؤنثاً، ووضع هذه الأعضاء هذا الوضع، اعتراه بسبب ذلك شبيه بحركة الدغدغة في ناحية المعاء المستقيم، وذلك عند كثرة المنّي فيه أو جدّته. كما يعرض للذكور ذلك في ناحية العانة وأصل القضيب، عند كثرة المنّي. فإن ساعد، منّ هذه حاله في خلقته، هواه أو اتفق له بعض الاتفاقات التي تقع له في صغره أو كبره حتى يبرد ذلك الموضع منه ما لامسه وحركه وجدّ لذلك لذّة شبيهة بما يجده منّ يحكّ إذا احتكّ منه الأذن أو الأنف بإدخال الاصبع فيه وتحريكه وحكّه، لأن ذلك يزيل ذلك الخلط اللذّاع ويبدّده ويسكّن دغدغته. وإذا ساعد اللذّة وجرى معها ازداد هذا العارض قوّة وبلغ من ذلك النهاية بمقدار دغدغة المنّي وتهيجه في ذلك الانسان، وبمقدار خنثه ومحبّته للتأنيث.

(١٢٦) متعرّشة: متعلّقة.

فهذا هو السبب الفاعل لكون هذه العلة، قد اختصرناه ولخصناه جهدنا. فلنذكر الآن من علاج هذه العلة ما نراه نافعا كافيا، فنقول:

إن الأبتة إذا تعادت لم يمكن براء صاحبها، ولا سيما إذا كان ظاهر التأنيث، شديد المحبة^(١٢٧) للتشبه بالنساء. فأما إذا كانت شديدة ولم يكن صاحبها ظاهر التخنيث ولا شديد الميل مع اللذة، بل يألف^(١٢٨) ويحب أن يخلو منها، فهذا يمكن أن يُعالج.

واحد وجوه علاجها:

أن يكثر من ذلك القضيب والبيضتين وجذبهما إلى أسفل، وتوكل بالعليل وصانف حسان الوجوه مفرطات في محبة الباه ليكثرن من عزك هذه المواضع منه ودلكها وطرح انفسهن عليه لعل يأتي من إحداهن ما أمكن. ويُعالج في وقت غير ذلك بأن يُمرخ اليته والعانة والقضيب والبيضتين بدهن البان^(١٢٩)، وقد فُتق^(١٣٠) فيه بوريق^(١٣١) وفُرييون^(١٣٢) ومُسك. وفي بعض الأحيان يفتق اليسير من الحليب بالدهن ويدلك به القضيب ويصّب منه في الاحليل.

وفي أوقات غب هذا العلاج يقعد في الماء الحار ويدلك القضيب والخصي ويستعمل طلاء الزفت في كل أسبوع مرة، فإنه من أقوى علاج يجذب الماء الحار^(١٣٣) من هذه الناحية. وإذا أقبل الانعاض يكون والبيضتان تتدليان، والقضيب يعظم، والشهوة تزيد، فتلك علامة نجاح العلاج. وينبغي أن يتأبر على هذا العلاج كله ولا يضئع منه شيئا البتة، فلا يخلو العليل في

(١٢٧) ١: المحبة. ب، ج: المحبة.

(١٢٨) ب، ج: يأنف.

(١٢٩) البان: شجر من فصيلة البانيات ذو اوراق طويلة، يُستخرج منه الزيت.

(١٣٠) الفتاق: اخلاط من ادوية مخلوطة.

(١٣١) البوريق: النطرون، مادة أقوى من الملح لكن ليس له قبض.

(١٣٢) الفرييون: نبات من فصيلة الفريونيات، متعدّد الأنواع تحوي سيقانه وأوراقه عصارة سامة

وخطرة إذا مسّت العين.

(١٣٣) الحارّ من هذه: ناقصة (محوّة) في ١. وفي ب: من علاج يحدّر الماء الحار. ج: من علاج قدر

الماء الحار.

أوقات الاتساع له من باب من أبوابه، أولها ذلك الوصائف له كما وصفنا، ثم المرخ بالأدهان ثم الطلاء بالزفت. ومع ذلك فيقصد إلى تبريد البطن، فإنه مما ينبغي أن يبرد البطن والفقر والمعاء المستقيم، وذلك يكون بأن يستلقي على الأرض المرشوشة أو يضع تحت بطنه خرقاً مبلولة بماء الثلج ويتقي أن يستلقي على شيء حار ويلبس منطقة^(١٣٤) عريضة زماناً طويلاً ويحقن بدهن الورد، الذي قد طبخ مع الخل حتى يبيض الخل، وبالماء^(١٣٥) مع الخل.

وبالجملة فإن قدر أن تكون بطنه دائماً تبرد واليته والعانة تسخن فليقل، فإن ذلك أوفق الأشياء له. ومن البين أنه ليس على صاحب العلة أضر من ألا يجامع، كما أنه ليس شيء أنفع له من أن يجامع أو يروم المجامعة جهده.

فهذه جملة علاج الأبنة على القانون والطريق المستقيم. وأنا ذاكر الآن من علاجها فمن ذلك:

أن يحقن العليل بالشراب المسكر القوي مرات كثيرة، فقد براً غير واحد من هذه العلة في حقنة أو حقنتين. ومما يخفف ذلك، ويوهنه الاستلقاء على الورد والتمسك بمائه والحقن أيضاً بطبيخ الفنجكشت^(١٣٦) والاستلقاء على ورقه، وهذا مشورتني على بعض من أفشى لي سره في هذا الداء وقدرت انتفاعه بذلك فانتفع به نفعاً عظيماً. وذلك أن هذا الرجل كان إذا تغذى وأوى إلى مرقدته هاجت به تلك العلة، فاشتريت عليه يوماً أن يخرط من الجليد أشيافه ويتحملها، ففعل ونام نومه ذلك مكفياً واستغنى عما كان يضطر إليه في أكثر الأيام وكاد يقارب البرء، ولو ضبط نفسه ضبطاً شديداً لبريء.

والذي ذكرته من العلاج يصلح للشباب والمشرفين، وأما غير ذلك من

(١٣٤) المنطقة: النطاق.

(١٣٥) الماء: ماء الورد.

(١٣٦) الفنجكشت: القرنفل (فارسية)، وهو البنجكشت أيضاً.

الكحول والشيخ فلا ينبغي ان يكون غرضك في علاجهم إلا اهرامهم وتقليل الدم فيهم، فيؤمرون بالصوم وترك الشراب والحلواء ولزوم التأدب بالخل وتبريد البطن ما أمكن.

والادوية التي تُعرف بتقليل المنى ولا سيما البارد فائدة^(١٣٧)، والدواء المتخذ من أصول النيلوفر^(١٣٨) والورد والكافور^(١٣٩) والطباشير^(١٤٠) وكل دواء يقلل المنى ويجمده، وقد دبرنا تركيبه في غير ما موضع من كتبنا، ويكثر أيضاً من الاغذية، القريض^(١٤١) والمصوص^(١٤٢) والاهلام^(١٤٣) بالقرع والفرفير^(١٤٤) ويدعون شرب المسكر ويكثرون التعرق في الحمام ويضع الرجل في الماء البارد ويجتنبون مجالس اللهو والشراب ويشغلون بالنسك والعلوم الحقيقية التي تأخذ القلوب وتشغل النفوس شغلاً شديداً كالهندسة والمنطق وأكثر من ذلك العلم الإلهي، فإن العناية به والتوغل فيه يوهن جميع الشهوات.

وإني لما انتهيت إلى هذا الموضع أحببت أن أذكر صفة تركيب الدواء المقلل للمنى لئلا يحتاج الناظر في هذه المقالة أن يعنى في ذلك في سائر كتبتي وكتب القدماء، وهذه صفته:

يؤخذ من أصل النيلوفر المجفف عشرة دراهم^(١٤٥)، ومن الورد الأحمر

(١٣٧) فائدة: ناقصة في ١. وهي في ب، ج.

(١٣٨) النيلوفر: ضرب من الرياحين ينبت في المياه الراكدة، أزهاره وأوراقه تعوم على صفحة الماء، ويسمى (اللوتس).

(١٣٩) الكافور: شجرة أريجية من فصيلة الغاريات، أوراقها دائمة وأزهارها بيضاء مائلة الى الصفرة.

(١٤٠) الطباشير: دواء يكون في جوف القنا الهندي أو هورماد أصولها.

(١٤١) القريض: المقروض.

(١٤٢) المصوص: طعام يطبخ وينقع في الخل أو يكون من لحم الطير خاصة.

(١٤٣) ١: الاعلام. والاهلام: طعام من لحم عجل يجلد أو مرق السبكاج (اللحم بالخل) المصفى من الدمن.

(١٤٤) هكذا في أ، ب، ج. وربما يعني (الفرفور) وهو ولد النعجة والماعزة والبقرة الوحشية.

(١٤٥) الدرهم: Drachme اسم لوحدة وزنية يونانية قديمة، تعادل حالياً نحو ٢,٥٠ غراماً.

المطحون خمسة دراهم، ومن الصندل الأبيض^(١٤٦) درهمين ونصف، ومن الكافور خمسة دوانق^(١٤٧)، وهي عشر شربات.

- صفة أخرى تنفع للمبرودين ومن طعن في السن:

يؤخذ بزر فَنَجَكَشْت عشرة دراهم، ومن الفُوتُنْج^(١٤٨) الرومي مجفف خمسة دراهم، ورق سَدَاب^(١٤٩) مجفف درهمين ونصف، الشربة ثلاثة دراهم أوقية خل. ومن كان يتأذى بالخل فليشربه بالماء البارد وماء الورد (تم ذلك).

* * *

قال أبو بكر: قد قلنا في هذا الأمر بما فيه كفاية ونحن معتذرون من القول فيه وإنما اضطررنا إلى ذلك ليكون هذا الكتاب آخذاً لتطرق معاني ما سبق، ولواهب العقل الحمد والشكر.

كملت مقالة الرازي في الأبنة وكمل بكمالها ما أوردناه في هذا الكتاب، والحمد لله على كل حال.

أنها كتابة الفقير محمد بن عبد الباقي الراسي في مستهل ذي القعدة الحرام سنة ٩٧٢.

حسبنا الله ونعم

الوكيل

(١٤٦) الصندل الأبيض: الصندل شجر هندي طيب الرائحة يشبه شجر الجوز ثمراً، خشبه من الأوية وأحره الأحمر ثم الأصفر وأبرده الأبيض.

(١٤٧) الدانق: معرب دانك بالفارسية بمعنى (الحبة) أي إنه بوزن حبة الحنطة ونحوها، وهو سدس الدرهم.

(١٤٨) الفُوتُنْج (الفودنج): نبات شبيه بالزوني يتداوى به.

(١٤٩) السذاب (الفيجن): نبات يقارب شجر الرمان أصفر الأزهار وورقه كالزعرور، كريح الرائحة وله بعض الفوائد الطبية، لكن استعماله خطر للغاية.

٨٤	ابن دينار، مالك	١	
١٧٧	ابن رستم، العباس		
٢٢٥	ابن رومان، قَدْ	١٧	آمنة، بنت وهب
١٢٤، ٩٠، ٨٩	ابن الرومي	١٩٠	ابليس
٢٩٨، ١٥٣			ابن أبي سفيان،
٣٠٠		٤٧	معاوية
٨٠	ابن رباح، بَكَار	٢٥٥، ٤٦	ابن أبي طالب، علي
٨٧	ابن زهير، خالد	٢٩٢	ابن أبي عباد
	ابن زكريا، يحيى		ابن أبي العاص،
٤٦	(النبى)	٢٥٣	الحكم
٢٢٤، ٢٢٣	ابن سحنون، محمد	٢٢٥	ابن أبي مليكة
١٦٦	ابن سريج	١٦	ابن الاثير
٢٧٩	ابن سليمان، وهب	١٧٢	ابن اسماعيل، محمد
٢٢٦	ابن سمحون	٢٥٣	ابن الاسود، هُبَار
١٧٩	ابن شبيبة	١٧٤	ابن اكنم، يحيى
٤٧	ابن شعبة، المغيرة	١٢٩	ابن برد، بشار
٣٠١	ابن شعيب، محمد		ابن بَسَام، علي
٢٥٣	ابن شعبة، مسافع	٢١٩	بن محمد
٢٨٨	ابن الصباح، محمد	٨٣	ابن بشر، حمدان
	ابن صبيح،	٨٥	ابن ثور حميد
١٧٢، ٨٤	اسماعيل	٢٥٤	ابن جبير، سعيد
٢١٩	ابن الصولي، محمد	٨٨	ابن الجهم، علي
	ابن الضحاك،	١٥٠، ١٤٩	ابن الحباب، والبة
١٧٢، ١٣٤	الحسين	١٧٢، ١٥١	
٢٩٦	ابن طاهر		ابن الحجاج، أبو علي
	ابن طاهر، محمد	٢٣١، ١١٧	الحسين
٤٦	بن عبد الله		ابن حفص، عبد الله
١٨٤	ابن الطفيل، عامر	٨٣	بن محمد
٢٦٥	ابن طولون	٢٥٥	ابن الحكم، مروان
٩١	ابن عبيد، الصاحب	٢١٩	ابن حمدون، أحمد
٤٥، ٢٤	ابن عباس	٩٧	ابن الخصيب، أحمد

نزهة الالباب

١٦	ابن منظور	٢٥٧	ابن عبد العزيز، عمر
٢٢٥	ابن المتكدر، محمد	٤٥	ابن عبد الله، سعيد
٤٧	ابن المهدي، ابراهيم		ابن عبد المطلب،
١٣١	ابن المهدي، علي	١٦	عبد الله
٢٦٩	ابن مهيندار		ابن عبد الملك،
٢١٤	ابن موسى، محمد	١٢٤	سليمان
٢٥٣	ابن هشام، أبو جهل		ابن عطية، أبو محمد
١٥٤	ابن وهب، سعيد	٢٢٤	عبد الحق
٩١	ابن وهب، سليمان	٢٥٤، ٢٣٨	ابن عفان، عثمان
٢٨٩	ابن اليسع، أبو عنان	٢٥٥	
١٧١	ابن ينجب، اسماعيل	٤٧	ابن علقمة، سويد
٢١٤، ١٦٧	أبو بكر	٢٢٥، ٢٢٤، ٤٦	ابن عمر
٣٠٨		٤٨	ابن عمران، محمد
٢١٩، ١٨٩، ٩٥	أبو تمام،	١٧٣	ابن عنان، علي
٢٥٦	أبو جهل		ابن العيص، خالد
٢٩١، ١٦٦	أبو الحسن	٢٥٣	بن اسيد
٢١٨	أبو حليمة	٨٤	ابن عبيدة، سفيان
٤٧	أبو حنيفة		ابن القاسم،
٤٦	أبو الدرداء	٢٢٤	عبد الرحمن
٨٧	أبو ذؤيب		ابن كلدة، النضر
١٥١	أبو السماح	٢٥٣	ابن الحارث
١٣٤	أبو الشمقمق	٢٣٦	ابن ماسويه
٢٢٩	أبو ضمضم	٢٤	ابن مالك
١٣٥	أبو الطمحن	٢٤٢	ابن محمد، اسماعيل
١٨٤	أبو العالية	١٣٥	ابن مخارق
١٣٤	أبو العتاهية	٨٤	ابن مظفر، محمد
٢٩٩، ١٢٣	أبو العيناء	٩١	ابن معاذ، موسى
١١٧، ٨٤، ٨٣	أبو نؤاس	٨٢، ٨١	ابن المعتز
١٣٠، ١٢٤		١٨٤	ابن معديكرب، عمرو
١٢٣، ١٢٢			ابن المغيرة، مشام
١٤٩، ١٣٤		٢٥٣	بن الوليد
١٥٢، ١٥١			ابن مروان، الوليد
١٥٨، ١٥٧		٤٧	بن عبد الملك
١٦٢، ١٥٩		١٢٣	ابن مكرم

ت		١٧١، ١٦٣	
٢٢	التوحيدى، ابوحيان	١٧٤، ١٧٢	
٢٨، ٣٥	التيفاشى، احمد	١٧٦، ١٧٥	
٤٨، ٣٩		١٨١، ١٧٧	
		٢٩٦، ١٨٩	
ث		١٨	ابو هريرة
		٨٥	ادريس
١٣٢	الثقفى (مولى جنان)	١٧٧	الاخفش
	الثقفى، احمد	٤٥	الاصفهانى، ابو نعيم
١٥٩	بن عبد الوهاب	٤٧، ٤٦، ١٨	الاصمعي
٢٩٧، ٨٥، ٨٢	الثعالبى، ابو منصور	١٠٩، ٤٨	
		٤٧	الاعمش
		٤٩	افلاطون
ج			
١٣٥، ٤٦	الجاحظ		الانبارى، سلمة
١٥٨، ١٤٢		٢٩٦	بن عمرو الكاتب
٢١٤، ١٨٢، ١٧٥			الانصارى، جلال
١٣٥، ٣٣	جرير		الدين مكرم
٢٥	جعفر الصادق	٢٣١، ٢١٩	بن ابي الحسن
٣٠١	جعيفران		الانصارى، خوات
١٧٣، ١٥٨، ١٣٢	الجفاز، ابو عبد الله	١٣٦	بن جبير
٢١٣، ١٨٤، ١٧٥			الايوبى، صلاح
١٣٢	جنان	٣٩	الدين
١٥٢	الجهنى، ابو سعيد		
٢٦٣	جوهري		
ح			
٢٣٨، ١٠٨	حبى المدنية	٢٥٤	بلدية
٢١٥، ١٨٤، ١٨٣	الحديثى، ابو سعيد	١٧١	بنت غيلان الثقفى
٢١٤	الحسين	٢٧٢	بدر (غلام)
٤٦	الحمدانى، ابو فراس	٣٠٠	بدر، ابو النجم
	الحمصى، محمد	٣٩	البحتري
٢٢٧	بن عياض		البغدادى، اسماعيل
١٩٠	حيان	٨٩، ٣٨	باشا
			البغدادى، موفق
			الدين عبد اللطيف

٢٤	السهميلي	خ	
	السهمي، الغريض	١٦	خديجة
٢٥٣	بن وائل	٢٩	الخميني، آية الله
٢٢٥	سيبويه		
	ش	د	
	الشافعي، ابو العباس	١٨	الدارقطني
١٦٧، ١٦٦، ٢٢	بن سريج	٢٨٧	دُبَيْس
١٨٢	الشروطي، أبو الفضل	١٧٢	الدرّاع، عديّ
٢٨٠، ٢٧٩	شفيع	٢٩٨	دعبل
	ص	٢٥٦، ٢٥٥	دلال (الدلال)
٢٢٥	الصديق، ابوبكر		
٢١٦، ٢١٥	الصخري	ر	
٣٢	صفوان، بن يحيى		الرازي، محمد
٩٠	الصقلي	٣٠٩، ٣٠٢	بن زكريا
٨٤	الصلت		الراسبي، علي بن
	ط	١٧١	الحسين
	الطبري، ابومنصور	٣٠٩	الراسي، محمد بن
٢٩٩، ٢٩٧	طويس	٢٣، ٢٢	عبد الباقي
٢٥٥		٢٢٣، ٨٤	ربيعة، بن عامر
	ظ	١٦	الرشيد، هارون
	الظاهر، الملك	١٢٦، ٨٧	رقية
١٨٦			الرياشي
	ع	ز	
	العائدي، جعفر بن	٤٦	الزهري
٢٥٣	رباعة	٢٢٨	الزيادي
١٦، ١٥	عائشة (زوجة النبي)		
٧٩، ٣٠	عبادة	س	
٢٨٦، ١٥٦		٢١٣، ١٦٥، ٨٢	السجستاني، أبرحتم
٢٨٧		٢٩٠	
	العباسي، ابوبكر	١١٢، ١١١	سعيدة
١٦٦	بن داود	١٣١	سمجة
		١٧٥	السهروردي

ل	لقمان	١٧	٢٢٦	عبد الجبار
			١٣٤	عتبة
م	ماجد	٢٥٥	٨٨	العسكري، ابرملال
			٣٤	عمر بن الخطاب
	المبرّد، ابن علي	١٦٥، ٩١، ٨٢	٢٣، ٢٢	عمرو
			١١٧	عنان
	المقنبي، أبو الطيب	٨٢، ٨١	٤٦	عيسى
	مجاهد	٢٥٤		
	محمد الباقر	٢٢		
	المخزومي، الشريف	٩٠		
	المخزومي، عبد الله			
	بن ابي أمية	٢٥٣		
	المداثني	١٠٨		
	مدرك الشاعر	١٧٧	٢٨١، ٢٨٠	فالتن
	المدعي، أبو عبد الله	١٨٣	٢٨٤، ٢٨٢	
	مزيد	٢٤٢	٢٨٥	
	مصعب	١٦٠	١٣٥، ١٢٤	الفردق
	معاوية	١٨٤	٢٩٧	الفقيه، أبو منصور
	المغربي، محمد			
	بن هانيء	١٧٠		
	المقتدر	١٢٢	١٦٢	القاضي، شريح
	مُنى	١٢٣	٢٤٢	قريش
	المنصور	١٧٢	٤٠	القلقشندي
	المهدي	١٣٤، ١٢٩		
	موسى (النبي)	١٦		
	الموصلى، اسحاق			
	بن ابراهيم	٩٦	٩١	الكاتب، أبو الخطاب
	الموصلى، السري	٨٥		الكاتب، طاهر بن
	ميمون	٢٦٤	١٥٣	عبد الله
			٨١	كافور
				الكردي، سهل
			٢٨٥	بن مهيندار
			٢٤٣	كسرى
			٢١٨	الكوفي، أبو اسحاق
ن	النقاشي	٢٥٥		
	النمر بن تولب	١٧		

فهرس الأماكن

١٨٦	حماة	١	
١٧٣	حمص	١٩٧، ١١٦	الاسكندرية
		٢١٦، ٢٠٢، ١٩٨	
خ		١٧٧	اشبيلية
٢٩٢، ١٨٣	خراسان	١٧	افغانستان
		١٨٢، ١٧٧	الاندلس
د			
١٧٤، ١٥٦	دمشق	ب	
١٩٠، ١٨٦		١١٥	بجاية
٢٣٨، ١٩٢، ١٩١		١٥٦	بردى
		١٢٦، ١٢٠، ٨٣	البصرة
ر		٢٧٥، ١٥٢، ١٤٩	
٢٩٦	الرصافة	١٩٠	يعليك
١٩٧	الرمل	١١٧، ١١٦	بغداد
		١٢١، ١٢٠	
		١٥٣، ١٥٢	
س		١٩٢، ١٦٧	
٢١٣، ١٨٢	سجستان	٢٢٧، ١٩٦	
٢٨٩، ٢٨٨		٢٧٥، ٢٦٩، ٢٥٨	
ش			
٢٢٧، ٢٠٣	الشام	١٩٩، ١١٠	تونس
ط			
٢٩٢	الطائف	ج	جامع ابن طولون
٢٢٨	طبرستان	٢٦٥	
ع			
٩١، ٨٠	العراق	ح	الحجاز
		٢٥٣	حلب
		١٨٧، ١٨٦	

نزہۃ الالباب

۲۲۷	مدينة السلام (بغداد)	۲۸۹، ۲۰۳	
۱۱۵	مراكش	۸۰	عرفات
۱۵۸	المربد (مربد البصرة)		
۱۳۷، ۱۱۶	مصر	ق	
۲۲۸، ۱۷۳		۲۳۹، ۲۳۸	القرافة
۲۶۴، ۲۶۱، ۲۶۰		۲۵۳، ۱۰۸	قريش
۱۳۶، ۱۱۵	المغرب	۱۷۵	قزوين
۱۸۲، ۱۴۳			
۱۹۹، ۱۹۸		ك	
۲۳۷، ۲۰۳		۲۷۳	الكرخ
۲۶۹، ۲۶۸، ۲۶۷			
۸۰	مكة	م	
		۱۹۹، ۱۹۸	المدينة
هـ		۲۵۵، ۲۰۰	
۲۸۸	هوزان	۲۹۰، ۲۵۷	

فهرس القواى

الصفحة	عدد الابيات	الشاعر	القافية
الهمة			
٩٦ ٣٠١	٢ ٢	اسحاق بن ابراهيم الموصلى —	البيضاء جفاء
الباء			
١٥٩	١	ابونواس	الخباب
١٨٨	٢	—	كاللبا
٢٩٨ - ٢٩٧	٣	ابو منصور الفقيه	لعجبابا
١٧١ - ١٧٠	٣	محمد بن هاتىء المغربى	زىنب
١٧٢	١	ابونواس	المطرب
٢٣١	٣	مكرم بن ابي الحسن الانصارى	قلوب
١٨٩	٣	ابو تمام	شاربة
١٨٩	٤	ابو تمام	عائبة
٨٤	٥	ابونواس	ادب
٩٧	٢	اسحق الموصلى	الخواضب
١٣٣	٢	ابونواس	اتراب
١٦٩	١٠	ابونواس	التراب
٢٢٠ - ٢١٩	٣	علي بن محمد بن بسام	كذاب
٢٩٩	٣	—	الحاجب
٣٠٢	٢	—	الغتب
٨١	١	ابو الطيب المتنبى	بى
التاء			
٩١	٢	ابن الرومى	البريات
٢٩٦ - ٢٩٥	٥	—	وقت
١٦٩	٤	ابونواس	المهاة

(يتبع)

(تابع)

الصفحة	عدد الابيات	الشاعر	القافية
٨٥	٢	ابونواس	نيتة
١٦٧-١٦٦	٣	ابو الغياس	سناته
٢٩٨	٢	—	قصتي
الفاء			
١٣٣-١٣٢	٥	ابونواس	خبيث
٢٤٤	٢	—	ناكث
الجيم			
٤٨	٢	الأصمعي	السماع
١٣١	٥	ابونواس	وابتهجا
٨٩	٢	ابن الحجاج	المعراج
الحاء			
٩٠	٢	الصقلي	النطحا
١٢٩	٢	بشار بن برد	جَزَخَا
٩٧	٢	—	مِرْأَح
١٤٩	٢	ابونواس	الرماح
١٤٩	٢	اسحق بن خلف	المتاح
الدال			
٣٠١	٢	محمد بن شعيب	صدودا
٨١	١	ابن المعتز	قواذ
٨٦	٢	—	شهود
١٨٨	٥	—	وحسد
٢٩٩	٢	ابو العيناء	عتيد

(يتبع)

(تابع)

القالبة	الشاعر	عدد الابيات	الصفحة
نحمد	ابو ذؤيب	٢	٨٧
اقتصاد	—	٢	٩٢
الصد	ابو نواس	٧	١٨٩
بالعسجد	—	٢	٢٩٧
العمود	الطبري	٢	٢٩٩
ترد	جعيفران	٢	٣٠١
ممدود	—	٢	٣٠١
عودي	ابو اسحاق الكوني	٥	٢١٨
الراء			
الحماء	—	٣	٣٠٠
عشرا	مدرك الشاعر	٣	١٩
القتيرا	اسحاق الموصلي	٣	٩٧-٩٦
قمرا	ابو نواس	٣	١٦٩
الطواطير	دعبل	٢	٢٩٨
خير	—	٢	٢٤٧
ذكره	ابو نواس	٤	١٥١
النواظر	ابو نواس	٣	٨٣
ذعر	ابو نواس	٣	١٦٢
يدر	ابو نواس	٤	١٧١
الخمود	الاصمعي	٤	٤٨-٤٧
الشاعر	الشريف المخزومي	٢	٩٠
مسرود	الصاحب بن عباد	٢	٩٢
الخير	ابو نواس	٥	١٣٢
السحود	—	٢	٢٤٦
الايد	البحثري	١	٣٠٠
تزري	—	٣	٢٤٤

(يتبع)

(تابع)

الصفحة	عدد الأبيات	الشاعر	القافية
السين			
٢١٩	٥	أبو تمام	العسش
٢٩٧	٣	أبو منصور الطبري	تجنيسا
٨٥	٣	السري الموصلي	إدريس
٤٨	٣	—	المجلس
٢٤٦	٢	—	الأنس
٣٠٠	٥	ابن الرومي	ترسيه
٤٨	٣	الأصمعي	نفسى
الصاد			
١٧٠	٢	—	حرصا
١٥٩	٣	أبو نواس	جص
الضاد			
٢٩٩	٢	الطبري	القيض
الطاء			
٣٠٠ - ٢٩٩	٣	—	كالخوط
العين			
١٣٤	٢	أبو نواس	جمعا
٢٣١	٥	همام	يطلع

(يتبع)

(تابع)

الصفحة	عدد الأبيات	الشاعر	القافية
الفاء			
١٢٥	٢	—	اضعافُ
١٦٠ - ١٦١	٤	مليح	نقصُ
٢٩٦	٥	—	طواني
القاف			
٢٤٧ - ٢٤٦	٧٠	—	السحقُ
٢١٨	٣	أبو اسحاق الكوفي	الساقى
الكاف			
٩١ - ٩٠	٢	—	النَّيْكا
١٣٠	٣	بشار بن بُرد	المساويك
١٩٠	٢	أبو نواس	فابكه
٣٠٠	٢	—	ادراكةُ
٣٠٢	١	—	تننيكه
اللام			
٢٤٤	٣	—	الحبْلُ
٢٩٨	٢	—	داخلُ
١٨٨	٢	—	الجملا
١٨٨	٢	—	مجدولا
		جلال الدين مكرم ابن أبي الحسن	العليل
٢١٩	٩	الانصاري	
٤٨	٣	الغزالي	أحلى
٢٣١	٢	ابن الحجاج	طائلةُ

(يتبع)

(تابع)

الصفحة	عدد الأبيات	الشاعر	القافية
١٢٤	٤		الابل
٨٣	٦	ابونواس	رسول
٩٧	٢		مقبّل
١٣٣	٤	ابونواس	قتيل
١٧٠	٢	ابونواس	القبّل
١٧٧	١	مدرك الشاعر	مشغول
٤٦	٢	ابو فراس الحمداني	جهل
٨٨	٥	علي بن الجهم	فافعل
٩٠	٣	ابن الرومي	طوال
٩١	٣	ابو الخطاب	الخليلي
١٢٥	٢	ابن الرومي	بالأرجل
١٣٢	٤	ابونواس	جميل
١٣٤	١	أبو الشمقمق	داخل
١٦٢	٢	—	اليعول
١٦٩	١	ابونواس	الساحل
الميم			
٨٩	٢	ابن الرومي	سئم
٩٠	٢	—	خاتم
١٣٠	٣	بشار بن برد	ودم
١٦٠	٤	—	عالم
١٦٠	٤	—	نائم
١٧	٣	النمر بن تولب	ابنما
٨٦-٨٥	١٤	حميد بن ثور	تعلمما
٨٩	٤	—	منادما
١٢٦	٢	—	ابتغاهما

(ينبع)

(تبع)

الصفحة	عدد الأبيات	الشاعر	القافية
١٧١	٢	أبونواس	المخدوما
١٦٦	٤	أوبكر بن داود	محرمًا
١٩٠	٥	أبونواس	الكراما
٢٩٦	٣	أبونواس	القيامة
٢٩٧	٣	أبونواس	سَلَمَه
١٣٥	٢	أبو العتاهية	نسيم
٤٩	٢	—	الكرم
٨٨	٢	أبو هلال العسكري	الدم
٨٩-٨٨	٤	—	نم
١٢٤	٣	الفرزدق	شمام
١٢٥	٣	—	نظام
١٦٦	٨	أبو حاتم السجستاني	الكلام
١٧٠	١٢	أبونواس	بالمدا
٢٢٢	٤	محمود الوراق	وللائام
٢٩٨	١	—	الأقلام
٣٠٢	٢	—	غلام
١٢٣	٢	أبونواس	باسمي
النون			
٨٧	٤	المامون	الظنًا
١٣٠	٦	بشار بن برد	حيرانا
١٥٨	٤	أبونواس	الزمن
٢٣١	٣	مكرم بن أبي الحسن الأنصاري	يفتينا
٢٤٦	٢	—	بعانه
٢٩٨	٢	—	دينه

(يتبع)

(تابع)

الصفحة	عدد الأبيات	الشاعر	القافية
٣٠١	٢	ابن الرومي	ولكنه
١٢٥	٩	—	ربيع
١٥٩	١	أبو نواس	عثمان
١٥٩	١	أبو نواس	إنسان
الهاء			
٨٧	٢	خالد بن زهير	يسيرها
١٢٥-١٢٤	٣	أبو نواس	قوادها
١٧١	٣	أبو نواس	أعطاهما
١٦٠	٣	—	تنشره
١٦٠	٢	مصعب	منظره
١٥٣	٢	ابن الرومي	ماله
الواو			
٣٠٢	٢	—	اللفظ
الياء			
١٧٢	٣	والبة بن الحباب	كاسيا